العدد ١٢ من السنة الأولى ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — ديسمبر سنة ١٩٤٠

# الشؤون الاجتماعية والتعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ... ... ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصّلون .

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢ .

# فهرس مواد العدد


| الموضوع | | صفحة |
|---|---|---|
| الذوق الفنى فى البيت | توفيق دوس باشا | ٤ |
| الزواج والأسرة | على جمال الدين باشا | ٧ |
| تنسيق الإصلاح الاجتماعى فى مصر | محمد العشماوى بك | ١٢ |
| الشباب والتجديد والإصلاح | الدكتور ابراهيم مدكور بك | ١٩ |
| باحثة البادية | السيدة هدى شعراوى | ٢٥ |
| ثائرة (قصيدة) | الأستاذ فؤاد بليل | ٣٠ |
| الحياة الطيبة | الأستاذ سلامه موسى | ٣٥ |
| حلقات المستمعين | | ٣٩ |
| فى أحضان الجليد | حسن الشريف | ٤١ |
| النجاح فى المهنة | | ٥٣ |
| صور من القاهرة المجهولة | الأستاذ محمد عبد الكريم | ٥٦ |
| خواطر فى الزواج والسعادة الزوجية | متزوج | ٦٢ |
| المدارس الناهضة | | ٦٨ |
| التعاون الاقتصادى اللارأسمالى | الدكتور ابراهيم رشاد بك | ٧١ |
| صحة الإنسان والحيوان والنبات | | ٧٥ |
| حوادث التعصب | البوزباشى صالح زكى | ٧٨ |
| العادة التى تحكم فيها | | ٨٥ |
| الحركة التعاونية الاستهلاكية | الأستاذ عبد اللطيف عامر | ٨٨ |
| تربية العواطف | | ٩٤ |
| الشخصية القلقة | الأستاذ س م | ٩٧ |
| الهوام والحشرات فى البيوت | وزارة الصحة | ١٠١ |
| قرارات مؤتمر رابطة الشباب | | ١٠٥ |
| متفرقات اجتماعية | | ١١١ |

# مجلة الشؤون الاجتماعية

## بعد عام

بهذا العدد تختتم مجلة الشؤون الاجتماعية والتعاون العام الأول من حياتها . وإذا كان حقا على كل عامل أن يحاسب نفسه على ماقدم من عمل ، ويتعرف مبلغ ما أصاب من نجاح أو فشل ، فإن نفوسنا والحمد لله راضية عن حسابها ، مغتبطة بما نالت من مثوبة على جهادها ؛ وحسبها من المثوبة هذا الرضا الشامل من قرائها ؛ وهذا العون الكريم من كبراء مصر وخاصة المفكرين وأصحاب الرأى فيها ، فلقد تولوها بعطفهم ،وغذوها بثمرات عقولهم ، وأمدوها بآثار أقلامهم ، حتى ظفرت فى هذا العام الأول من حياتها بتقدير الحاكمين والمحكومين .

والقائمون على إدارة هذه المجلة وتحريرها يحمدون لله هذا التوفيق،ولكنهم يرون من الأمانة أن يرجعوا الفضل الى ذويه ، فهم يعترفون بأن ماصادفوا من نجاح إنما يرجع فى جملته وتفصيله الى حسن التوجيه الذى لقوه من حضرات أصحاب المعالى الوزراء الثلاثة الذين تولوا وزارة الشؤون الاجتماعية: عبد السلام الشاذلى باشا،وعبد الرحمن عزام بك،ومحمد حافظ رمضان باشا، وإلى الإرشاد الذكى الحكيم الذى تعهدهم به حضرتا صاحبى العزة الدكتور محمد عبد المنعم رياض بك السكرتير العام السابق لهذه الوزارة وعبد الخالق حسونه بك وكيلها الحالى .

فإلى حضراتهم يتوجه شكر القراء وإعجابهم إن كان فى هذه المجلة مايستحق الشكر والإعجاب

# الذوق الفنى فى البيت

بقلم حضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا

ما زرت أسرة أوروبية إلا وجدت فى بيتها من الأثاث ما يعد بعضه تحفا فنية تستحق أن نقف أمامها ونتأملها معجبين . وليس هـذا شأن بيوت الأثرياء وحدهم ، فان المتوسطين كثيرا ما يكلفون أنفسهم اقتناء التحف الفنية لتزيين بيوتهم حتى ليستحيل البيت متحفا صغيرا أنيقا . ورب البيت أو ربته تروى لك قصة تاريخية عن هذه الزهرية القديمة التى قد يبلغ ارتفاعها مترا ، فتذكرك المصنع الذى خرجت منه والفنان أو المثال الذى صنعها . وأنها لم تشترها وإنما اشتراها جدها قبل خمس وسبعين سنة وقد ورثتها عن عمتها . أما هذا الكرسى فقد صنع فى القرن السابع عشر وهو من طراز معين لا تصنع الكراسى على غراره الآن . وكذلك هذه الرسوم وهذه التماثيل وهذه الأوانى. بل أحيانا يزداد التأنق والترف فتجد إحدى الغرف وقد كسيت جدرانها كلها أو بعضها بخشب السنديان القديم الذى أكسبه القدم طابعا وتاريخا . وهكذا الشأن فى الكتب تقتنى لا لتقرأ فقط بل لكى تصان فى البيوت كأنها بعض أثاثه الفاخر . ولذلك فصاحبتها تختير الطبعة وتشترى القديم منها .

وهذا الروح الذى يملى اقتناء الطرف فى البيت ويكاد يحيل المنزل متحفا ، هذا الروح يدل على التعلق بالحياة البيتية وعلى إدراك تاريخى لقيمة البيت ، وعلى إيثار المصلحة العائلية على المصلحة الشخصية . فإن أحدنا حين يشترى صورة أو تمثالا ، أو حين يزين البيت وينفق على تجميل جدرانه وأبوابه وأثاثه إنما يفعل ذلك وهو ينظر نظرة شاملة للعائلة فتمثل له سلسلة الآباء فالأبناء فالأحفاد . وهو يأخذ بأسلوب فى السلوك يتفق وهـذا النظر . فان البيت الجميل المتين لا يضم عادة إلا عائلة جميلة موطدة الصلات بالحب ، قائمة على التعاطف والتراحم ، يأتنس أعضاؤها بالاجتماع والحديث فلا يخطر ببال أحدهم أن ينفرد فى أنانية ويقصـد إلى الملذات الخارجية حيث يقضى فراغه فى القهوة أو فى النادى . ذلك لأن الروح الذى بعثه على تجميل البيت والتأنق فى اختيار أثاثه وطرفه إنما هو الروح العـائلى الاجتماعى الراقى لا الروح الشخصى المـادى . ولذلك ليس ينتظر من الزوج الذى ينزع هذه النزعة الفنية فى بيته إلا أن يكون زوجا أمثل يتجه همه وهمته معا إلى توطيـد السعادة المنزلية ومشاركة الزوجة فى تربية الأولاد والسعى لنجاحهم وتفوقهم .

وهـذا الروح نجده أحيانا فى بعض بيوتنا . فان التأنق فى بناء المنزل الخاص واقتناء الأثاث والأدوات الفضية وأحيانا بعض الكتب القديمة المخطوطة ، كل هذا يدل على روح عائلى اجتماعى . ولكننا تعودنا أن نتزع إلى العدد أكثر مما نتزع إلى النوع . فالأثاث يكثر ويتكدس ويغلو فى الثمن دون أن يتنوع أو يسمو فى الجودة والاناقة. ومعظم أفراد طبقتينا ، المتوسطة والعالية ، لم يتعلم إلى الآن النظر إلى البيت هذه النظرة الفنية .

نزور بيت الوجيه المصرى الثرى فنرى الأثاث عديد القطع قد زحمت به الحجرات ، وقد يكون من القماش الفاخر والنوع الغالى ، ولكن ينقصه الذوق الفنى وحسن التنسيق ، ونضطر عندئذ إلى المقارنة بين بيوتنا وبيوت الأوروبيين فنجد هنا فرشا تكاد تتحدث بثمنها وثروة صاحبها ، وتجد هناك فرشا تكاد تنطق بحسن ذوق الذى اشتراها وجمعها ومبلغ تقديره للفن والجمال ، نجد هنا المال والبذخ فى الحرير والخشب والطلاء ، ونجد هناك الذوق الحى ولو مع القماش الرخيص ، وبينما تصطف الأرائك والكراسى عندنا فى حجرة الضيوف إلى جوانب الجدران فى شكل رتيب لا يتغير ، تهندم ربة البيت الأوربى غرفة الاستقبال فى شكل يسمح للزائرين أن ينقسموا جماعات للسامرة بحيث لا يختلط حديث هذه الجماعة بحديث غيرها . وهـذا شأننا أيضا فى الطعام : نكدس المائدة بألوان كثيرة دسمة ولكننا ننسى أن نضع الزهرية الجميلة تزدان بالزهور النضرة تبعث الحياة والبشر والجمال فيما حولها .

ما دخلت بيتا من بيوت أعيان الجاليات الأجنبية فى مصر إلا ألفيت كل شىء على المائدة يكاد يكون تحفة تسر العين وتشبع الذوق . فهذا طبق من سيام ، وهـذه ثريا من اليابان ، وهذه أكواب من ألمانيا ، وهذه الطنفسة المفروشة من شيراز ، وهذه السجادة التى تغطى جزءا من الحائط من فلاندر . كل شىء رائع يلفت النظر وينطق ببهائه ويملأ النفس ارتياحا وبهجة .

وإنه لمما يوجب دهشة المصرى أن تحفنا الشرقية الجميلة التى كانت شائعة بيننا الى عهد قريب ، لا يزال الأجانب يقتنونها ويزينون بها منازلهم وإن كانوا لا يستعملونها لخدمة الضيوف. فالطست والإبريق الفضيين وصينية القهوة بفناجينها وظروفها النحاسية (الشفتشى) والمشربيات وغيرها توجد حتى اليوم بين التحف التى يقتنيها الأجانب هنا وفى بلادهم لأنها تمثل طرازا شرقيا يستطرفونه . أما نحن فقد هجرناها وصرنا لا نتهافت إلا على الغالى مهما انعدم فيه الفن والذوق .

ولكن يجب ألا ننسى العوامل الاقتصادية التى جعلت البيوت الأوربية تكاد تشبه المتاحف. فإن الاطمئنان الاقتصادى على مدى أجيال متوالية هو الذى هيأ الظروف لهذه الحال . واكثر البيوت تحفا فى الأقطار المتمدنة هو البيت الانجليزى . وهذه الحقيقة تشير إلى ألف سنة من السلام و إلى حياة شعبية آمنة من الاضطرابات الاقتصادية .وهذه الحال بالطبع قد تزعزعت

بعض الشيء بالحرب الكبرى الماضية والحرب القائمة ، كما أن الاضطرابات الاقتصادية قد جعلت كثيرا من التحف الأوربية يتسرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

والبساطة فى المعيشة قيمتها ، ولكن يجب ألا تكون هذه البساطة ثمرة انعدام الذوق الفنى . فقد كان ماركوس او ريليوس الامبراطور الرومانى يحب البساطة ويقول إن السعادة هى كسرة من الخبز وقطعة من الجبن فى حديقة ساكنة . ولكنه كان مع ذلك يعيش فى رفاهية ذهنية وترف فنى نرى أثرهما فى مخلفاته القلمية .

والبيت نواة المجتمع . وليس المجتمع العصرى بسيطا ولاساذجا . ومهما يختلف رأينا فى قيمة البساطة من حيث الطعام والشراب واللباس فإننا لانستطيع أن نقول بها فى المسكن والاثاث وإلا لكان حسبنا منها خيمة أو خصا أو كوخا ، وهذا ما لانستطيعه .

وبيوتنا يجب أن تكون أندية راقية لأفراد العائلة ، كما يجب أن تكون مدارس محببة للصغار . أولئك يأتنسون فيها بالحديث والتسلية وهؤلاء يتعلمون فيها ويتربون . ثم يجب أيضا أن تكون متاحف تغذى الروح وتوحى الى الذهن ايحاءات سامية مفيدة . وليست الفنون والقدرة على الاستمتاع بها مما يورث مع الدم . ولذلك ترانا فى حاجة إلى ان نتعلم ونألف الفن مدة طويلة حتى نستطيع أن نرتفع فوق "الطقاطيق" التى يطرب لها السذج من العامة ، وفى حاجة إلى تربية وتدريب لكى نتذوق اللحن السامى والرسم الرائع بل الأدب الرفيع سواء أكان قصة أم قصيدة أم دراما ، إذ هذه كلها أشياء لا يمكننا أن نتذوقها من غير ألفة سابقة . فاذا كان البيت الذى نشأنا فيه يعيش أعضاؤه المعيشة الفنية ويحاطون بصور وصيغ مختلفة راقية من الفنون فإننا ننشأ على هذا المستوى وقد نرتقى إليه . بل إننا عندئذ لا ننظر إلى الفنون نظر المتفرجين المستمتعين وإنما نستوحى منها ذوقا اجتماعيا سليما نحاول أن ننشره فى كل ما يحيط بنا ، حتى الشارع أو الميدان الذى تطل عليه نوافذنا نريده نظيفا حسن التنظيم والتنسيق . كما أن السليقة الفنية التى تنمو فى نفوسنا تحملنا دواما على أن ننشد الصحة والجمال والشرف والذكاء فى الأسرة وفى الأمة ، لأن لكل هذه الصفات بواعث تمت الى الفنون بأكثر من سبب .

والفنون هى خير ما تتسامى إليه الطبيعة البشرية . ولهذا يجمل بنا أن يكون كل منا فنانا فى ناحية ما من نواحى الفن حتى يستطيع بممارسة الفرع الذى يحب منه أن يجد التفريج والتنفيس لما يضيق به من قوة فائضة أو فراغ عاطل أو أزمة نفسية . ولو كانت بيوتنا حافلة بالموسيقى والرسوم والتماثيل ، مزودة بالكتب مزينة بالطرف ، لكانت ألفتنا لهذه الأشياء توجهنا وتعين لنا سلوكا فنيا فى الحياة . ولنشأ أطفالنا فى مثل هذا الوسط ولهم ميول فنية تنبه أرواحهم وتسمو بأفكارهم فلا يخشى عليهم مفسدة الفراغ ولا الوقوع فى سحر الخمر ولا الجشع الذى يدفعهم إلى المقامرة ولا النهم فى الطعام — هذا النهم الذى يجعل كثيرا منا يبلغون الشيخوخة فى سن الأربعين ما

توفيق دوس

# الزواج والأسرة

بقلم حضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

الأسرة كلمة طيبة ، صغيرة فى مبناها . كبيرة فى معناها ، بل إنها لتنبوأ من الخطورة ذروتها ، وتتسنم قمتها ، وتقتعد غاربها ، فالأسرة هى الأمة بأسرها بل لا أكون متجنيا على الحق إذا قلت إنها العالم كله .

ومنشأ الأسرة الزواج . وقد قضت حكمة الحكيم جل شأنه أن تكون تلك الرابطة المقدسة هى التى تصل الناس بعضهم ببعض ، على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، وتوثق بينهم عرى التعارف والتآلف ، والتضامن والتحالف ، وتوفق بين قلوبهم مودة ورحمة . ولعظم قدر الزواج وخطورة شأنه اختصه الله برعايته القدسية ، فأنزل فى محكم كتابه آيات بينات فصلت الأحكام لإحكام أواصر الود وتوثيق عرى الألفة بين العائلات ، وبينت الحلال والحرام ، ورسمت طريق الوئام إذا ما دب دبيب الخصام . كل ذلك ليعيش الناس عيشة راضية مرضية . ولقد فطن أولو الحجا والنهى إلى حكمة هذه الأحكام فاتبعوها مخلصين وخيمت السعادة على بيوتهم وآتاهم الله من فضله وكانوا من المهتدين .

وأما الذين خرجوا عليها واستباحوا لأنفسهم ما فيها من رخص وفسروها على ما تهوى نفوسهم وهى أمارة بالسوء ، فأولئك هم الفاسقون الضالون الذين يجب أن يتدخل أولو الأمر فى شؤونهم ليحولوا بينهم وبين ما يفعلون .

فانى لا أفهم كيف يباح للمُتْرِبين المدقعين المعدمين — وهم عالة على غيرهم — أن يتزوجوا ليعولوا زوجات وأولادا يتطلبون من النفقات ما لا يملكون منه شيئا . ألا يترتب على هذا الزواج أن يلجأ الزوج إلى الكسب من طريق غير مشروع أو أن تبيع الزوجة عفافها بعلم زوجها أو بغير علمه اشفاقا على نفسها وأولادها من الجوع والعرى ، أو أن يدفع الزوج والزوجة بأولادهما إلى طريق الاجرام كالتسول والنشل والسرقة ؟ أليس فى هذه الإباحة خلق للشقاء والبؤس والتعاسة ؟ ألم تكفنا هذه الجموع الغفيرة من الأحداث المشردين الذين يبيتون على الطوى ويتوسدون أفاريز الشوارع والذين سيصبحون يوما من كبار المجرمين ؟

كذلك لا أفهم كيف يباح الزواج لمدمنى المخدرات بأنواعها ، وللمحكوم عليهم فى جرائم خلقيــة ، وخصوصا من يتخذونها مهنة لهم ، وللمعتادى الاجرام مطلقا ، فان أمثال هؤلاء لا يخدر منهم الا النسل الخبيث الردىء الذى يزيد فى عدد الأشقياء والبؤساء والتعساء والمجرمين .

وهناك أناس يرتكبون بالزواج أبلغ الآثام و يجلبون أشد الخطر على كيان الأسر : أولئك هم المصابون بالأمراض الوبيلة الخبيثة ، التى تنتقل إلى أولادهم وذرياتهم وأحفادهم وأسباطهم بطريق الوراثه ، وهم بعملهم هذا إنما يدسون فى أمتهم نسلا مريضا معيوبا يسىء ولاينفع ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا حين يتزوجون .

هذه أمثلة أضربها للناس ليتبينوا كيف تكون عاقبة الذين يخالفون روح الشريعة السمحة ، وكيف أن هـذه المخالفة تعد ثورة على الدين القويم دين القرآن رافع لواء المدنيـة والحضارة والعرفان والعمران .

ومن الناس من يتزوج طمعا فى المـال والنشب لا فى الحسب والنسب ، ومنهم من ينشد حاجة لا تمت إلى الزواج بسبب ، أولئك هم الذين يبتغون الوسـيلة لبلوغ الأرب من جاه أو منصب . ومنهم من تملكهم النزوات الجامحة أو النظرات الخاطفـة إلى جمـال صادق مطبوع أو زائف مصبوغ ، وهم طلاب الزواج الجسمانى ؛ كل أولئك خارجون على حكمة الزواج ، وهم من ذوى الاثرة والأنانية وحب الذات ، لا يرون فى الزواج إلا وسيلة لخدمة أنفسهم و إشباع أطماعهم لا خدمة المجتمع بتكوين الأسر الصـالحة التى ترفع قـدر الوطن وتعز شأنه . والزواج فى هذه الأحوال كلها لا حياة له ولا بقاء ، ولا يلبث طويلا حتى يكون مصدر شقاء وشقاق ثم ينتهى بالطلاق . وآية ذلك أنه إذا لم تتحقق المطالب والرغائب حلت المصـائب والرغائب ، وإذا سكنت العاصفة ونال الزوج ما يشتهيه من جمال المرأة خبت نار الشهوة وانقطع مابينهما من سبب ، وذلك لأن الأساس فاسد ولأن الزواج لم يصدر عن مودة وتعقل وتدبر ، بل عن نزوة فى الأعصاب وجموح فى النزعات ، فهو زواج أجسام لا زواج قلوب ، أو هو زواج نزوة طارئة تعصف به نزوة أخرى طارئة .

والأدهى من كل ذلك زواج الكهول والشيوخ بالفتيات الصغيرات ، وهو زواج خاسر فيه خروج على الفطرة والطبيعة ، لأن التكافؤ فى السن بين الزوجين لازم لدوام الزواج واستمراره ، ولأن ما يطلبه الرجل من المرأة تطلبه المرأة من الرجل . وقد ترضى الفتيات بهذا النوع من الزواج طوعا أو كرها مؤملات فى اقتراب أجل أزواجهن والحصول على أموالهم ، وفى فترة الانتظار — وقد تكون طويلة — تفسد أخلاق الزوجات إجابة لمقتضيات الطبيعه البشرية .

وقد يكون الزواج سليما لاغبار عليه من وجهة أساسه وأغراضه ، ثم يقع الشقاق فالطلاق لغير سبب جدى أو لمجرد شهوة فى النفس أو لغضب طارئ أو لهفوة بسيطة بدرت من أحد الزوجين أو لأمر من تافه الأمور لم تقترن به نية الانفصال ، وذلك مايغلب حصوله فى الطبقة الدنيا . ومتى وقع الطلاق بدرت بوادر نتائجه السيئة ، فهنالك مؤخر الصداق والنفقة

والحضانة وغيرها وكل ذلك يؤدى إلى نزاع لا تحمد عواقبه ولهذا كان من الواجب على آل الزوجين أن يسارعوا إلى اصلاح ذات البين بينهما لا إلى إذكاء نار الخصومة كما هو حاصل الان .

وإذا كان الصلح واجبا فى المنازعات المدنية فهو أوجب فى المنازعات الشخصية لاتصالها المباشر بكيان الأسر بل هو فرض يحتمه الدين الحنيف :

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" .

فقد تضمنت هذه الآية أمرا يفيد الوجوب ، على حد قول علماء الأصول ، ويجب العمل به حتما لأنه الصراط السوى نتهجه لإصلاح ذات البين بين الأزواج ، وتوثيق تلك الرابطة المقدسة التى يجمع الله بها بين شريكين يتقاسمان الحياة سراءها وضراءها حلوها ومرها . ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم " ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم ؟ " قالوا بلى يارسول الله قال : " إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هو الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " .

وإذا كان هذا واجب الأفراد فالأحرى أن يكون واجب الحكومة لما لها من سلطان الحكم ومن الولاية على مصالح الناس ، ولأنها مسئولة عن راحتهم وأمنهم وطمأنينتهم ، بل هى راعيتهم وكل راع مسئول عن رعيته . والأمن العام يتأثر كثيرا بأمثال هذه المنازعات . ولقد تبينت ذلك بنفسى مدة السنوات الطويلة التى وليت فيها مديريات القطر ووكالة وزارة الداخلية . ومما لا شك فيه مطلقا أنها من العلل الرئيسة لاختلال الأمن واضطرابه فى ربوع البلاد ، ولهذا أهيب بالحكومة أن تعمل على تنظيم هذا الصلح بوسائل تشريعية تنفيذا لأمر الله تعالى وقياما بما يفرضه الواجب من نشر الطمأنينة وإحلال الوئام محل الخصام والوفاق محل الشقاق .

ولا يتسع المقام للكلام فى أمر الزواج لأكثر مما قدمت خشية التطويل فأعود إلى الأسرة وأعرب عن شديد الأسف لما شابها من تبدل وتغيير فى شؤونها الاجتماعية عند بعض الطبقات . فما كان يخطر ببالى مطلقا مهما بلغ الفساد فى البلاد أن يكون فى مصر ، كنف الاسلام وحصن الاسلام وركن الاسلام كما نقول وندعى ، طائفة من المسلمين والمسلمات يناصرون الشيطان ويناهضون القرآن ويخالفون شعائر دينهم ويخلعون شعار بلادهم وعاداتهم وتقاليدهم وقوميتهم ويتخذون الرقص فى المحال العامة أو فى البيوت وسيلا للتلهى والتسلية فى حفلاتهم واجتماعاتهم وأعراسهم ، حيث يختلط الرجال بالنساء وقد تبرجن وتزين وكشفن عن مفاتن أجسامهن ، ثم يتخاصرون بعد أن يكونوا نسوا أنفسهم بما كرعوه من الخمر وهى أم الخبائث وهذا ما يسمونه بالمدنية الحديثة ، وما هو إلا زيف وتقليد لمظاهر كاذبة سافلة ، ومناظر

مستقبحة من مدنية الغربيين. وإنا لنقرأ فى بعض المجلات أوصافا لأعراس واحتفالات يقال فيها كانت الآنسة فلانة بنت فلان تراقص الشاب فلانا ثم ترينا صورا جريئة لبعض السيدات والآنسات نترى شرقية مسلمة تقدم الخمر إلى المدعوين والمدعوات أو تضع بيدها مزيج الكوكتيل من مختلف زجاجات الخمر وغير ذلك من المناظر التى لم تألفها أعيننا من قبل ولم تكن فى عاداتنا وتقاليدنا حتى عهد قريب. بئست والله هذه المدنية التى ستجرف فى تيارها مدنيتنا الاسلامية وقوميتنا الشرقية وترجع بنا إلى عهد الجاهلية الأولى بل ان الجاهلية الأولى لم تكن والله بأسوأ مما نحن فيه الآن.

ما كنت أتصور أن تكون فى مصر، زعيمة الاسلام، تلك الصالات التى انتشرت فى ربوع المدن الكبرى تبث الفساد وتنزع إليها العائلات وفيها الشبان والشابات والفتيان والفتيات يتملكهم الشيطان بالغواية والأغراء وما الشيطان غير أولئك المحرضين الفاسقين وأولئك الخليعات المتهتكات.

ما أعجب أمر نسائنا وفتياتنا ! ! لقد شغلن بالزينة والطلاء وبالغواية والاغراء عن كل ما فى الحياة من فضيلة ومن متعة ومن جمال، وحسبن أنهن لا يشغفن الرجال حبا، ولا يملكن ألبابهم إلا بعرض أجسامهن عليهم عرضا جريئا، على حين أن التصون والضن بجمال الجسم أبعث على التشوق والتلهف عند الرجال. وأحب شىء إلى الإنسان ما منع.

لكن من ذا الذى ينزع هذا الوهم الخاطئ من نفوس نسائنا وبناتنا ؟ من ذا الذى يقول لهن : إنكن تبذلن جمالكن وأخلاقكن بما تتخذن على شواطئ البحار فى أشهر الصيف من مظهر خليع فاجر تتبارين وتتنافسن فيه، حتى يرى الرجال المرأة أمامهم أمينة سهلة وبضاعة مزجاة ؟ ولم لا وأسرابكن تتعاقب أمام العيون فى غير ستر يستركن ولا حياء توهمن به الرجال أنكن عزيزات المنال ؟ فالناظرون إليكن فريقان : أما أحدهما فتزق طبع لغريزته البهيمية وهو لا يملك التجلد إزاء هذا الاغراء، بل يستعجل الجريمة استعجالا، ويساير فتنتكن دون صبر ولا تعقل. وأما الآخر فتبصر متئد، يرى فى إثارتكن للشهوات ما يسخطه على أخلاقكن، ويسىء ظنه بعفافكن، ويزهده فى لقائكن، سواء أكان المراد باللقاء متعة الساعة أم عشرة العمر. ومن جازف فاتخذ منكن زوجة فلن يطول على هذا الزواج الأمد، بل لا بد من فراق سريع. وآية ذلك أننا رأينا عددا من الشبان قد اتخذوا لهم زوجات ممن عرفوهن على شاطئ البحر، وأعجبوا بهن إعجاب اللحظة، فانتهت هذه العلاقات جميعا بالطلاق بعد أشهر أو بعد أيام.

وإذا كان أمر هؤلاء الغريرات عجيبا، فأمر أزواجهن وآبائهن وأخواتهن أعجب. كيف يرضون لهن أن يختلطن بالرجال على الشاطئ أو فى جوف الماء؟ وكيف لا يغلى الدم

فى رءوسهم حين يرونهن غاديات رائحات، ضاحكات مازحات، متأبطات رجالا لا يمتون إليهن بصلة ، مستلقيات على الرمل حينا أو متمرغات عليه أحيانا ، داعيات الشبان إلى أنفسهن بلسان الحال و بالتثنيات أو الحركات والنظرات؟ أليس للفتيان بعد هذا شيء من العذر إذا أضربوا عن الزواج حذرا من أن يصابوا فى أعراضهم وكراماتهم بمثل هذا المصاب؟

سيقول بعضهم ممن لا يعجبهم هذا القول إنى من دعاة الرجعية و إنى أعود بالأمة القهقرى إلى عهود الهمجية البائده. والله يعلم أن قولهم هذا مردود عليهم، فما أردت إلا أن أدفع بأمتنا إلى الأمام، إلى القوة والعظمة والمجد والسلطان، إلى المنعة والسعادة والهناء ورفعة الشأن، إلى المدنية الصحيحة مدنية الأديان ، أما هم فانهم يرجعون بأمتهم إلى عهد الجاهلية و يقلدون الغربيين فى أسوأ ما لديهم من خلال وصفات وعادات، والغربيون أنفسهم أصبحوا يستنكرون هذه التقاليد الهادمة للعفاف والشرف والكرامة، والعالمون منهم بمصائرها ونتائجها يعملون على التخلص منها بما يكتبون ونحن نبدأ من حيث هم ينتهون .

والقول الفصل فى ذلك لله خالق السموات والأرض فقد قال وهو أحكم الحاكمين :

" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " .

على أن هذا تقدير متواضع عما هو واقع فى بعض بيئاتنا الشرقية المسلمة ، وأخشى أن يتفاقم الخطب وتسوء العقبى ويتسع الخرق على الراقع إذا لم تمد العدة من الآن لوقف هذا التيار الجارف بوسائل حازمة حاسمة .

على جمال الدين

# تنسيق الإصلاح الاجتماعي في مصر

لحضرة صاحب السعادة العالم الجليل محمد العشماوي بك

المستشار الملكي لوزارتي الأشغال والشؤون الاجتماعية

---

" وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ". " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ " . " كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ". " لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " . " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " . " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " . " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ". " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى " .

بهذه الآيات البينات من كتاب الله تبرز الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي قوية ملحة وفريضة ملزمة ، وتقوم الدعوة على أساس من البر الخالص والعدل المطلق والتعاون على الإصلاح والتناهي عن المنكر والتحذير من الإسراف في الترف ومن التفاني في الفسوق واللهو بالعرض الزائل والزخرف الباطل والحض على التضحية بالمال للترفيه عن ذوي الحاجة وردّ فضل مال الغني على الفقير تخفيفا للبؤس وإصلاحا لحال السواد الأكبر من أفراد الأمة والقضاء على أسباب الضغن والثورة النفسية الهدامة والدعوة الى التوادد والتراحم لتقوم الحياة الاجتماعية على قواعد مدعمة بالتقوى والصبر على الشدائد وضم الصفوف لتصمد للأحداث مهما عظمت يؤازرها إيمان قوي ويشد من عزيمتها روح سام وثاب .

" مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " .

" لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم " .

" كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته " .

وبهذه الكلمات المحكمات من آثار الرسول الكريم الذى جاء بالهدى ودين الحق يثبّت ذلك المصلح الاجتماعى الكبير دعوة الاصلاح فى القلوب ، ويدعو إلى التضامن الاجتماعى دعوة صريحة ، ويجعله أساس العمران ، ويشعر الفرد بواجبه نحو نفسه ونحو الأمة يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها ويكدح للخير العام ويتألم للأحداث التى تصيب بنى قومه فتنقض من مضجعه وتحرمه لذة ما قد ينعم فيه من جاه وثراء ، ويفرض العمل للاصلاح فرض عين لا يفرق بين القائمين بالأمر وأفراد الرعية ويجعل لهؤلاء وهؤلاء ميدانا للاصلاح الاجتماعى يعملون فيه ويحتملون أعباءه ويسألون عما قدّموا من نفع وما دفعوا من شر وما أصلحوا من أمر وما أقاموا من عدل وما حفظوا من أمانة وما ضيعوا من خيانة .

" وليكن أحبّ الأمور اليك أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة . وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامةُ من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم " .

" ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن فى ذلك تزهيدا لأهل الإحسان فى الإحسان وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة " .

" ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولّهم محاباة وأثرة . وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن فى ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع " .

وبهذه العظات البالغات والحكم الرائعات من عهد الامام على للأشتر النخعى حين ولاه مصر ، يوضع أساس الحكم الصالح على قواعد العدل المطلق والحق الصريح دون نظر لأى اعتبار إلا ما تمليه المصلحة العامة لسواد الشعب وما تقتضيه هذه المصلحة من إيثار للكفاية واختبار لذوى البلاء الحسن والتنزه عن المحاباة والأثرة والتزام الحق وحده وتقوى الله وحده . وخليق بدولة تقوم على هذا الأساس المتين وهذا الركن الركين أن يسمو بنيانها على كل بنيان

وأن تبقى على الزمان. وما أحوجنا، ونحن نترسم طريق الإصلاح ونعبّده ونلقى فى جنبات الوادى صرخات مدوية تدعو إليه وتحببه للنفوس وترد القوم عن طريق الغواية وتحملهم على توخى المنهج القويم فى الحياة وفى طرائق الحكم ، أن نهتدى فى دعوتنا بهدى الكتاب والسنة ونتأثر سبيل من رفعوا علم الإصلاح خفاقا وملأوا الدنيا عدلا وأمنا عاش الناس فى أكنافهما حقبة من الزمان وادعين ناعمين وأعزاء مكرمين .

أخذت مصر بأسباب نهضة شاملة يرجى أن تتناول ميادين النشاط الاجتماعى والاقتصادى والثقافى بجميعها وأن تتغلغل روحها فى مرافقها كلها ، وبدأت البلاد تحس العزة والكرامة ، يثير هذا الاحساس ماض مجيد ، ويحفزها الى استكمال وجوه الاصلاح فى شتى الميادين أمل فى المستقبل وطيد والبلاد فى حاضرها تواجه أحداثا جساما تشد عزمها وتربى فيها قوة الاحتمال وتجعلها أكثر شعورا بحاجتها لهذا الاصلاح الاجتماعى الذى تنشده وتستحث خطاه وتذيع مبادئه وتوسع آفاقه وتأمل أن تقيم أركانه على قواعد ثابتة باقية على الزمان .

ومصر فى نهضتها هذه تنوء بأعباء الماضى القريب وتواجه أكبر مشكلات الحاضر وتهيأ لتحمل آثار ما يتمخض عنه المستقبل من أحداث . وقد زاد فى تعقيد مشكلات الحاضر حاجات الحياة المتزايدة وأعباء الاستقلال ووعورة طريق الاصلاح . وهى فى الوقت ذاته تنوء بتركة ثقيلة خلفتها للجيل الحاضر ظروف الجيل الماضى وما كان يرسف فيه من اغلال هدّت من كيانه وشلت نشاطه وأضعفت من إنتاجه المادى والفكرى على السواء . والبلاد تتحمل هذه الاعباء فى وقت هى أحوج ما تكون فيه الى التخفف لتخطو خطوات واسعة مطردة تلاحق بها من تقدمها من الشعوب الناهضة وتعوض بها ما فاتها من إصلاح .

ومصر قبلة الشرق العربى ، ألقى اليها بمقاليد الزعامة راضيا مطمئنا واتخذها مثله الأعلى فى نظام الحكم وسياسته ، ونظام التعليم وخططه ومناهجه ، ونظام الاجتماع ووسائل علاج مشكلاته ، وطرائق الاصلاح فى مختلف آفاقه . وهذه الزعامة والقدوة تقتضيانها النهوض بالأعباء كاملة وأن تثبت جدارتها للمركز الممتاز الذى تشغله باعتبارها حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ويقتضيانها أن تكون المثل الصالح والقدوة الحسنة فى كل ناحية من نواحى النشاط فيها .

ومصر فى دور الانتقال فى كل مرفق من مرافقها فى الثقافة والتفكير والاقتصاد وفى حياتها الاجتماعية وفى حياتها السياسية ، وهى تجتاز هذا الدور فى ظروف قاسية خطيرة لا تسمح بالتردد ولا التوانى ولا التواكل ، ويقتضيها هذا الدور مناعة فى الاخلاق العامة والخاصة وقوة احتمال وشجاعة وإقداما واعتمادا على النفس وتضحيات فادحات ووضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار وتوافر الجهود لرعايتها وصيانتها من كل عبث تمليه الشهوات الجامحة وضعف الشعور بالمسئولية .

ومصر على ما أفاض الله على واديها من الخصب وما يمّر لأهليها من أسباب العيش يشيع فى جوانبها الفقر وتحيا الأغلبية الكبرى من سكانها فى عوز وبؤس لا تكاد تظفر بالكفاف، تفتك بها الأمراض و يسودها ظلام الجهل ومعظم ثروتها ليست فى يد أبنائها، وريفها لا يزال مباءة لكثير من الأمراض الاجتماعية والجسمانية الفتاكة مع أنه يضم اليد العاملة التى يقوم على إنتاجها صرح الثروة فى البلاد .

ومصر بالرغم من هذا كله لا تزال تتردد فى الخطوة التى تخطوها لصلاح الحال، ولا تزال الجهود التى تبذل بعيدة عن أن تحقق إصلاحا اجتماعيا شاملا ، ولا تزال دعوة الاصلاح تلوكها الألسن وقد تمتلئ بها بعض القلوب ولكنها لا تكاد تخرج الى حيز العمل ، بل إن فكرة الاصلاح ومداه لا تزال غامضة لم تكتنفها دراسة عميقة لأمراضنا الاجتماعية لتعرف نوع العلاج الذى يلائمنا ويحدث أثره العاجل فى نهضتنا ويواجه مشكلاتنا العامة والخاصة ويحدد القوى ويحفز الهمم .

ولا تزال ترتجل الاصلاح ارتجالا ونذكره لماما فى بعض المناسبات دون أن نضع له برنامجا شاملا يتناوله فى شتى مناحيه ويسير به فى طريقه المرسومة صوب أهدافه الموضوعة.

ولا تزال الهيئات التى تعنى ببعض نواحى الاصلاح محرومة من العضد الأدبى والمادى الذى يعينها على النهوض بمهمتها .

ولا تزال برامج أحزابنا التى تتداول الحكم تكاد تكون خالية من وضع برنامج عملى لتحقيق الاصلاح الاجتماعى والعمل على تدعيم أركانه وجعله سياسة قومية ثابتة تسمو على الخصومات وتستند الى وسائل إيجابية فعالة صالحة للتنفيذ .

ولا تزال تعوزنا أهم وسيلة لتحقيق هذا الاصلاح والمضى فيه وهى تنسيق الجهود المبذولة أو التى تبذل فى سبيله تنسيقا مطبوعا بطابع التعاون على البر والتفانى فى الواجب وموسوما بوحدة الغرض واستقامة التوزيع تؤازره قوة الارادة والرغبة فى الكمال . بل لعل أخطر ظاهرة فى حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر انعدام البرنامج الشامل ونقص الدراسة وانعدام التنسيق وضعف الاشراف وتبلبل الرأى فى نوع الاصلاح الذى تحتاج اليه وخطأ التوجيه وفقدان الاطراد فى العمل لمتابعة البناء والتجديد . ولقد بدأت أول محاولة لتحقيق هذا الإشراف والتنسيق فى ميادين الاصلاح الاجتماعى فى أوائل سنة ١٩٣٦ عندما استصدرت الحكومة تشريعا بإنشاء مجلس أعلى للاصلاح الاجتماعى، ولكن هذه الخطوة لم تتعد استصدار تشريع سقط لعدم عرضه على البرلمان ثم طوى المشروع . ثم بدأت بعد أربع سنوات أو ما يقرب منها محاولة أخرى أعظم خطرا وأبعد أثرا وأكثر دلالة على الاهتمام الجدى بحركة الإصلاح الاجتماعى وهى إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية. ولا تزال هذه الوزارة تستكمل عدتها

وتعبئ قوتها لمكافحة الأدواء الاجتماعية التى تهدّ من كيان الأمة . وقد أنشئ لهذه الوزارة على أثر تكوينها مجلس أعلى لتتحقق بوجوده سياسة التوفر على دراسة مشكلاتنا الاجتماعية الكبرى ووضع أسس السياسة العامة التى تقوم الوزارة على تنفيذها . ولكن هذا المجلس لم يتم تأليفه وبالتالى لم ينعقد للآن، وبقينا حيث كنا نرتجل الاصلاح ارتجالا دون أن نضع له سياسة ثابتة أو نترسم فى سبيله خطى واضحة المعالم بينة الاهداف نتيجة بحث شامل ودراسة عميقة لمشاكلنا الاجتماعية المختلفة .

إن مهمة الاصلاح الاجتماعى فى مصر واسعة الآفاق مترامية الأطراف تكاد تتناول كل ناحية من نواحى حياتنا العامة والخاصة، والمشكلات الاجتماعية كثيرة وخطيرة وهى تتزايد وتتعقد ويزيد فى خطرها أنها لم تعالج علاجا ناجحا بل لم تدرس دراسة عميقة شاملة . فلدينا مشكلة إصلاح الأسرة المصرية والعمل على أن تكون عنصرا فعالا فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وتوفير أسباب التماسك بينها والقضاء على عوامل الانحلال فيها . وكل إصلاح لا يقوم على أساس صلاح الأسرة مقضى عليه بالفشل المحقق . وعندنا المرأة وهى عماد الأسرة أحوج ما تكون إلى إعداد صالح يهيئها لأن تقوم بمهمتها الاصلاحية السامية فى الحياة وفى محيط الأسرة وفى المحيط الاجتماعى ، تبنى الرجال وتنشئ الجيل نشأة قوية صالحة . ولدينا مشكلة الشباب وكيف نوجهه توجيها يمكن البلاد من الانتفاع الكامل بثمرة جهوده فى ميادين الثقافة والاقتصاد والاجتماع ويهيئه ليكون عدة الوطن فى الملمات ويملأ فراغه بالعمل المثمر والتفكير السليم ويفرس فيه فضيلتى الإيثار والطموح . ولدينا مشكلة المتعطلين من المثقفين وهى تنذر بالشر كلما تقدم الزمن وتراخينا فى حلها على وجه يقى البلاد شرها وعلى الأخص من الوجهة الاجتماعية دون الحد من انتشار التعليم . ولدينا مشاكل الريف وهى فى ذاتها أس المشاكل وأبعدها أثرا فى حياتنا كأمة تريد أن تعيش عزيزة الجانب كريمة قوية ، وعلاج هذه المشاكل يتناول علاج البؤس والفقر والمرض والجهل وما تجره من ويلات أهمها انتشار الإجرام وضعف الانتاج وخراب الريف . ولدينا مهمة تنظيم الإحسان الذى يبذل على غير هدى وفى غير سبيله فيذهب ضياعا دون أن نجنى منه نفعا أو ندفع به غائلة، ولدينا الانحلال الخلقى وما يجره من ضعف صفات الرجولة وعدم الاعتماد على النفس وقلة الاقدام وضعف روح التضحية وضياع الثقة والاسراف فى الشهوات . ولدينا غير ذلك كثير مما لا يحدّه الحصر من نقائص اجتماعية كل نقيصة منها خليقة بأن تشغل شعبا بأسره وتقض مضجعه وتقوض من أركان نهضته . ولا يجوز أن تكون مهمة الاصلاح الاجتماعى وقفا على الحكومة أو على هيئة بالذات ولكنها مهمة تقع على عاتق الحكومة والجماعات والأفراد وكل قادر على أن يضطلع بها بقدر ما يتسر له وما توافر لديه من وسائل وما فرض عليه من واجبات .

فعلى الحكومة أن تجعل الاصلاح الاجتماعى فى مقدمة المسائل التى تعنى بها وتوفر لها من المال والجهود والكفايات ما ينهض بها . وعلى كل وزارة أن تضع لنفسها برنامجا للإصلاح الاجتماعى يتصل بنوع العمل الذى تباشره . وعلى كل هيئة عاملة أن تخص الاصلاح الاجتماعى بنصيب من كسبها تتناول به إصلاح شأن العاملين فيها . وعلى أصحاب المصانع والمتاجر والمزارع الكبرى أن يخصصوا جانبا من جهدهم وكسبهم للعناية بالنواحى الاجتماعية الخاصة بعالمهم والتى ترمى لإصلاح شأن الهيئة التى يتناولها نشاطهم الاقتصادى .

وعلى الهيئات المحلية أن تخصص فى ميزانيتها أموالا للمساهمة فى الإصلاح الاجتماعى فى دائرة عملها ، وأن تضع برنامجا لهذا الإصلاح وتقوم على تنفيذه .

وعلى رب الأسرة أن يكون داعية إصلاح فى محيط أسرته ، وعلى المثقفات من فتياتنا ونسائنا أن ينهضن بهذه المهمة كواجب وطنى مقدس يأتى فى المرتبة الأولى من شؤون الحياة ومشاغلها .

وعلى البلاد حكومة وشعبا أن تحشد القوى وتعد العدة للكفاح فى هذا الميدان المترامى الاطراف والذى يقتضينا كل جهد وكل تضحية وكل بذل ، فميدان الإصلاح الاجتماعى هو ميدان الجهاد الأكبر دون طائفة جهاد النفس والمرض والفقر والانحلال الخلقى والجهل والظلم ، وبغير هذا الجهاد نقوم به متساندين بايمان عميق لن تتوافر لنا القوة التى نستطيع بها أن نكافح عدونا ونكفل سلامة وطننا وتهيئ له أسباب القوة والغلبة والحياة الحرة الكريمة .

تلك أمثلة نسوقها عن طائفة من المشكلات التى نواجهها وما تتطلب من عناية وما تقتضيه من جهود لا تستقل بها طائفة ولا تقع على عاتق هيئة بالذات بل يجب أن تتعاون البلاد على حلها وعلاجها مستعينة بما توافر لها من قوى كامنة وظاهرة ، ويجب أن يكون الشباب المثقف رسول الإصلاح فى هذه الميادين جميعها كل فى دائرة ثقافته .

يجب أن يوضع لهذا الإصلاح الشامل برنامج كامل واضح المعالم يتناوله فى جميع نواحيه بما يحقق التوازن والتنسيق ويضم الجهود ويوجهها الى غاياتها تحت إشراف دقيق تمليه روح اجتماعية قوية .

وهنا تظهر وظيفة وزارة الشؤون الاجتماعية واضحة ، والحاجة اليها بينة . فهى فى نظرى وزارة تنسيق للإصلاح وتنظيم له ، تتقصاه فى نواحيه المختلفة ، وتستعين بكل الهيئات على تحقيقه ، وتضع السياسة العامة التى يسير عليها ، وتشرف على تنفيذه وعلى أنه يجرى طبقا لهذه السياسة المرسومة ، وتمد العاملين على الإصلاح بالنصيحة والارشاد والعون المادى والتأييد الأدبى ، وتضع من التشريع ما يحقق هذا التنسيق والتنظيم ويوجه الإصلاح وجهته بما يلائم حالتنا وبيئتنا

وتقاليدنا الصالحة، وبما يجنبنا الفوضى والاضطراب والثورة، ويسيرنا بخطى متزنة هادئة مطردة الحركة، ويقينا شر التقليد الأعمى والاشتغال بتوافه الأمور والزخرف الباطل.

ولعل خير ما يبين وظيفة وزارة الشؤون الاجتماعية ومجلسها الأعلى ما تضمنه التشريع الذى وضع فى سنة ١٩٣٦ ولم تكتب له الحياة وقتئذ وهو التشريع الذى أنشأ المجلس الأعلى للاصلاح الاجتماعى وجعل مهمته " تحرى كل ما من شأنه أن يعين بأى وجه من الوجوه على تقدم البلاد الاجتماعى " واختصه " بمراقبة أحوال التطور الاجتماعى للبلاد وبالنظر فى الوسائل والتدابير والاصلاحات التى ترمى الى توجيه هذا التطور توجيها يتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليده وملكاته " كما اختصه " بالسعى فى التوفيق بين مقومات الحياة الاجتماعية للبلاد وبين آثار التقدم المادى وما استحدث من وجوه العمل الاقتصادية وأحوال الحياة الجديدة " وناط به على الأخص " بحث نظام الأسرة ودراسة الاصلاحات التى تؤكد تماسكها والمحافظة على كيانها وصيانة حقوق الولاية فيها " وأوجب أخذ رأيه مقدما " فى كل مشروع قانون أو لائحة ذات صفة أو مرمى اجتماعيين أو من شأنهما التأثير فى أحوال البلاد الاجتماعية " وأجاز له " أن يقوم مباشرة بدراسة أية مسألة اجتماعية أو إجراء بحث أو تحقيق بشأنها، والاستعانة بالادارات الحكومية المختصة فى هذا البحث، وأن ينصح بضرورة إصدار قانون أو اتخاذ تصرف إدارى معين ".

ويجب أن تتخفف وزارة الشؤون الاجتماعية مما يثقل كاهلها من تفاصيل العمل الإدارى لتتفرغ لهذه المهمة الخطيرة وأن تزود بالكفايات التى تستطيع بها أن تسير بسياسة الاصلاح قدما نحو الكمال.

إن شعور الأمة المتزايد بحاجتها للاصلاح الاجتماعى لدليل على حيويتها، وما على الداعين للإصلاح من أبنائها إلا أن يستغلوا هذا الشعور ويحشدوا قواهم ويعملوا للاصلاح متساندين يحفزهم سمو الغاية والتفانى فى العمل على سلامة الوطن. وفقنا الله للخير الخالص وهدانا سواء السبيل، ووقانا شرور الفسوق والإثم والعدوان، وأعاننا على حل المشكلات الاجتماعية الخطيرة حلا يوفر للبلاد رفاهيتها وسلامتها وعزها ويجنبها العثار والزلل وعوامل الانحلال والتخاذل والشقاق. " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " ٤

محمد العشماوى

المستشار الملكى

# الشباب والتجديد والإصلاح

بقلم الدكتور ابراهيم مدكور بك
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب وعضو مجلس الشيوخ

---

لقد كتبت عن الشباب من قبل ، وسأكتب عنه اليوم ، ولا أظنني أتردد إن سنحت الفرصة في أن أكتب عنه غدا ، وأرجو ألا يكون في هذا إسراف ولا إملال ، فإن في حديثنا عنه ما يعزينا عن ماضينا ، ويسلينا في حاضرنا ، ويفتح أمامنا أبواب مستقبلنا . ومجلة " الشئون الاجتماعية " — وهي مجلة الأمل والمستقبل والاصلاح والتقدم — جديرة بأن تمنح الشباب قسطا كبيرا من عنايتها ، وتدرس مشاكله على اختلافها . هـذا إلى أن موجة من اليأس والتشاؤم أخذت تجرى بيننا منذ زمن ، فتمكنت من كثيرين من شيوخنا ، ونفذت إلى بعض شبابنا ، ولا بد لنا أن نسد عليها الطريق إن كنا نريد نهوضا ونتشد إصلاحا وتجديدا . وسلاحنا الأول في ذلك إنمـا هو الشباب بأمله الواسع وهمته العالية .

غفل الناس قديمـا عن الشباب وأثره في الفرد والمجتمع ، فلم يوضحوا مظاهره ولم يحللوا أعراضه ، وشغلوا بالرجولة والشيخوخة عن مراحل الحيـاة الأخرى . فلا نكاد نحظى عنه في التاريخ القديم والمتوسط بملاحظة تذكر ، اللهم إلا بتلك الصفحة الخالدة التي وضعها أرسطو في كتاب " الخطابة " المشهور ، والتي جاء فيهـا : " إن المرء في مرحلة شبابه أشجع منه في أية مرحلة أخرى من مراحل حياته . نفسه سامية لأنها لم تدنس بعد بمظاهر الحياة الانسانيـة أو لم تخضع لسلطان الحاجة ؛ وليس شيء أدعى إلى رفعة النفس من أن يعتقد الإنســان أنه أهل لعظائم الأمور . والشبان في إقدامهم و إحجامهم مدفوعون بعامل الخير والجمال ، بعامل المصلحة والمنفعة ، يسيرون في الحياة ورائدهم المثل العليا لا الغايات الحقيرة " .

ولم يخطُ الباحثون في التـاريخ الحديث خطوة أفسح من هذه كثيرا . حقا إن بعض الأدباء والفلاسفة المحدثين — أمثال بيكون و بسكال ولاروشفوكو — عرضوا للشباب وأشاروا إلى بعض مظاهره الأخلاقية والنفسية ، ولكنها ملاحظات محدودة و إشارات جزئية لا يعتد بها . وأما روسو — في " اعترافاته " أو في كتابه " إميل " — فانه ، و إن عالج نفسية الطفل والشاب معا ، لم يدرسها دراسة علمية منظمة . وكان لا بد لنا أن ننتظر إلى أخريات القرن المـاضي لنرى فيلسوفا وسيكلوجيا أمريكيا هو " استانلي هول " الذي وجه الدعوة الى دراسة مظاهر الشباب الجسمية والعقلية والروحية ، ووضع في ذلك كتابه الكبير الذي يقع في نحو ألف وثلثمائة صفحة " Adolescence " .

وما إن دق هذا العالم ناقوس البحث حتى تابعه كثيرون وسار على نهجه أشخاص مختلفون . والأمريكيون بوجه خاص يعرفون كيف يضربون الرقم القياسى فى كل شىء ، إن فى العلم أو فى الصناعة ، فأسست جمعيات وأنشئت مجلات ، وكل همها أن تجمع المعلومات عن الشباب فى حياته الجسمية والعقلية ، الفردية والاجتماعية ، وأن تدرس غرائزه واستعداداته وعواطفه ووجداناته . ولم تقف عند الشبان الأصحاء بل تعدتهم الى المرضى ، ولم تقنع بالعاديين منهم بل جاوزتهم إلى الممتازين . وتعددت وسائل الدراسة وتنوعت طرائق البحث فاستخدم المنهج الاحصائى ووجهت مئات الأسئلة لتوضيح ظاهرة من ظواهر الشباب ، واعتمد على المنهج التجريبى والأجهزة المختلفة لقياس القوى الفكرية والنمو الجسمى . ولم يغفل رجال المال والأعمال موضوع الشباب فى السوق الاقتصادية ، وكان من نتائج ذلك قوانين تيلور المشهورة .

وقد صاحب هذه الحركة الواسعة النشيطة حركات أخرى تقرب منها فى انجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا ، ويكفى أن نشير الى جيمس ملى الانجليزى وألفرد بينيه الفرنسى واشترن الألمانى وكلاباريد السويسرى الذين يعدون أعلام الدراسة السيكلوجية فى عالم الطفل والشاب فى الخمسين سنة الأخيرة .

بيد أن مصر مع الأسف الشديد لم تأخذ بقسطها من هذه الدراسة إلا أخيرا ، وكانت التربية حتى عهد قريب لا تزال قائمة على تلك النظرية الخاطئة التى لا تفرق بين الطفل والشاب ولا بين الشاب والشيخ ، كما كان التعليم مؤسسا على فكرة تزويد التلاميذ بطائفة من المعلومات سواء لاءمت أذهانهم أو لم تلائمها . ومنذ عشر سنوات تقريبا بدأنا فقط ننظر الى عالم الطفولة على أنه عالم مستقل ، وأخذنا ندرسه من بعض نواحيه . أما عالم الشباب فلم نتجه اليه بعد ، ويظهر أن وزارة المعارف أحست هذا النقص فاستدعت أستاذا أجنبيا نجله ونقدره هو العلامة كلاباريد — الذى توفى أخيرا — ليدرس مشكلة المدارس الثانوية ، ولكن بحثه لم يأت بثمرة واضحة لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية ، وعدته وزارة المعارف سرا من أسرارها لم تشأ أن تذيع منه شيئا على الجمهور . والأمل معقود الآن على الجامعة ومعهد التربية فى تلافى هذا النقص وسد هذه الثغرة ، فيدرس الشباب المصرى دراسة مستفيضة كما درس الشباب الانجليزى والأمريكى .

* * *

الشباب مرحلة ممتازة من مراحل العمر ، لها خصائصها الذاتية من نمو جسمى وتطور فكرى وروحى . وقد اختلف الباحثون فى تحديدها ، ففريق يرى أنها تبدأ فى الثامنة عشرة وتنتهى فى الخامسة والعشرين ، وفريق آخر يضيق دائرتها ويحصرها بين الخامسة عشرة

والعشرين ، ولأ بقراط فيها رأى قديم مشهور ، خلاصته أنها مرحلة من العمر تقع بين الرابعة عشرة والثامنة والعشرين. إلا أن الراجح اليوم أن فترة الشباب متغيرة من بيئة الى أخرى ومن جنس إلى آخر ، فهى فى البلاد الحارة مختلفة عنها فى البلاد الباردة ، وفى الإناث عنها فى الذكور . وربما كان أحسن تحديد لها عندنا أن نضعها بوجه عام بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين .

فى الشاب نواح عدة جديرة بالبحث والدراسة . فهناك نموه الجسمى وما يصحبه من غرائز مختلفة ، وخاصة الغريزة الجنسية التى اعتبر الشباب من أجلها ميلادا ثانيا . وهناك عواطفه المتأججة من حب وبغض وغيرة وحمية ، وفكره الحائر الذى يرغب فى الجدل والمناقشة ، ويولع فى البرهنة والاستدلال ليكشف الحقائق الجديدة التى تعترضه ، وإرادته التى تقوى حينا وتضعف حينا آخر ، وأخيرا علاقته بمن حوله وما تقتضيه هذه العلاقة من تكوين أندية ومجتمعات والانخراط فى سلك بعض الهيئات والجمعيات .

وإنا لندع جانبا كل هذه النواحى ونقصر كلامنا اليوم على نقطة واحدة ، وهى استعداد الشباب للتجديد والإصلاح ، فنوضح هذا الاستعداد على ضوء التاريخ والواقع ، ثم نحاول أن نعلله تعليلا علميا أو نبين أثره فى الحياة الاجتماعية . فنحن إذن أمام ظاهرة سيكلوجية واجتماعية لا نظن أنها درست من قبل دراسة وافية ، وكل ما نحظى به عنها إنما هو شذرات متفرقة فى كتب الأدب والفلسفة والتاريخ .

ولا نزاع فى أن الشبان — بوجه عام — أسرع تقبلا للأفكار الجديدة وأرغب فى مناصرة النهوض والإصلاح ، فهم الدعاة الأول للمذاهب الحديثة ، وأعوان الأبطال والزعماء والمصلحين ، وفى الماضى والحاضر ما يؤيد ذلك تمام التأييد . فقديما التف شباب أثينا حول سقراط وتابعوه فى الأسواق والطرقات ، وعرض أفلاطون آراءه المختلفة ونظرياته المبتكرة على لسان خمسة عشر شابا تخيرهم أبطالا لمحاوراته ، وحوار يسوع عيسى وأنصار محمد ، عليهما السلام ، فى أغلبهم شبيبة وهبت نفوسها لله وإعلاء كلمة الدين . وحديثا نرى الثورات والحركات الاجتماعية على اختلافها إنما قامت على أعناق الشبان ، فشهداء الحرية فى مصر وأعوان الفاشستية فى ايطاليا ، وجنود الهتلرية فى ألمانيا فى غالبيتهم العظمى شبان وهبوا ارواحهم فداء للوطن .

وليس الأمر بمقصور على الرجال ، بل يشمل النساء أيضا . فالمرأة وإن تكن أقرب الى المحافظة ، مجددة فى شبابها ومستعدة للأخذ بطريف الآراء وغريبها ، وقد أثبت تطور الأزياء " والمودات " أخيرا أن الشابة ربما كانت أحيانا أرغب فى التجديد من الشاب . نعم إنه قد يكون بين الشبان محافظون ، إلا أنهم شواذ وقليلون ، وقد تمر على الشباب فترة ينفر فيها من الإصلاح ويمقت التجديد ، ولكنها نفرة غير طبيعية يجب البحث عن أسبابها الخارجية .

هذه هى الظاهرة . وأما تعليلها فيرجع الى عوامل عدة ، أهمها أن فى الشاب نشاطا جسميا متوفرا يتطلب منفذا وسبلا يصرف فيها . وقد كان الطفل من قبل ينفق قواه الجسمية فى حركات لا معنى لها ، ويوم أن يشب يتغير الغاية والغرض ، فيشترك فى الأندية والألعاب ليبذل قسطا من نشاطه ، ويقبل على حركات التجديد والاصلاح التى تتطلب جهودا عظيمة وحيوية متوفرة ، "وما التجديد فى أبسط صوره إلا خروج على نحول العادة وكسل السجية".

وفى الشاب فوق هـذا وجدان حى وعواطف متأججة تملؤه حرارة وتدفعه الى الأمام ، وفى مقـدمة ذلك طائفة من العواطف السامية ، كالايثار والتضحية والثقة بالنفس ، التى تسوقه نحو التجديد وتدفعه الى كل عمل نبيل . فهو مؤثر لا أثر ، يحب الغير حبا خالصا ، وطاهر برىء لم يدنس بدنس الحياة بعد ، والتجديد والاصلاح إنما يقوم فى دعامته الأولى على الايثار وحب الغير . وهو بطل مضح يعنيه إعجاب الناس وتقديرهم له ، ولولا البطولة والتضحية ما أمكن الجهر برأى جديد ولا إعلان دعوة تخرج على المألوف . وهو أيضا مملوء ثقة بنفسه ، فلا يأبه بصعوبة ولا يسلم بمستحيل ، بل تأبى همته إلا أن تخطى الصعاب وتتغلب على الشدائد .

ومما يدفع الشاب إلى الجديد ويحمله على اعتناقه خياله الخصب الذى لا يقف عند حد ولا يقنع بغاية . ولا نزاع فى أن الشباب هو مرحلة الشعر والقصص والروايات والتمثيل والصور الزاهية والفنون الجميلة بوجه عام ، ولا تكاد تعدله فى ذلك مرحلة أخرى من مراحل العمر . ومن منا لم يقض فى أيام شبابه ليلة أو ليالى فى قراءة رواية أو تدوين رسالة أو قرض قصيدة سواء أعرف الشـعر أم لم يعرفه ، وأجاده أم لم يجده ؟ ومن منا لم يؤخذ بالطبيعة وجمالها فجلس اليها يناجيها ويتأمل فيها ؟ ومن منا لم يبن قصورا فى أسبانيا — كما يقولون — ويرسم لنفسه صورا من الأمل الحلو والاحلام اللذيذة ؟ ذلك لأن مخيلة الشباب القوية فى بعضها للواقع تبحث عن عالم آخر أفسح وأجمل تسبح فيه ، فاذا ما قدم لها مجدد أو مصلح نموذجا لهذا العالم المنشود طارت له فرحا واطمأنت اليه . والاختراعات النافعة والنظريات الصحيحة فى أول أمرها خيال لم يلبث أن تحول الى حقيقة ثابتة .

وهنـاك عامل آخر فكرى يدفع الشبان الى التجديد ويحفزهم إلى الاصلاح ، ألا وهو تعشقهم للمثل العليا وسيرهم وراءها وإن لم تتضح لديهم كل الاتضاح ولم تفهم تمـام الفهم . وليست حياة الشاب العقلية مجرد عواطف جامحة وخيال سابح ، بل فيهـا قسط من النظر والتأمل والبحث والتفكير . فهو يفكر فى الآراء الجديدة ويدافع عما ارتضاه منها ، وقد يغلو فى دفاعه هذا الى حد الاستماتة والتعصب الأعمى ، ويستمسك بأهداب بعض المثل العليا ويسير وراءها سيرا كله وفاء وإخلاص .

وأخيرا لا يكاد الطفل يشب حتى يشعر بطلاقة لم يألفها وحرية لا عهد له بها ؛ فيخرج من قيود الأسرة وسلطانها إلى بحبوحة المجتمع وسعته ، ويرغب فى أن يقاسم فى هذا العالم الجديد الذى أصبح عضوا منه ، ويستطيب تلك الحرية التى لا تعرف الحدود والضوابط . ذلك لأنها حرية نقية صافيه لا تقبل المجاملة ولا تقر المواربة والمداهنة ، ولا ترضى عن الحلول الوسطى والآراء الملتوية . وما أحوج التجديد والاصلاح الى حرية من هذا اللون وصراحة من هذا الطراز !

فهذه العوامل مجتمعة جعلت " الشاب يعيش فى المستقبل فى حين أن الطفل يعيش فى الحاضر والشيخ فى الماضى " وما التجديد الا مستقبل نريد به أن يكون حاضرا ، وما الاصلاح إلا أمل بعيد نود أن نراه قريبا وخيال حلو نرغب فى أن نشاهده أمرا واقعا . فحين يدعى الشاب الى تجديد وإصلاح إنما يدعى الى عالمه ويسكن إلى البيئة التى تلائمه ، فهو مجدد بطبعه ومال الى التغيير والاصلاح بفطرته . ولعل من أسباب التوازن الاجتماعى أن نرى الشبان يقفزون والى جانبهم الشيوخ هادئين وادعين ، فتتحرك فى هدوء ونهدأ فى حركة ، وذلك هو السير النافع الرزين .

فمن الخير إذن أن تتوافر لدى الشبان تلك النزعة الاصلاحية ، وأن يمتلئوا رغبة فى النهوض والتجديد . وتطور الجماعات عامة يتوقف الى حد كبير على هذا الاستعداد الكريم . ولا نكاد نذكر نهضتنا الأخيرة حتى نذكر ما كان للشباب فيها من جهود وآثار حميدة ، فهو الذى لبى النداء لأول وهلة ، ورفع الصوت جهرة فى غير ما وجل معلنا كلمة الحق والأمة ، وأخذ يردد تلك الأنشودة العظيمة : " بالدماء تحرر الأوطان " و" نموت ويحيى الوطن " . وبذل روحه وجسمه فى سبيل وطنه وأمته ، فعذب منه فريق واعتقل آخر ، وجرح منه من جرح وأصيب من أصيب . وكم كان يبهر الناظر حماسه فى مظاهراته ، ونشاطه فى اجتماعاته ، وصدقه فى مختلف حركاته وسكناته . لا يعمل لغاية ولا يحسب حسابا لثواب أو مكافأة ، وإنما كان كل همه أن تسود كلمة الأمة ، وفى هذا الثواب الذى لا ثواب بعده والمكافأة التى لا تعدلها مكافأة . وقد كان مؤمنا كل الإيمان بمطلبه ، فلم يبال بفشل ولم تؤثر فى نفسه هزيمة ، كبير الأمل فى مستقبل مصر ، فلا يتهاون فى حقوقها ولا يرضى بغير الاستقلال التام بديلا ، وثابا يسير إلى الأمام دائما ، فلا يلتفت الى جماعة المحافظين والجامدين ولا يستمع الى دعاة التردد والخائفين .

ولكن يسوؤنى أن ألاحظ أن كثيرا من تلك النفوس الطاهرة قد تدنس ، وأن بعضا من تلك القلوب الخالصة قد فسد ، وبدأنا نشاهد فى السنوات الأخيرة عدوى الشيوخ تسير الى الشبان الأبرياء فأضحوا أنانيين منفعيين يفكرون فقط فى أنفسهم ومستقبلهم ، وشغلوا كما شغل غيرهم بالغنائم واقتسامها ، والفرص واغتنامها ، والدرجات والحصول عليها ، وسرت بينهم موجة خبيثة

من الجمود والرجعية ، فبعد أن كانوا بالأمس أنصار الجديد أصبحوا اليوم خصومه ، و بعد أن كانت صدورهم تتسع لكل رأى أخذوا يضيقون ذرعا بكل فكرة لم يألفوها ، وفيهم يأس قاتل يتنافى مع هممهم العالية ، ونحول شامل لا يتفق ونموهم الجسمى ، واستهتار تتضاءل معه عظائم الأمور وجلائل الأعمال ، وقل أن يجدوا فى مسألة عامة ويتفرغوا لها كما كان يصنع إخوانهم السابقون .

وكل تلك أعراض خطيرة تستلفت النظر وتتطلب العلاج السريع ، لأنا لازلنا من نهوضنا فى بدئه ومن إصلاحنا فى مقدمته ، ولا يمكن أن يكتمل هذا النهوض ولا أن يتم هذا الاصلاح إلا إذا عاونه الشبان وآمنوا به وأقبلوا عليه . وأغلب الظن أن هذه الأمراض التى أشرنا اليها ترجع فى قدر كبير منها إلى الحزبية العمياء التى انغمس بعض شبابنا فيها فقضت فى نفوسهم على فضيلة الإخلاص للوطن والبر به والعمل على مرضاته ، وصيرتهم جنودا للأهواء والشهوات تميل بهم إلى حيث تميل . وفى هذا ما يهدم المثل العليا من أساسها ، ويقضى على المبادئ السامية كيفما كانت منزلتها . وكيف يعمل من لا مبدأ له أو يسعى من ليس أمامه مثل أعلى ينشده ؟

على أنا لم نقف فى هدمنا لهذه المبادئ وتلك المثل عند هذا الحد ، بل قامت خصوماتنا السياسية على تناحر وتطاحن أعمى يهدم الحق الصراح وينكر الأمور المسلمة ، فليس ثمت برنامج خال من النقد ولا عقيدة سليمة من التجريح ، لا تنصف أنفسنا ولا تنصف خصومنا ، ندعى ما لم نفعل ونتقول على غيرنا ما لم يقل ، ولا نتفق على كثير من الوقائع التى حدثت بين ظهرانينا وعلى مرأى منا ومسمع ، فاضطربت الآراء وتبلبلت الأفكار . فقل لى بربك كيف يطمئن الشاب فى جو كهذا الى دعوة حق أو يستجيب لنداء واجب ، خصوصا وهو يشعر شيء من اليأس وخيبة الأمل ، لأنه سمع الكثير من الوعود الخلابة والأمانى الحلوة التى تبخرت فى ساعة التنفيذ ولم يتحقق منها إلا النزر اليسير . وكثيرا ما عقد الآمال على تعاقب المنقذين وتوالى المصلحين ، فلا يجد نفسه قد خطا إلى الأمام خطوات واضحة . ويظهر من جهة أخرى أن آمالنا جميعا أكثر من أعمالنا ، نجلس جلسة القرفصاء دون حراك أو عمل ثم نتمنى على الله الأمانى ، واذا لم يتحقق شيء مما كنا نأمله شعرنا بخيبة بالغة .

فاذا كنا نعد الشباب للتجديد والاصلاح ، وإذا كنا نعول عليه فى النهوض والتقدم ، فلنقده فى هذا السبيل بحكمة ، ولنبرهن له عمليا على استمساكنا بالمبادئ التى ندعو اليها وحرصنا على التعاليم التى ننادى بها ، فليس شيء أدعى للقضاء على فكرة من أن يخرج عليها أنصارها ، وليس شيء أهون للدعاة والمصلحين من أن تناقض أفعالهم أقوالهم .

ابراهيم مدكور

# باحثة البادية

## ملك حفنى ناصف

### للسيدة الجليلة هدى شعراوى

---

" هذا نص المحاضرة التى أذاعتها السيدة هدى شعراوى من محطة الإذاعة اللاسلكية فى ١٧ أكتوبر الماضى لمناسبة إحياء الذكرى الثانية والعشرين لوفاة الطيبة الذكر السيدة ملك حفنى ناصف التى عرفت فى حياتها باسم باحثة البادية " .

مواطنى الأعزاء :

فى مثل الظروف التى نجتازها الآن، أى فى سنة ١٩١٨ ، وفى مستهل نهضتنا النسوية ، فوجئنا بفقد ركن من أركان تلك النهضة بوفاة الكاتبة المصلحة الكبيرة السيدة الفاضلة ملك حفنى ناصف .

فقدنا تلك الزهرة اليانعة التى كان يعطّر عبيرها أرجاء نهضتنا النسوية الناشئة إذ ذاك ، فكان لفقدها وهى فى ريعان شبابها وجم نشاطها الأدبى والفكرى أثر عميق فى نفوسنا نحن معشر السيدات خاصة ، وفى نفوس مقدريها من أبناء وطنها عامة ، لما كانت تؤديه لبلادها من خدمات قيمة فى عالمى الأدب والاجتماع ، فضلا عما كانت تحلى به من حميد الصفات وكريم الأخلاق .

كانت تمتاز من أترابها بسعة العقل ورجاحة الفكر وعلو الهمة ، كل ذلك فى وداعة ورقة كانتا تقربانها إلى القلوب وتزيدانها عند الناس تقديرا لمواهبها و إعجابا بهمتها ونشاطها، ولم تتجاوز وقتئذ الثانية والثلاثين من عمرها .

قضت باحثة البادية ونحن أشد ما نكون احتياجا إلى أبحاثها وجهودها ، لقلة مثيلاتها بين السيدات المصريات . على أنها فى تلك المدة القصيرة التى تناولت فيها بالبحث حياتنا الاجتماعية ، أمكنها أن تعالج كثيرا من أدوائنا و بخاصة ما كان منها ماسا بحقوق المرأة وسعادة الأسرة ، بطريقة مجدية راعت فيها الاعتدال وعدم التطرف فى أحكامها ونقدها ، فامكنها أن تؤدى رسالة ما كان يتسنى لغيرها أن يؤديها فى مثل تلك المدة القصيرة .

لمست الباحثة عن كثب معظم نواحى النقص فى حياة الأسرة المصرية ، وتألمت من الفوضى التى كانت تسودها ، فانطلقت فى تحليلها وعلاجها بنهج حكيم خاص بها ، حتى أمكنها بما كانت تنشره من المقالات وما كانت تلقيه من المحاضرات والخطب أن تؤثر فى النفوس وتنبه الأذهان الى عدالة القضية التى كانت تدافع عنها ، ففسحت أمهات الجرائد صدرها لمقالاتها ، كما رحبت الجامعة المصرية ودار الجريدة بالقاء خطبها ومحاضراتها على السيدات ، فلم تترك مسألة تعنى الأسرة أو تمس حياتنا الاجتماعية إلا تناولتها بالبحث والعلاج ، وكانت فى كل تلك المقالات والخطب بليغة فى النسج ، حكيمة فى النهج ، عادلة فى النقد ، سلسة فى الأسلوب ، بعيدة عن الغرض والغرور .

كم كان يشجينى ذلك الصوت الصادر عن "البادية" الذى كنت أجد فيه صدى صوت قاسم نصير المرأة ! وكم كانت تعجبنى ردودها على مقالات كبار الكتاب والأدباء ؟ وكم أطربتنى دعاباتها مع الآنسة ( مى ) وردها على قصيدة أمير الشعراء :

صداح يا ملك الكنا ر ويا أمير البلبل

وبقدر ما كانت تسرنى دعاباتها مع الآنسة ( مى ) بالأمس أصبح يحزننى اليوم فقدها وصمت ( مى ) وحرماننا من تغريدها الشجى ونفحات أدبها الفياض . وفى هذا المقام يحلو لى أن أسرد بعض مقتطفات من مكاتبات دارت بين هاتين الكاتبتين النابغتين ، وكانت "الباحثة" قد اعتزلت الكتابة فترة من الزمن فكتبت اليها ( مى ) تحثها وتستفزها :

"سنوات ثلاث مررن على يوم ارتفع فيه صوتك مرشدا . عائلتنا لا تزال على ما كانت عليه ، وأفكارنا لم تتغير إلا قليلا ، وعواطفنا ما برحت حائرة فى تيارات متعاكسة دائمة الاضطراب بين ما ندعى أننا نعلم وما نجهل أننا لا نعلم ، غير أن الأصداء الخفية ما زالت ترجع همس ذلك الصوت الرخيم .

"بالأمس لمست نفسك وقرأت أفكارك فعثرت على جراح بليغة وددت تقبيلها بشفتى روحى وما أطبقت الكتاب إلا وأنا ألثم بنانى على غير هدى ، ولم يكن ذلك إلا اجلالا لصفحات قلبها وحبا لنفس استجوبتها فعرفتها .

"فيامن ارتفع قلبها إلى فكرها ، وانحنى فكرها على قلبها ، أيتها الباحثة الحكيمة لماذا تصمتين؟

ضمى يدك البارة إلى الأيدى التى تحاول رفع هذا الجيل من هوة الحيرة والتردد ، ساعدى فى تحرير المرأة بتعليمها واجباتها . إن صوتا خارجا من أعماق القلب بل من أعماق الجراح كصوتك قد يفعل فى النفوس ما لا تفعله أصوات الأفكار" .

فكان رد الباحثة :

"كنت اعتزلت الكتابة لا لنضوب مادتها عندى ، ولا اكتفاء بالقليل الذى كتبت من قبل ، ولكنى كنت مللت المناداة باصلاح المرأة المصرية ، وثبط عزمى ما أراه من انصراف

فئة المتعلمين والمتعلمات الجدد عن العمل لتكوين القومية المصرية المطلوبة ، وما حركتهم التى ملأوا بها مصر صراخا الا عنوان نهضة كاذبة " .

وما أحلى شروط مطالبتهما المساواة وتحليلهما أنانية الرجل ومقارنتها بطبيعة المرأة وتفانيها فى الاخلاص . من ذلك قول ( مى ) فى الرجل :

" ... لكنه ملك عزيز : هو الأب والأخ والصديق والخطيب والزوج ، فاذا سقط سقطنا معه ، واذا ارتفع كنا بارتفاعه عظيمات ، لذلك نريد له خيرا ونجتهد فى تأييد دولته ، بشرط أن ينصب عرشنا بقرب عرشه ، وأن نقف الى جنبه وقفة المثيل بجوار المثيل ، نريد أن نكون متساويين فى الحقوق الأدبية والعمرانية ما دمنا متساويين فى الواجبات والمسئولية ، بل إن واجباتنا ومسئوليتنا يفوقان ما عليه من مسئولية وواجبات . فيا ترى متى يرضى الرجل بتقرير هذه الحقيقة ؟ " .

فردت عليها الباحثة فى صدد مسألة الرجل قائلة :

" عجيب جدا يا سيدتى أمر هذا المخلوق الغريب الأطوار الذى يسمى ( بالرجل ) . إنى أعتقد أنه كريم شجاع ، وله قلب حساس ، ولكنى أظنه — و بعض الظن إثم — أنانيا قبل كل شىء ، ورأيى أن أنانيته وحدها هى أصل رذائله فهو يهضم حق المرأة ويستعبدها لا لأنه يبغضها أو يتمنى لها السوء ، ولكن ليلهو بها . وهو يحبها و يموت لأجلها ، لا لأنه يحبها ، ولكن ليلهو بها . وهو فى كل ذلك واسع الحيلة قوى الحجة فيقنعها فتصدقه وهو كذوب .

" أما المرأة فهى دائما تحترمه وتحبه لأنها تحبه صادقة و إذا كرهته كرهته علانية ولم يكن لذلك البغض من دواء . عرف ذلك أبو الطيب فقال :

و إن حقدت لم يبق فى قلبها رضا  و إن رضيت لم يبق فى قلبها حقد

" هى صادقة مخلصة دائما حتى وهى خاطئة " .

الى أن قالت تصف إخلاص المرأة و إنكارها لذاتها وتبين أنانية الرجل :

" المرأة كدودة القز تفرغ حريرها لتموت ، إنها تعلم أن حريرها الذى تقدمه للا زينة وحلية سيقتلها ، ولكنها لم تحاول قط الخلاص منه . أما الرجل فهو كالنحلة ينتقل من زهرة لزهرة متروضا ، وقد يطيل المكث على زهرة ناضرة ، وانما ليمتص منها نضارتها وماء حياتها . إنها تحب الأزهار حينا ولكنها تلهو بها أحيانا فتتركها هشيا ، وهى تقدم للناس عسلا فيه شفاء لهم ، وشمعا نافعا ولكنها تعملهما لغذائها وسكنها قبل كل شىء .

" ظلمنا الرجل حقوقنا ، لا لأنه كان ينوى ظلمنا ، و إنما هو أخطأ كثيرا فى حسبانه أن ما يزيد فى قوتنا يضعف من قوته هو . لعله ظن أن مملكتنا واحدة ولذلك نظر الينا نظر الدعيات الثائرات ، و إنما نحن نريد له السعادة والمزيد من القوة فى مملكته ونرجو منه أن يفك عنا

الخناق فى مملكتنا المستقلة التى تشدّ أزره ولا تفكر فى إضعافه قط مهما بلغت من العزة والقوة. إننا نتقدم اليه كأننا ساعده الذى يريد أن يخدمه لا كأننا يد غريبة تريد أن تضربه ، إننا منه وهو منا فليطب نفسا وليقرّ عينا وليعطنا ما نشاء " .

وفى خطاب آخر لها كلمات تكاد تعبر عن شعور المرأة فى الوقت الحاضر :

" ... نحن لا نأبى أن نتبع رأى العقلاء والمصلحين من الأمة ، ولكننا لا يمكننا كذلك أن نعتقد أن كل من يتعمدى للكتابة فى موضوع المرأة من العقلاء والمصلحين ليدعنا الرجل نمحص آراءه ونختار أرشدها ، ولا يستبد فى ( تحريرنا ) كما استبد فى ( استعبادنا ) . إننا سئمنا استبداده ، إننا لا نخاف من الهواء ولا من الشمس ، وإنما نخاف عينيه ولسانه ، فان وعدنا أن يغض بصره كما يأمره دينه ، وأن يكن لسانه كما يوصيه الأدب ، نظرنا فى أمرنا وأمره ، وإلا فكل منا حر يفعل ما يشاء ... " .

كنت أطرب وأشجى بكل هذا ، وما كنت قد تعرفت بالباحثة حتى سنة ١٩٠٨ حيث مرت بمصر إحدى الأديبات الفرنسيات ، الآنسة مرغريت كليمان ، فى رحلة تعليمية ، وكانت قد نيط بها إلقاء محاضرات فى البلاد التى تمر بها . فدعوتها لإلقاء محاضرة على السيدات المصريات بالجامعة المصرية ، وكانت تلك أول محاضرة حضرتها سيداتنا المصريات . وهناك تعرفت بالباحثة وكانت بين المدعوات ، ثم بلغنى بعد ذلك أنها تأثرت من عدم دعوتها إلى إلقاء مثل هذه المحاضرة بدلا من سيدة أجنبية بينما تأنس هى فى نفسها من الكفاية ما يؤهلها لذلك ، فسرنى منها ذلك العتب وتلك الغيرة القومية ، وحمدت الفرصة الطيبة التى أتاحت لى معرفة الباحثة وكنت أعجب بها وبكتاباتها وبآدابها قبل أن أراها ، وزادنى سرورا وغبطة أن اكتشفت فيها شخصية عظيمة وخطيبة مفوهة لا تقل طلاقة وبلاغة عن مثيلاتها الأجنبيات ذوات الشأن فى بلادهن ، فصرت بعد ذلك أدعوها إلى اجتماعاتنا وأطلب منها الانضمام الينا ومساعدتنا فى تحقيق مشروعاتنا النسوية ، ولكن لسوء الحظ عاجلتها المنية فى وقت كنا نتطلع إلى ثمار غرسها واستمرار جهادها . وكم عز علينا ألا نجدها فى طليعة صفوفنا أثناء الحركة الوطنية ، وألا نسمع نبرات صوتها العذب الجهورى يدوى فى المؤتمرات النسوية التى حضرناها فى العواصم الأوروبية ، كما ارتفع فى مؤتمر مصر الجديدة سنة ١٩١١ بالطلبات التى أرسلتها كتابة إلى رئيس المؤتمر .

سادتى سيداتى آنساتى :

إن كان لنا شىء من السلوى على فقد الباحثة فانما نجده فى تحقيق بعض مآربنا المشتركة وقد عاهدنا أنفسنا ألا نألو جهدا فى تحقيق الباقى منها خدمة لوطننا ووفاء بالعهد الذى قطعناه على أنفسنا ، فلتطمئن روحها الطاهرة ولتسعد فى عالم الخلد الذى تحيا فيه ، فلقد تحققت

أمانيها فى طريقة الخطبة والزواج والطلاق ، ولنا ما كانت تطلبه للفتاة من التعليم الابتدائى والثانوى بل تعديناه إلى التعليم العالى ، وها هى الجامعة على اختلاف كلياتها تضم بين جدرانها المئات من بناتنا ، وقد تخرج منها المحاميات القديرات أمثال النابهات نعيمة الأيوبى ومفيدة عبد الرحمن وعطيات الشافعى وفريدة حسان . وها هى معاهد التدبير المنزلى قد ارتفع شأنها حتى أصبحت مدارس عليا للثقافة النسوية تخرج منها الفتيات المكتملات التعليم فى مختلف العلوم والفنون . وقد أصبح كثير من السيدات المصريات يشغلن الوظائف الحكومية المختلفة . وفتياتنا قد تعدين تعليم الإسعافات الوقتية إلى التطوع فى الهلال الأحمر وخلافه من نواحى الخدمة الإنسانية والاجتماعية . ومن سيداتنا وآنساتنا الناظرات والمدرسات من يشغلن بجدارة واستحقاق المناصب التى كانت تشغلها الأجنبيات من قبل ، مثال السيدات والآنسات إنصاف فهمى ، ودرية فكرى ، وعلية فهمى ، وزينب الحكيم ، وحنيفة حفنى ناصف ، ومنيرة صبرى ، ودرية شفيق ، وجليلة البحراوى ، وغيرهن ، ومنهن من يشتغلن بالصحافة والتعليم الحر بكفاية ومقدرة كالسيدات : نبوية موسى ، ولبيبة هاشم ، وأيمى خير ، ونللى زنانيرى ، وروز اليوسف ، وسيزا نبراوى ، وفاطمة نعمت راشد ، وابنة الشاطئ ، وأمينة السعيد ، وإيفا حبيب المصرى وغيرهن مما يضيق المجال بذكرهن .

وبمناسبة الحديث عن الصحفيات أذكر مع الحزن والأسف الشديدين فقيدة الصحافة وصديقة الباحثة المرحومة السيدة بلسم عبد الملك التى حرمت الصحافة المصرية من جهودها القيمة وإخلاصها ووطنيتها .

وقد برز فى عالم الأدب من بناتنا الفضليات الشاعرة القديرة الآنسة جميلة العلايلى والكاتبة المجددة الآنسة سهير القلماوى والآنسة المثقفة عزيزة فوزى والسيدة المحترمة فائقة رفيق فتحى حرم المرحوم رفيق فتحى بك ، وكثيرات غيرهن فى عالم الطب من الطبيبات أمثال كوكب حفنى ناصف ، وهيلانه سيداروس ، وتوحيدة عبد الرحمن ، وغيرهن كثيرات يمارسن مهنة الطب ويجدنها إجادة لا تقل عن إجادة الأطباء .

إن هذا لمن دواعى سرورنا وافتخارنا ، ولا زلنا نتمنى لفتياتنا الناشئات المزيد من النجاح والتوفيق ، ونرجوهن أن يضاعفن جهودهن وألا يجعلنها مقصورة فى حدود عملهن الشخصى بل يجب عليهن أن يعملن للمجتمع ويؤدين واجبهن نحو وطنهن ويقتفين آثار البارزات من أخواتهن . ففى " الباحثة " مثل للعبقرية جدير بأن يحتذى وفى ( مى ) مثل للنشاط ووفرة الانتاج فى عالمى الأدب والاجتماع . والله ولى السداد والتوفيق ؛

هدى شعراوى

# ثائرة

## للشاعر القادر الأستاذ فؤاد بليبل

"الفاجرة" أو "العاهرة" منبوذة ملعونة من جميع الناس ، لأنها المثل البارز للتجرد من كل حياء ، ولأنها عرض مهدر وشرف مضيع يعبث به من شاء ، ولكن لو لم يكن الزنا والزناة ما كان العهر ولا العاهرات ، فهذا المجتمع الذى يصب لعنته واحتقاره على "الفاجرة" شريك لها فى الفجور ، وهو جدير بنصيب من الملامة لأنه عجز عن صون هذا العرض ولم يحصنه بدرع من التربية الصالحة ، ولم يهيء لصاحبته رزقا حلالا يعصمها من الرزق الحرام ، ونكبة هذه المسكينة بسخط الناس ، ليست أهون من نكبتها بسقوطها فى مهاوى الزلل .

هذه المعانى يجلوها الشاعر الفاضل فى قصيدته أحسن جلاء ، وليس ينقص هذه القصيدة إلا أن يوضع تحتها اسم أحد أمراء الشعر لتنعت بما هى جديرة به من نعوت ، ولتضفى عليها صفات التمجيد والتعظيم ، وهى والله كذلك وإن لم تحمل غير اسم ناظمها المتواضع "فؤاد بليبل"

« المحرر »

أسالتِ من نبذوكِ نبذَ المنكرِ ... كم بينهم من فاجر متستر ؟
الخيِّرون وهْم أشرُّ(1) بنى الورى ... الأبرياء وليس فيهم مِنْ برَى
الصّائمون المفطِرُونَ على الدّما ... الظامئون الى النجيع الأحمر
الحانثون بكل عهد مبرم ... العابثون بكل ذات تخفر
المصلحون وليس فيهم مصلح ... الطاهرون وأيهم لم يفجر ؟
الرائحون المغتدون على الخنا ... فى معشر قبحا لهم من معشر
القائلون بغير ما قد أضمروا ... من معلن ، أو أعلنوا من مُضْمَر
يتمرغون على القذارة والقذى ... ويحدثونك عن صفاء الكوثر !
من كل عادٍ فى ملابس عادلٍ ... أو ثعلب يزهى بلبدة حيدر
أو كافر متعبد ، أو فاسق ... متعفف ، أو صاغر متكبر
جِيفٌ إذا نزت الهموم فهمها ... حشوُ البطون ، وكمرُ كلِّ مجبّر

(1) أشر وأخير ، أفعلا تفضيل من شر وخير .

وَلَرُبَّ عاهــرة أعف شمـائلا · من كل عربيــد تقىّ المظهر
نصبوا الرياء على خطاك حبائلا · أعمـاك بارقهُ فـلم تســتبصرى
أغراك ما أغرى الفراشــة باللظى · فقضت ضحية جمره المتسـعّر
لم تبــلغى بمض الرجاء وإنمـا · أَلْحَمْتِ عِرضكِ كل وغدٍ مفتر
حتى إذا تم اختيـارك للورى · وسلختِ فى المـاخور بضـعة أشهر
وسبرت أغوار الحيـاة : نعيمها · وجحيمهـا ، وكشفت كل مستّر
وخبرتِ أخلاقَ الرجال جميعهم · وبلوتهم ؛ فرأيت كل محــيرِّ
وعَجَمتِ عــود خلالهم فوجدته · عودا خسيس النبت ؛ هشّ المكسر
ألفيتِ أوفاهم بعهــدكِ غادرا · ورأيت ذا الإقــدام أول مدبر
ولمستِ بهتـان الغنىّ ومــكرَه · وشهدتِ عدوان الفقــير المعسر
وبلوت ألوان المــذلة والضنى · وعلمت أنك فى ظلام معــكر
فهممتِ أن تَدَعى الغرور وترعوى · عن نهــج ذاك المسلك المتوعر
وأبتْ نواميس الحيـاة وشرعها · أن تســتردى ما فقدت وتطهُرى
لم يُجْــدِكِ الدمع الصبيب شفاعةً · تخذى بأسباب التجمل أو ذَرى
فلئن ندمت فلن يصــدقك امرؤ · ولئن شــكوت فلات حين تذمر
وائن رجعتِ الى التعفف والتقى · لم تأمنى عبث السفيه المجترى
ولئن طرحت الإثم منــكرةً له · لم تلبثى والله حتى تنــكرى
إن الألى ألحــوا عليك بلومهم · هم أكرهـوك على احتراف المنكر
ولقد أرادوا أن تكونى دُميَــة · يلهو بهـا كل امرئٍ مستهتر
زعمــوك فاجرة ولولا فِسقهم · لظللت طـاهرة ولم تتــدهورى
ودعوك بائعة الأثيم من الهــوى · كذبوا ، فإن الذنب ذنب المشترى
لم يغفروا لك مـا جنيت وإنمـا · غفروا لجـانيك عرضك المتدعّر
رأفوا بمن هدروا دماك فـالهم · لا يرأفون بدمعــك المتحدر ؟
وتبادلوا رشــق القتيل بلومهم · وتجاوزوا عن جرم قاتله الزرى !
مـا بالهم قــد عيروك دعارة · ما كانــ أخلقهـا بكل معيّر !
جَدَلا عهرت ألم يكن فى وسعهم · أن ينقذوك من الهـلاك الأكبر ؟

لكنهم نبذوك من أوساطهم    نبذ النواة على الطريق المقفر
ثم جردوك من الحياء بجاهرى    بسلوكك المزرى ولا تتسترى
وقفى الحياة على الدعارة وانفثى    فى الناس سم فجورك المتفجر
وامشى على الأشلاء نشوى وارقصى    فى مأتم الأخلاق شهوى ، واسكرى
ثورى على كل الرجال وأنشبى    فيهم براثن حقدك المستأثر
لا تشربى غير الدماء ولا تفى    لفتى، وخونى ، واستبدى ، واغدرى
وتمرغى بالمخزيات وقامرى    مع من أردت بعرضك المستأجر
واستقبلى زمر الزناة بمبسم    يفتر عن شبه الجحيم المسعر
صهرت مقبّلَه الملثم شهوة    هوجاء تعصف بالنفور وتزدرى
فكأنه البركان يقذف حوله    حُمما من النهم الدنىء المذعر
متعطشٌ للرجس دون سُعاره    شره الذئاب الطاويات الكسّر
لكن الهلاك به تملأ لعابه    سمّ يعصفق بالرحيق المسكر

***

أتنهداتك أم فحيح أراقم    رقشاء ، أم زفرات ريح صرصر ؟ !
أم مرجل الحقد الكمين تفجرت    نيرانه ، أم لهث كلب مُسْعر ؟ !
تتدفق الشهوات منه لوافحا    وتشع فى عينيك شبه المجمر

***

لله تاجرة بمنعرج الحمى    عرضت بضاعتها على من يشترى
وقفت تساومنى وفى لفتاتها    شىء دهشت له غريبُ المنظر
ورنت الى وفى بريق عيونها    ذل الوضيع وثورة المتكبر
ووقفت مضطرب الفؤاد حيالها    حيران بين تقدم وتأخر
فى غرفة حمراء تحسب أنها    قد ضرجت بدم العفاف المهدر
سدلت ستائرها ، ورد رتاجها    فى عزلة عن كل طرف مبصر
مصباحها الوهاج عين لم تنم    تحصى عداد الفاسقين الزور
ومضت تحدق بى بمقلة شادن    ومضيت أرمقها بعينى قَسْور

حسناء قيد العين ، فى لحظاتها فتن السواحر واحورار الجؤذر
شفت ملابسها ، ورق دثارها فكأنها عريت ولم تتدثر
وتمايلت أعطافها فكأنها أفعى قد انسابت على العشب الطرى
أما ذوائبها فجُنح دُجُنّة وجبينها فلق الصباح المسفر
متألق القسمات إلا أنه كتب الشقاء عليه بضعة أسطر
وبدت رسوم نهودها فحسبتها عن صدرها حَسرت وإن لم تحسر
فإذا بحُقّ فضة قد غلفا بغشاء عاج ، فى صحيفة مرمر
رقّ الدلال عليهما فتمايلا متعانقين شبيه غصن مثمر
يتآمران على اقتناصى عنوة بحذر ماخلته بحذر
فدفنتُ بينهما بقية عفة فى القلب ماجلها الفجور بخنجر
وشهدت مصرع شاعر أودى به نزق الصبا وأتى بما لم يُغفر
ولو أنه لبى نداء ضميره لنجا بعفة قلبه المتحسّر

* * *

تركت فريستها وقامت حية رقطاء تمشى بالخطى المتعثر
ورنوت لم أر من نضارتها سوى سقم تفشى فى محيا أصفر
وتغيرت تلك الوسامة واغتدت قبحا ، فيالجمالها المتغير
وإذا بهاتيك اللحاظ دميمة وإذا بذاك النهد غير مكور
وإذا بساقيها وماثس قدها قد أصبحت مثل القنا المتكسر
وإذا بذاك الوجه غاض معينه وذوت بشاشة حسنه المتنكر
وإذا بجيدها كثقبى إبرة وإذا بذاك اللون جدّ مُعصفَر
وإذا بنفسى قد صحت من سكرة قَصُرت وكنت أظنها لم تَقصُر
وأفقت مذعورا على قلب غدا إن يدعه داعى الرذيلة ينفر
واستوقفتنى إذ هممت بتركها ولقد وهى جَلدى وعيل تصبّرى
قالت : أطاب لك الهوى ؟ فأجبتها أين الهوى من قلبك المتحجر !
أربيبة الماخور قدْك [1] تكلفا بجمالك الكذاب غير مؤثر

---

(١) قدك بمعنى حسبك أو كفاك .

ما إن عريت من العفاف وطهره ‏ حتى ائتزرت من الفجور بمئزر
فغــدوت لا نفس تحس ولا هوى ‏ عف ولا قلب كريم المخــبر
ياوردة عصف الذبول بعطرها ‏ لا خير فى الريحان غير معطّــر
والغصن يعشق فى الخمائل مزهرا ‏ وتمــلُّ منه النفس إن لم يُزهر
والنـاس يهوون الجمـال مجسـدا ‏ وأحبـه روحا كريم المحسر
عَرَض به نَعِمَ الغواةُ ولم يطب ‏ للشاعر الفنان غيرُ الجوهر

* * *

أنا لست أعجب من فجورك حائرا ‏ إنى لأعجب منك إن لم تفجرى
فتشت عن مترئف بك لم أجد ‏ غـير الحقود الشانئ المتهور
ليت الذين على اضطهادك أجمعوا ‏ قبـلوا الدموع شفـاعة بمكفِّر
هم أرغموك على الفجور وما اهتدوا ‏ يوما إلى إصـلاحك المتعـذر
وقسوا عليك وما قسوتِ ، وربما ‏ أجدى الترفق بالمسىء المجـترى
لم يُنصفوك بنبــذهم إياك بل ‏ ظلموك فانتقمى لنفسك وانأرى
قد حاولوا بالنار إخمـاد اللظى ‏ أتراهمو ضــلوا سبيل الأنهر

* * *

أوزارة الإصلاح تلك ضحيــة ‏ إن تشمليها بانتباهك تؤجرى
لى فيك آمال تداعب خاطرى ‏ ورجاء مرتقب لهـا مستبشر
ولرب عاهرة إذا ما أصلحت ‏ كانت أعف من العفاف الأطهر
لا تتركيهـا للصروف وشأنهـا ‏ فلأنت أنت رجاؤها فتــدبرى

فؤاد بليبل

# الحياة الطيبة

بقلم الأستاذ سلامه موسى

الحياة الطيبة أو طيبات الحياة هى غاية كل فرد منا ، وهى ليست الحياة السعيدة وإن كانت كذلك فى الأغلب ، لأن السعادة تقتضى أن يتناسق الفرد مع المجتمع الذى يعيش فيه. ولكن اذا كان هـذا المجتمع سيئا فإن من حق الفرد وواجبه ألا يتناسق معه ، وهو عندئذ يشق لهـذا التقاطع بينه و بين المجتمـع ، ولكنا نحن البشر نستطيع أن نرتفع فوق أنفسنا ونرضى بالشقاء فى سبيل سعادة أخرى هى سعادة دقيقة أنيقة تعلو على فهم البيئة التى نعيش فيها . وهذا هو ما أحسه المصلحون والصالحون فى كثير من العصور الماضية والحاضرة . وحين تتدهور الأخلاق و يختل المجتمع وتزيف الأقيسة يصبح من واجب الفرد الراقى أن ينفر و يشذ مهما يجد من كراهية ومقت من أفراد المجتمع ، وهو اذا كان يشق بهذه الكراهية وهذا المقت فإنه بشذوذه ونفوره يحاول ايجاد مجتمع صالح آخر ، ومن هنا سعادته .

ولكنا لحسن الحظ لا نجد أنفسنا على الدوام فى هـذا المأزق ، لأن طبقات المجتمع الذى نعيش فيه كثيرة ، ولذلك نجد فيها على الدوام البيئة التى نلتئم معها ونتناسق مع أفرادها فنجد السعادة التى نصبو اليهـا ، وقد يحدث النفور فى أوقات قليلة ، ولكنه لا يشقينا ، وإنما هو ينبهنا و يزيدنا فهما وتقديرا .

وعلى كل انسان أن يخطط حياته و يرسم خارطة مستقبله بنفسه بما يتلاءم وكفاياته الصحية والثقافية والاقتصادية لكى يحقق الحياة الطيبة . ولكن هنـاك أشياء عامة تكاد تنطبق على كل فرد . وهى التى نعالجها هنا . فليأخذ منها كل قارئ بمـا يتفق وظروفه .

فنحن نعيش فى حضارة صاخبة بألوان من الدعايات الصامتة والناطقة ، ونحن نستجيب لها ونتزود منها بمـا نظن أننا نحتاج اليه . وقد يكون ظننا هذا خطأ فلا نجنى سوى الارهاق والاكتظاظ بنوافل غالية الثمن قليلة الثمرة . فنحن أحيانا مثلا نكدس بيوتنا بالأثاث الذى لا فائدة منه والذى لم نشـتره إلا لدعاية اجتماعية أو تجارية تحملنا على اقتنائه . وكذلك نكدس عقولنا باعتبارات اجتماعية لو أننـا تأملناها بالعين المجردة والذهن المجرد لوجدناها صغيرة القيمة كبيرة التكاليف . وهنا يخطر غاندى بالبال . فليس شك فى أنه يعيش الحياة الطيبة : رجل صالح مصلح يخدم وطنه . وقد يشق أحيانا بالسجن و بالقطيعة بينه و بين براهمة الهند ومهاراجتها . ولكنه يعيش الحياة الطيبة بقليل من لبن العنزة و بشملة تستر جسمه لأنه لا يطلب السعادة ، بل يطلب الحياة الطيبة .

والمتأمل للمجتمع المتحضر يستطيع إذا سلط عليه ميكرسكوب السيكلوجية أن يجد فى أفراده أعراض المرض النفسى حين ينشدون السعادة بجهود هائل يعود عليهم بالشقاء . والحياة الطيبة أيسر من هذا . وهى لا تحتاج إلى القصور الفخمة والأتومبيلات المطهمة والمائدة المكتظة بالألوان . وإنما حملتنا الحضارة على أن نقيس سعادتنا بالترف بعد أن ألفت فى روعنا أن هذا الترف الذى يجهدنا ثمنه هو الرفاهية . مع أن الرفاهية رخيصة قليلة التكاليف . فنحن من الحضارة فى شبه "نيوروز" أو "ميكوز" أى مرض نفسى عصبى . ونحتاج الى ذكاء و إلى بصيرة حتى نحسن الرؤية والرؤيا ونميز بين الحسن والسيء والضرورى والنافل من هذه الحضارة .

اذكر مثلا ذلك المجهود الذى يبذله من ينشد الثراء باعتقاد أنه السعادة فيقتر على نفسه وعياله ويحرم نفسه من الرق الشخصى بالتثقيف الدائم . ثم يحقق هذا الثراء حوالى الخمسين من عمره . فتكون عادة التقتير قد لازمته حتى لا يعرف أسباب الاستمتاع بماله . ثم يكون قد ثبت فيه الجهل وفات السن التى يمكنه أن يتذوق فيها المتع الذهنية . فمثل هذا الرجل لم يعش الحياة الطيبة .

وكذلك الآخر الذى جاهد وثابر على الجهاد لجمع ثروة كبيرة . فاذا بهذا الجهاد يضنيه ويدمر أعضاء جسمه الرئيسية ، فهو مقعد أو كالمقعد عند مايبلغ الخمسين من عمره . بل كذلك الآخر الذى سلطت عليه الأنانية فى الرقى المادى فأهمل الرقى الروحى ولم يبال البر والصلاح . فهو ثرى ولكنه يحد المقت والكراهية من جميع الناس .

هؤلاء الناس وأشباههم قد كسبوا الدنيا ، ولكنهم خسروا أنفسهم . وهم لم يعيشوا الحياة الطيبة .

ولكن الحياة الطيبة على الرغم من أنها لا تحتاج إلى مجهود عظيم ليست مع صنع أيدينا نحن وحدنا . فنحن لن نستطيع أن نعيش الحياة الطيبة إلا إذا كانت لنا ميزة الصحة الحسنة الموروثة والطفولة السعيدة ، وكلتاهما من صنع أبوينا ، بل من صنع أسلافنا . ومن هنا قيمة اليوجنية ، أى ذلك العلم الذى يدعو إلى أن يكفل للاطفال أباء يمتازون بالسلامة الجسمية والذهنية . ومن حسن الحظ هنا أيضا أن الدين الذى يحمله الأبناء عن الآباء فى هاتين الناحيتين قليل القيمة ، وهو لا يفدح إلا فى حالات نادرة . أما الطفولة فتبعتها كبيرة على الآباء . وعبؤها عظيم ، بل عظيم جدا على الأبناء إذا ساء أسلوب العيش فيها . لأن هذا الأسلوب يلازمنا أو يكاد يلازمنا مدى حياتنا . فإذا تعلمنا فى طفولتنا أن نستجيب للعقبات الطارئة بالصراخ والعربدة أو بالبكاء والاستكانة ولم نتعلم مواجهة هذه العقبات فى شجاعة

تحقيقية ، فإننا سوف ننشأ على هذا الأسلوب الذى يشقينا فى الشباب ، بل وفى الكهولة . وقد يكون سببا لأن نعمد إلى الفرار من صعوبات الحياة بالخمر أو أحلام الجنون .

فالحياة الطيبة تقتضى تراثا فسيولوجيا حسنا كما تقتضى طفولة سليمة من الاضطهاد والتدليل . وتبعة ذلك ليست علينا نحن ، بل على آبائنا . ولكن يجب ألا نقطع الأمل فى الإصلاح بعد الفساد . حتى ولوكان هذا الاصلاح شاقا . فإننا كثيرا ما نعالج الأبناء من أمراضهم الميلادية ونقائصهم الموروثة وننجح فى ذلك . كما أن الشاب يستطيع عند ما يبسط صفحة حياته الماضية أيام طفولته أن يعين أماكن النقص فيها و يعالجها و يتغلب عليها .

و إذا تركنا هاتين النقطتين فإن سائر ما نحتاج اليه لكى نعيش الحياة الطيبة هو فى مقدورنا . أو يكاد يكون كذلك . لأن الشاب يختار ويميز و يرفض و يقبل . فهو قد لا يختار مدرسته . ولكنه فى الأغلب يختار الكلية كما يختار مهنته وهوايته ومثلياته . ولسنا نريد أن يفهم القارئ من كلمة الاختيار هنا معنى الاطلاق . كما أننا لا نريد أن ندخل فى النقاش العقيم عن الاختيار والاضطرار . لأننا بالمنطق نستطيع أن نبرهن على أننا لا نختار شيئا . ولكننا بالواقع نحس حريتنا فى الاختيار والتمييز .

فإن الشاب يبدأ حوالى العشرين فى أن يكون لنفسه فلسفة توجيهية فى الحياة . وهذه الفلسفة — التى يرجع معظمها إلى استجابات الطفولة — تعين له السلوك العام فى المهنة والتزوج والثقافة والمثليات والمقام الاجتماعى الخ . وهو إذا كان يقظا متنبها استطاع أن يحسن الاختيار بسهولة أو صعوبة تبعا لأحوال الطفولة .

وتحتاج الحياة الطيبة إلى أن يحسن الشاب اختيار مهنته . وليست المهنة فى اعتبارنا وسيلة الكسب أو تحصيل العيش فقط ، وإنما هى التعبير الاجتماعى عن الشخصية لمحترفها . وهو حين يختارها عن حب وهوى فإنه يسعد بها ، كما أنه يؤديها على أحسن وجه ، بل لعله لحبه لها يرقيها و يرتفع بها إلى أعلى من مستواها السابق . أما إذا كان المقصود منها تحصيل العيش فقط — كما هو الواقع فى كثير من الأعمال التى يمارسها معظم الناس — فإن الشاب هنا يجب أن يتعوض من كراهته لمهنته بما نسميه الهواية . فإذا كان هواه الأصلى فى العلوم ثم اضطرته الظروف إلى عمل آخر يعيش منه فإن عليه أن يجعل هوايته علما من العلوم يشغل به فراغه .

والحياة الطيبة تحتاج إلى الزواج الموفق . وليس شىء يشقينا و يظلم الدنيا فى أعيننا مثل البيت الكريه الذى نجد فيه الزوجة المتأخرة والأولاد الذين لا تتعلق أحشاؤنا بهم . وأعظم ما يكفل لنا السعادة الزوجية هو الاختيار الحسن للزوجة حتى تكون من طبقتنا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فيمتزج الزوجان فى فلسفة توجيهية مشتركة تربطهما معا مصلحة الأولاد .

والحياة الطيبة تحتاج إلى النمو الذى لا ينقطع — النمو فى الثروة والمجتمع والثقافة . ولعل النمو الثقافى هو أعظم هذه الأشياء قيمة، لأنه يرقى أعضاء البيت ويزيد الرؤيا الانسانية صفاء.

ثم هناك أيضا الرقى الروحى بالصلاح والبر . وقد قيل أن الصالح يصلح نفسه ، ولكن المصلح يصلح المجتمع . فيجب لكى نحقق الحياة الطيبة إن نكون صالحين مصلحين نقدم أنفسنا ونرقيها ، ولكن نخدم المجتمع أيضا بأن نتعلق بالمثليات ونتدين ونلتحق بجمعيات البر والخير .

ونقرأ سير الأبرار ونسمو فوق أنفسنا ونباشر الخير بالعمل حتى نحسه بالعاطفة . ويجب أن نقدر المال حق قدره فلا نعطيه أكثر من قيمته ؛ لأننا حين نفعل ذلك يعود هو فيملكنا بدلا من أن نملكه . فيجب أن يكون المال خادمنا وليس سيدنا .

خلاصة القول أن الحياة الطيبة ليست هى على الدوام حياة السعادة ، ولكنها أشرف منها ، وهى تحتاج فى أوجز كلام إلى :

(١) تراث السلامة الجسمية والعقلية من الآباء .

(٢) طفولة سليمة تربية .

(٣) اختيار حسن للمهنة التى نحب .

(٤) استخدام حسن للفراغ الذى قد يعوضنا من سأم المهنة التى لا نحب . وذلك باختيار هواية .

(٥) زواج موفق .

(٦) نمو ثقافى .

(٧) صلاح وإصلاح وتدين .

(٨) فلسفة توجيهية حسنة كأنها البوصلة التى تسترشد بها سفينة حياتنا .

سلامه موسى

# حلقات المستمعين

## لمحطات الإذاعة

ليست محطات الاذاعة مدارس أو جامعات للتعليم والتثقيف ولكنها تأخذ على نفسها هـذه المهمة الى حد بعيد . و جمهورها هو فى الأغلب جمهور الشبان والسـيدات والأوانس والكهول الذين تركوا المدرسة أو الجامعة . ولذلك تتكيف أحاديثها بالوسط . فهى تخاطب المستمعين على قدر ثقافتهم ، وهى أحيانا قد تحتاج الى أن تخاطب الأميين .

وتمتاز أحاديث المحطات بعصريتها أى بعلاقتها باهتمام الجمهور . ولكن لفظة "الاهتمام" تحتمل التوسع فى التفسير ، بل يمكن للمحطة النشطة أن تبعث هذا الاهتمام إذا لم يكن موجودا من قبل . فقد تنتهز الفرصة لتثقيف المستمعين عن تاريخ المصريين القدماء لظهور كتاب جديد أو لكشف حديث عن آثارهم . كما تنتهز الفرصة لدرس كثير من الكيمياء والطبيعيات عن سبيل شرح البوارج والغواصات وتركيب القنابل . كما أن أزمة فى القطن يمكن أن تكون سـببا لبحث الممكنات الاقتصادية للزراعات الأخرى أو للحصولات الصناعية التى تزاحم القطن ، وهلم جرا .

ولا نكران فى أن الجمهور الكبير ينظر الى محطة الاذاعة من حيث انها مصدر للاستمتاع والتفكه والتسلية . ولكن هناك جمهورا آخر ينتظر الإرشاد والتعليم والتثقيف ، وهذا هو الجمهور الذى نقصد اليه فى هذه الكلمة .

فقد شاعت فى جميع أنحاء العـالم المتمدن ما يسمى "حلقات المستمعين" . ففى الأندية والمدارس والجمعيات والقرى تؤلف جمعيات يتراوح عدد أعضائها من عشرة الى خمسين أو مئة عضو . وقد يكون لهؤلاء مرشد يعين بأجر أو قد يتطوع أحدهم للارشاد بالمجان . ثم تختار هذه الجماعة سلسلة من الأحاديث تتفق واهتمامها .

فهنا جماعة تدرس السياسـة العالمية وتستمع الى المحطات الأجنبية ، وهى تؤلف حلقة فى جمعية للشبان أو الموظفين .

وهنا جماعة أخرى فى أحد الأندية للسـيدات تدرس سلسلة أحاديث عن الأسرة والزواج أو صحة الأولاد أو طرق الطبخ الجديدة .

وثم جماعة ثالثة تتتبع أحاديث خاصة عن التاريخ أو الأدب أو العلوم .

بل هناك جماعة القرويين الذين تفشو بينهم الأمية . وهؤلاء أيضا تؤلف منهم حلقة المستمعين لكي يستمعوا الى أحاديث محلية عن سير الحوادث الجارية أو عن الحرب أو عن الزراعة .

وأعظم ما تحتاج اليه "حلقة المستمعين" هو المرشد . وهذا المرشد يجب أن يزن و يقيس الكفاءات والاستعدادات فى أعضاء الحلقة . فاذا كانت هذه الحلقة فى ناد من أندية الشبان فى القاهرة فانه يحتاج الى أن يزود المستمعين بطائفة من الكتب لكى يتوسعوا فى موضوع الاذاعة إذا شاؤوا . بل هو قد يحتاج الى خرائط وصور . فالحلقة تعقد فى ميعاد الحديث وتستمع له . فاذا انتهى المحدّث نهض المرشد وقام بالتلخيص وابراز النقاط الهامة . ثم يستمع الى مناقشة الأعضاء و يجيب على الأسئلة و يعين أسماء الكتب التى ينتفع بها فى التوسع ، وليس المرشد هنا محاضرا أو محدثا آخر ، فهو لا يسهب فى الشرح ولكنه يعين الاتجاهات و يبين المعالم حتى يبعث النشاط والاهتمام وهو يأخذ ويعطى و يسمع ويتكلم . أما اذا جعل من نفسه محاضرا أو محدّثا آخر فان أغلب الأعضاء يسأمونه و ينفضون عنه .

فاذا كان هذا المرشد فى بيئة قروية فان عليه أن يشرح كثيرا وأن يقوم هو نفسه مقام الكتب التى يعينها للقراءة مرشد آخر فى القاهرة أو الاسكندرية حيث البيئة مثقفة .

وهذه الحلقات تنظم للشباب بل للكهول من الرجال والنساء أحاديث الإذاعة . وتصل بين المستمعين و بين المحطة . فيتبادل الاثنان التفاهم ويتفاعلان ، ومن هذه الحلقات تعرف المحطة ماذا يحتاج اليه الجمهور من ألوان الثقافة المنيرة المتعة وبأى أسلوب يطلبون هذه الثقافة وما هى المدة الملائمة . بل إن بعض الحلقات يمكنها أن تقترح دراسات جديدة مع أسماء المحدّثين الذين يحسون عندئذ أن أحاديثهم لا تلقى جزافا لمن يستمع بل إن هناك حلقات تنتظر وستنقد وستتصل بالمحطة وتطلب الزيادة هنا والتوسع هناك .

ونظن أن أندية القاهرة مثل نادى الموظفين وأندية السيدات وجمعيات الشبان المسيحية وجمعيات الشبان المسلمين يمكنها أن تشرع من الآن فى إنشاء هذه الحلقات .

ونحن نعتقد أنه إذا تألفت هذه الحلقات فى المدن بل فى القرى المصرية لكان من أثرها العاجل تنظيم الأحاديث على نحو جديد يتلاءم وحاجات الجمهور . فان المحدّث مثل الكاتب كثيرا ما يأخذه الزهو فيعمد إلى التفيهق والتشدق وينسى مقامه من المستمعين وهو مقام المعلم المنير أو المسامر المسلى . وهذه الحلقات تنبه أمثال هؤلاء المزهوين وتطالب بالمنفعة أو التسلية .

# فى أحضان الجليد

بقلم حسن الشريف

سكوت Scott قبطان من قباطين البحرية البريطانية، لاشيء فى ماضيه يلفت النظر اليه أو يميزه من غيره أو يعينه للمركز الذى قدر له أن يشغله فى التاريخ .

تنظر إلى صورته فترى وجها جامدا وقورا يحمل على الثقة والاحترام ، وعينين واسعتين حديدتى البصر رماديتى اللون تقرأ فيهما الاعتزاز بالنفس وقوة الإرادة ، وشفتين مطبقتين رفيقتين تمـان على الاصرار والمثابرة وقوة الشكيمة وشدة المراس .

وتنظر إلى خطه فيما يقع تحت يدك من كتابته فتقرأ كتابة مستقيمة واضحة لازواق فيها ولا زخرف ، تنبئك أن صاحبها رجل عملى صريح يواجه الأمور من نواحيها الجدية ولا يأخذ منها بغير المنتج والمفيد .

وتقرأ المذكرات التى خلفها عن رحلته إلى القطب الجنوبى، فتقرأ أسلوبا كأسلوب التقارير الرسمية : مختصرا سريعا خلوا من التخيل والمبالغة ولا أثر فيه من التعمل والصناعة ، ولكنه بالرغم من ذلك أسلوب محكم قوى مؤثر يقنعك ولا يغويك و يستدرجك ولا يستهويك .

وانك لتتأمل فى كل ذلك فتخرج منه بأنك حيال رجل من أولئك المقاديم الأجرياء الذين يظهرون الفينة بعد الفينة فى حياة الشعب الانجليزى فيعيشون عيشة الأبطال ويموتون ميتة الأبطال ولو أنهم لايعرفون فى انفسهم تلك البطولة التى يعترف لهم بها الناس . وهؤلاء المقاديم الأجرياء هم الذين شيدوا الامبراطورية البريطانية .

كان سكوت قد صحب الرحالة شاكلتن فى رحلة غير موفقة لاستكشاف القطب الجنوبى لم يستطع أن يمضى فيها إلى أبعد من خط العرض السابع والثمانين . ولكن الخيبة التى منيت بها تلك الرحلة والتى من شأنها أن تحطم عزيمة أقوى الرجال ، لم تثن همتـه ولم تفل إرادته بل حملته على التفكير فى القيام برحلة جديدة لعلها تنال حظا من التوفيق .

وإذ كانت مغامرة شاكلتن قد أتاحت له أن يعرف أسباب فشلها ووسائل تجنب هذه الأسباب، وأن يدرك صعوبات المناطق المتجمدة ومايقتضيه ارتيادها من التأهب والاستعداد، فقد أخذ يدرس مشروعه على ضوء تلك التجارب والمعلومات كما يدرس رجل المـال عملية

تجارية فيضمنها ألف حساب لألف محذور، أو كما يدرس القائد خطة حربية فيتخذ مالا نهاية له من الاحتياطات توقعا لما لا نهاية له من الطوارئ أو المفاجئات .

كان يعلم أن الرحلة كما تصورها تستغرق بضع سنين وتطلب كثيرا من التكاليف وطائلا من المال ، فباع كل ما كان يملك، واستدان ما استطاع أن يستدين، وشرع يعد العدة ويتخير الأعوان . فلما تمت له الأهبة واجتمع حوله الرفاق ، ودع زوجته الشابة وطفله الرضيع وأقلع فى اليوم الأول من شهر يونيه سنة ١٩١٠ موليا وجهه شطر البحار الجنوبية والعالم المجهول.

سارت به السفينة تحمل عشرين رجلا من خيرة العلماء المتخصصين فى مختلف العلوم ، وعددا كبيرا من الكلاب والبراذين المدربة على حمل الأثقال وجر الزلاقات ، ومعملا للطبيعة والكيمياء مستكملا أحدث الأجهزة والعدد والآلات ، ومكتبة عامرة بالكتب فى كل فرع وباب ، وكلا وألواحا من الخشب وأدوات كاملة للبناء وخياما وحبالا وأوتادا وأسلحة وكل ما تحتاج اليه الرحلة من طعام وشراب ولباس وغراء .

ولعل القارئ يعرف أن ديسمبر ويناير هما عز الصيف فى المنطقة المتجمدة الجنوبية لأن الشمس تسطع فيهما بضع ساعات من النهار فتنير بياض الأرض بنورها الباهت وتبعث فى الكائنات دفئا نسبيا يلطف من قسوة البرد وشدة الزمهرير .

ولقد بلغ سكوت وأصحابه حدود تلك المنطقة فى أواخر شهر يناير من عام ١٩١١ أى بعد انقضاء الصيف، فتعين عليهم أن ينتظروا الصيف الجديد فى ذلك المكان حتى يتيسر لهم أن يجتازوا الشقة التى تفصلهم عن القطب فى ضوء الشمس ودفئها .

وغادر القوم سفينتهم ونزلوا فوق الجمد وشيدوا عليه بيتا من الخشب يختلف عن ذلك الذى ابتناه شاكلتن بما أدخل عليه من مستحدثات السكنى ومبتدعات المدنية لترفيه الحياة وتوفير أسباب الراحة فى الاقامة . فبعد أن كان سابقوهم إلى تلك الأصقاع يستضيئون بمسارج ذات فتيل ينبعث منه سخام كثيف ورائحة تؤذى الأنوف ويقضون أشهر الانتظار فى غسق دائم لا يعملون شيئا ولا يتلهون بشىء، صار هؤلاء يستصبحون بغاز الاسيتيلين الذى ينشر النور الأبيض والدفء بين جدران الحجرات ، ويتلهون بما تعرضه الآلات السينمائية على أعينهم من مناظر البلدان والناس ، ويغنون على نغمات البيانو ويستمعون إلى ألحان الجراموفون ويطالعون الكتب التى أتوا بها فتمدهم بما هم فى حاجة إليه من المعلومات .

وقد قسم البيت إلى غرف منها ما هو للنوم أو لتناول الطعام ومنها ما أعد للأشغال والدراسات . فهذه غرفة للأعمال الكتابية صفت فيها المكاتب والآلات الكاتبة ، وتلك غرفة مظلمة لتحميض الأشرطة والصور الفوتوغرافية ، وهذا مرصد للأحوال الجوية

والظواهر الطبيعية ، وهنا معمل للاختبارات والتحاليل الكيميائية ، وهناك معمل للأبحاث الجيولوجية يفحص فيه العالم المتخصص فى علم طبقات الأرض ما صادفه من المواد المعدنية الغريبة ، وذلك معمل آخر يلاحظ فيه عالم الحشرات ما لقيه من الطفيليات على أجسام الطيور القطبية المعروفة باسم "البطريق" "Pingouin" .

وإذ كان لا يزال بينهم وبين حلول الصيف أشهر طويلة يقضونها فى هذا المكان، فقد وزعت عليهم الأعمال وقسمت بينهم الواجبات وتعين على كل من العلماء أن يوافى زملاءه بما تصل اليه معلوماته ومباحثه وتجاربه فى أثناء النهار . فكانوا يجتمعون كل ليلة بعد العشاء ليستمعوا إلى أحدهم يحاضرهم فى موضوع علمى أو يطالعهم بشىء جديد . فإذا كان الصباح خرجوا للرياضة أو للاستكشاف جماعات فيتدربون على الانزلاق ويحفرون الجليد ليفحصوا طبقاته ويسوقون الزلاقات تجرها الكلاب أو البراذين ويجربون نصب خيامهم فى العراء ليعرفوا مبلغ مقاومة أوتادها لهبوب الرياح . فإذا أقتم الجو وأقبل الليل عادوا إلى البيت فرحين متهللين . وإن لمن الشائق حقا أن نقرأ بقلم القبطان سكوت تعليقاته اليومية على أشياء وحوادث تبدو لنا حقيرة أو تافهة ولكن لها فى حياتهم العجيبة أهمية كبيرة . فموت برذون أو طفو حوت أو اجتماع عدد من البطاريق حادث جدير بالذكر يدعو إلى الاهتمام . أما ظواهر الطبيعة التى تبهر العقول والأنظار كالفجر القطبى وتفاعل أضواء الكواكب على بياض الثلج أو أعراض الجو التى تفتك بالجسم وتشل الحركة ، فأشياء عادية لاتستحق التدوين .

انقضت أيام الخريف والشتاء والربيع مابين فبراير ونوفمبر على هذه الحال . حتى إذا كان يوم من أيام شهر أكتوبر خرجت سيارة منهم للاستكشاف ناحية الغرب فإذا بها تعود مسرعة وتنبىء الجماعة أنها عثرت هنالك بخيام، وأن هذه الخيام للرحالة النرويجى "أمندسن" وقد خلفها وراءه ليستخدمها عند العودة .

وكان سكوت يعلم أن أمندسن قد اعتزم القيام برحلة الى القطب ولكن لم يدر بخلده أن هذا المنافس قد اختار لرحلته نفس الوقت الذى اختاره . فلما جاءه اخوانه بهذا النبأ هاله الأمر ونشر الخارطة وبحث عن النقطة التى عينها أصحابه وقالوا إنهم وجدوا فيها الخيام فعلم أن النرويجى قد قصد الى القطب من طريق آخر وأنه سبقه اليه بمرحلة لا تقل عن مائة وعشرة كيلومترات .

ولو أن الصاعقة نزلت على رأس سكوت لما أفزعته كما أفزعه ذلك الخبر ، فبات ليلته يتلوى على فراشه كالملسوع لا يغمض له جفن الا ليرى شبح أمندسن وهو يسير أمامه الى الهدف وينشر راية بلاده على ذلك المكان من الأرض الذى لم تطأه قبله قدم إنسان .

وهنا يتناول سكوت يومياته ويكتب : " جئنا فى رحلة فإذا بنا فى سباق . إن أمندسن يتقدمنا بمسافة لا يستهان بها ولكن يجب أن نسبقه و إلا فلا خير فى كل مافعلناه حتى الآن" ثم يهيب باخوانه النيام : " هيا أيها الرفاق فان شرف انجلترا رهين ماتحرزون من نجاح" .

ولشدما سر القوم عندما هبوا من نومهم ونظروا الى الأفق فرأواه مكللا بكلة متعددة الألوان زاهيتها تبهر العين وتملأ النفس روعة و بهجة . ذلك هو الفجر القطبى الذى ترسم ألوانه أضواء الشمس من وراء الأفق على أديم السماء فيظل منظرها البديع ماثلا أمام العيون حتى يطل القرص الذهبى من ثنايا تلك الكلة فيبددها شيئا فشيئا .

ويملأ القوم نواظرهم بهـذا المشهد الأخاذ بشير ظهور الشمس بعد احتجاب تسعة شهور، وتتهلل وجوههم عندما يتكشف الأفق عن قرص الشمس الذى يرسل أشعته فيغمر ذلك السهل الفسيح ويكسوه من نوره الباهت مايكسبه لون المعدن البراق .

لقد دقت ساعة المسير بعد طول القعود وآن للقافلة أن تبدأ رحلتها نحو القطب فالصيف قصير والأيام المشمسة قليلة وهنالك أمنـدسن يسرع الخطو ويحاول أن يكسب الشوط فى ذلك السباق الرهيب .

وينظم سكوت خطة السير للذهاب والعودة ، فيقسم الطريق الى محطات بين الواحدة والتى بعدها سفر يومين، ويجعل عند كل محطة مستودعا للزاد والثياب والبترول. ويرى أن القافلة لا تستطيع أن تحمل معها مايكفيها من المؤونة والأمتعة طيلة الأسابيع التى تستغرقها الرحلة، فيقرر أن يؤوب عشرة من الجماعة من منتصف الطريق على أن يلحق بهم خمسة أخر عندما يبلغون خط العرض السابع والثمانين ويمضى الخمسة الباقون الى القطب بما يكفيهم وحدهم من المؤونة فى الذهاب والإياب .

وتبدأ القافلة سيرها فى اليوم الأول من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ، فتنطلق الزلاقات الميكانيكية فى الطليعة وتتبعها مركبات النقل الثقيلة تجرها البراذين ثم مركبات النقل الخفيفة تجرها الكلاب . ولكن القوم لايكادون يقطعون المرحلة الأولى حتى تواجههم المشاكل والصعوبات فتتعطل محركات الزلاقات فيضطرون الى التخلى عنها وتركها فى الطريق، ويتضح لهم أن البراذين التى أتوا بها من سيبريا لا تقوى على تحمل المشاق بالقدر الذى توهموه فيضطرون الى قتل مايمرض منها والقائه طعاما للكلاب، ويشتد عليهم البرد وتسوء حالة الجو فلا يتمكنون من قطع ثلاثين كيلو مترا فى اليوم وقـد كانوا جعلوا حسابهم على أن يقطعوا أربعين . وتتراكم على نفوسهم فوق هذه الهموم المـادية هموم معنوية تتزايد وتتكاثر كلما ذكروا أن العدو النرويجى يجد فى السير وقد يبلغ القطب قبل أن يبلغوه . وتتعاظم فى نظرهم أقدار الأشياء التافهة

حتى ليروا الخطر الأكبر فى أصغر الحوادث : فموت بزون أو فرار كلب أو امتناع دابة عن الطعام حادث يزعج النفس ويشغل البال، وريح تهب أو عاصفة تثور أو سماء مربدة بالغيم قد تعوق السير وتؤدى الى القعود، وهل بعد القعود الا الخيبة والخذلان؟ ألم يتحول مجرى التاريخ وينقلب مصير أعظم الرجال ويتغير مآل أكبر الحوادث فى لحظات مشئومة طرأت فيها طوارئ لم تدخل لفرط تفاهتها لأحد فى حساب ؟

وتعتل حواس الرحالين وتتناقص قواهم بفعل عناصر الطبيعة فيضعف نظر بعضهم من شدة لألاء الجليد تحت أشعة الشمس وتتجمد أطراف آخرين من قسوة البرد وفعل الزمهرير .

ويبلغون منتصف الطريق وهم على هذه الحال من الضنى والشقاء فينفصل فوج العشرة الأول عن الجماعة ويقفل راجعا، ويستأنف العشرة الأخر المسير ليقتحموا أسوار الجليد التى تحجب منطقة القطب عن الأبصار . وهنا يتعذر المضى فى الطريق اذ الجمد صلب مغطى بقشرة خشنة محببة بحبوب ذات رءوس حادة كرءوس الحراب تعوق انزلاق الزلاقات وتفرى مراكبها فتتساقط البراذين على الأرض أعياء وتقصر قوى الكلاب عن جر المركبات فيجرها الرجال . ولا يزالون كذلك يغالبون الطبيعة الجائرة ويقطعون من الطريق مراحل قصيرة حتى يبلغوا خط العرض السابع والثمانين وهو النقطة التى انتهت اليها رحلة شاكلتن والتى عينها سكوت ليتخير عندها الأربعة الذين يرافقونه الى القطب ويفصل عنه الخمسة الذين يعودون ليلحقوا بزملائهم الأولين .

ويقع اختيار سكوت على أربعة هم أوتس وباورز وويلسن وايفانس ويقف إلى جانبهم ليودع الخمسة المحكوم عليهم بالعودة فيقرأ فى أعينهم الحسرة التى تنهش أفئدتهم وهم يحرمون شرف الوصول الى القطب مع اخوانهم وقد صاروا منه جد قريبين، فيتسامى الدمع الى عينيه ولكنه يحبسه فى مآقيه ويسرع فى توديعهم ويجز الأربعة المختارين وراءه جرا حتى لا يطول ذلك المشهد الأليم . وتفترق الشرذمتان فتتجه الواحدة جنوبا صوب المجهول وتتجه الثانية شمالا صوب الجماعة والأمان ، وتظل كل واحدة منهما تتلفت الى الأخرى ملوحة بالأيدى والمناديل حتى تغيب عن نظرها . وعندئذ تمحى الابتسامة المفتعلة من شفتى سكوت ويعود اليه عبوسه وقطوبه فيضرب الجليد بعصاه ويصيح : الى الأمام .

ويمضى الخمسة فى سبيلهم الى القطب كخمس نقط سوداء مبعثرة فى ذلك القفر الابيض الذى لا تشوف العين أوله ولا تأتى على آخره، يستنشقون هواء مثلجا لم يستنشقه قبلهم انسان منذ خلق الله الأرض ومن عليها . فاذا وقب الليل نزلوا من زلاقاتهم ونصبوا خيامهم وأقاموا من الجليد سورا يقى الدواب عتو الريح الباردة ودخلوا فى أكياس مبطنة بالفرو يربطونها عند الرقبة ويستلقون على فراشهم الى الصباح .

وتستولى على نفس سكوت فى تلك الأيام الأخيرة حالة قلق شديد لعلها حالة من يشعر أنه شارف الغاية وقارب النهاية، فيطيل النظر الى البوصلة ويرى عقربها الأزرق يضطرب على ميناتها البيضاء ويزداد اضطرابا كلما اقترب من القطب، فيتساءل فى يومياته : " أليس لهذا العناء من آخر؟ " ويقيس على الخارطة المسافات الباقية ويدونها يوم بعد يوم فيكتب فى جريدته : " لازلنا على بعد مائة وخمسين كيلو مترا وأغلب ظنى أننا لن نصل الى نهايتها إذا استمرت الحال على ماهى عليه ". ويسيرون يومين فيقعد بهم الإعياء فيصيح : " أمامنا مائة وسبعة وثلاثون كيلو مترا، ما أطولها وأقساها ! " ويستأنفون المسير ويشتد بهم القلق على المصير فيكتب : " لم يبق سوى ثمانين كيلو مترا ونبلغ القطب، فماذا يكون لو قدر علينا ألا نبلغه ؟ " ، ثم يتسرب الى نفسه القلقة شعاع من الأمل يضيئها فيهتف من أعماق قلبه " العون يارب على السبعين الباقية ! " حتى إذا لم يبق غير خمسين كيلو مترا ملأ الأمل فؤاده فيصيح : " الشقة الباقية وعرة ولكن الظفر قريب وإن هو الا مجهود أخير وتكلل الرحلة بالفوز فنرفع الستر الذى يغطى هذا الجزء المجهول من جسم الأرض " .

وفى السادس عشر من شهر يناير سنة ١٩١٢ يهبون من نومهم مبكرين وقد انتزعتهم الآمال من أكياسهم قبل الميعاد الذى ألفوا أن يستيقظوا فيه، ويسيرون جادين فى السير حتى يقطعوا المرحلة الأخيرة ولا يبق بينهم وبين المحور الذى تدور الأرض حوله الا مسافة يأتون على آخرها فى ساعة وبعض الساعة فيأبون الا أن يجتازوها راجلين .

لقد تمت المعجزة أو هى على وشك التمام وصار النجاح أمرا أكيدا لاسبيل الى الشك فيه فالى الأمام !

ويسير سكوت فى الطليعة ويحدق النظر فى الأفق فيرى شيئا لايعرف ماهو ولكنه شىء كالنقطة السوداء فى نهاية ذلك البياض المترامى الأطراف، فيستولى عليه قلق لا يلبث أن يستحيل خوفا ثم ذعرا ثم هلعا، وتعتريه رعدة يحاول أن يغلبها فتغلبه ، ويجيل حدقتيه فيمن وراءه فيراهم أيضا قد شخصت أبصارهم الى ذلك الشىء يريدون ان يتبينوه، فيسائلهم بالنظرات ولكن أعينهم تحاشى التلاقى بعينيه ، ثم تمتقع وجوههم ويستغرقون فى ذهول شديد .

ويمعنون فى السير وكل منهم يخادع نفسه فيما يرى ويريد أن يكذب بصره فيعتصم بالصمت ويوسع خطاه ويسائل الله فى سره : " ماهذا الذى أرى يارباه ؟ " .

ويستجمع " باورز " شجاعته وينظر الى صاحبه " أوتس " ويقول : " هل ترى شيئا ؟ " فيجيب أوتس وهو يتلعثم وقد جف لعابه فى حلقه وتحشرج صوته فى حنجرته :

"نعم ولعله شق فى الجمد أو سراب أحدثه تفاعل الألوان". ويمد سكوت عينيه ويقف بغتة ويترنح على ساقيه وينشر ذراعه ويشير بأصبعه الى الشيء ويقول : " إنها راية " .

ويوقن كل واحد من الخمسة أن الفكرة التى ساورته قد ساورت جميع الاخوان ، وأن أحدا منهم لم يكن واهما ولا مخدوعا عندما أدرك أن النقطة السوداء ليست سوداء وإنما هى ذات ألوان ، فيندفع سكوت عدوا الى الأمام ويجرى وراءه سائر الرفاق يريدون أن يستجلوا الحقيقة ويقطعوا الشك باليقين .

ويزول الشك أمام الحقيقة الماثلة وينهار صرح الأمل من وقع صدمتها الهائلة . فان الشيء الذى ودوا لو يكون سرابا أو شقا فى الجليد لم يكن إلا علم بلاد النرويج وقد علقه امندسن فوق سيارية غرسها فى الجمد ليسجل لنفسه استكشاف القطب الجنوبى وليسجل لبلاده احرازها قصب السبق الى امتلاك هذه الأصقاع .

إذن فقد وصل سكوت مصليا فى حلبة لا اعتبار فيها الا للجلى فما قيمته بعد ذلك وماقيمة رحلته وبلوغه القطب مادام غيره قد سبقه اليه ؟

وينظر القبطان الى أصحابه فيرى وجوها كاسفة وسحنا علاها الذهول فيتغلب على يأس نفسه ويحاول أن يسرى هم رفاقه فيبتسم ويقول : " لو أنا قصرنا أيها الاخوان لحق لنا أن نحزن ، ولكن ما حيلتنا إذا كان غيرنا أسعد منا حظا وأكثر توفيقا ؟ " .

يا خيبة الأمل ويا ضيعة الرجاء ! أمن أجل هذا باع ما كان يملك واستدان ؟ أمن أجل هذا هجر زوجته وطفله وتحمل أشق الجهود وأقسى الآلام ؟ أمن أجل هذا فقد منصبه فى البحرية وضحى برزق عياله وأضاع من عمره حولين فى هذا القفر القاتل ، وبين تلك الأهوال الشداد ؟

كانت بالقرب من السارية التى تحمل العلم خيمة منصوبة فدخلها فوجد كتابا فى غلاف مثبت بمسمار فى عمود الخيمة يحمل امضاءة امندسن ، وقد كتب على الغلاف : " قد أقضى نحبي وأنا فى طريق عودتى الى بلادى ، فأرجو من أول انسان يصل بعدى الى هذا المكان أن يحمل هذه الرسالة الى الملك هاكون ملك النرويج " .

ويضع سكوت الرسالة فى جيبه ويقسم ليحملنها بنفسه الى الملك شاهدة على فشله وفوز منافسه ، ويقف هنيهة يجيل الطرف فى هذه البقعة التى يسميها الجغرافيون طرف المحور فيلاحظ فى أرضها آثار أقدام ودمنا ومخلفات تدل على أن الذين أتوا قبله الى هنا لم يسبقوه إلا ببضعة أيام ، فتنطلق من صدره زفرة حارة وينظر الى القطب نظرة عاتبة ، نظرة المحب الى المحبوبة التى كان يحسبها بكرا معصومة ، فاذا هى قد استبطأته فاستسلمت لأول طالب ، فيحول عينيه عنه ويهيب بأصحابه : " هيا أيها الرفاق " .

ويتناول العلم البريطانى ويغرس ساريته فى الجليد الى جانب علم الترويج ويلقى على العلمين نظرة أخيرة ويعود أدراجه منكس الرأس محزون النفس مكلوم الفؤاد .

أما القطب الخائن فلا يستحق منه بعد ذلك اهتماما ، فهو لا يصفه ولا يتحدث عنه فى مذكراته بغير هذه الكلمات : " ليس فى هذا المكان ما يستوقف النظر ولا ما يغير شيئا من مناظر هذه المنطقة الرتيبة المتشابهة " .

وتنطلق الجماعة صوب الشمال والريح الباردة العاتية تدفع ظهورهم الى الأمام فيعود القلق الى نفس سكوت فيكتب فى يومياته كما لو كان حجاب الغيب قد انقشع أمام عينيه : " إن العودة تخيفنى وانى لمتوجس منها شرا " .

وتتضافر عليهم الصعوبات والمخاطر فى طريق العودة : لقد كانت البوصلة تقودهم فى الذهاب . أما فى الإياب فعليهم أن يسلكوا نفس الطريق الذى أتوا منه وأن يقتفوا الآثار التى خلفتها أقدامهم على الجليد لتهديهم الى المحطات والمستودعات ، فلا عجب أن هلعت قلوبهم ، كلما ثارت زوبعة من الثلج فزوابع الثلج تغشى الأبصار وهم ان ضلوا السبيل ساروا الى الهلاك ما فى ذلك شك ولا ريب . وبعد فقد فقدت أجسامهم كثيرا من نشاطها ومن قدرتها على المقاومة وباتت لا تحتمل ما كانت تحتمله حين توافر الطعام الدسم الوفير . ولو أن الخطب وقف عند حد الجسوم لهان ، ولكن ارادتهم قد وهنت واعتلت كأنما حطمت الخيبة زنبركها وكسرت نابضها فهى توشك أن يصيبها العطل وتقف عن الدوران .

لقد كانوا فى الذهاب يسعون الى تحقيق أمل عز تحقيقه على بنى الانسان ، وكانوا يريدون أن يسبقوا الأمم الى هذه القارة المجهولة ليقترن اسم انجلترا بأعظم استكشاف جغرافى عرفه التاريخ ، فكانت هذه الاعتبارات السامية تضاعف قواهم وتمدهم بالصبر والمثابرة ، كلما أجهدهم السير أو قعد بهم الإعياء . أما الآن ويا حسرتاه فليس ثمت فكرة عزيزة تقودهم ولا غرض عظيم يسعون إليه ، وهم إنما يجاهدون الطبيعة ويكافحون عناصرها لينقذوا أرواحهم من الهلاك ، ولكن ما قيمة الأرواح بعد هزيمة تقصم الظهر وخيبة تبغض الإنسان فى الحياة ؟

وتسرد "اليوميات" تفاصيل مأساة العودة وإنها لمأساة تستثير الشجن وتدمع العيون : حالة الجو تسوء وتزداد سوءا يوما بعد يوم ، وقد عاجل الربيع القطبى تلك الأرجاء وربيع القطب كشتائه يشتد فيه البرد وتكثر الزوابع الهوج فيملق الثلج بنعالهم وينجد عليها فينقل خطوهم ويعوق سيرهم فلا يبلغون أحد مستودعاتهم إلا بشق النفس وبعد الجهد العسير . ولكنهم كانوا يتواصون بالصبر والشجاعة على تحمل المشاق والآلام . ولم تكن وعثاء السفر

ووعورة الطريق لتصرفهم عن أن يستفيدوا من رحلتهم كل ما يمكن أن يستفاد . ولعمرى أن قارئ " اليوميات " ليقف إجلالا لتلك البطولة المعنوية التى كانت تجعل أولئك الخمسة المستهدفين لكل أنواع الموت المشردين فى ذلك القفر النائى ينسون ذواتهم ويتلكؤون فى الطريق ليفحصوا ظاهرة طبيعية غريبة أو ليلتقطوا معدنا جديدا يضيفونه الى المجموعة التى تصيدوها فى الذهاب والإياب . ومن ذا الذى لا يخنى احتراما لذكرى العالم الجيولوجى ويلسن عند ما يعلم أنه بدلا من أن يتخفف من أثقاله قد زادها ستة عشر كيلوجراما من المعدنيات ؟

بيد أن شجاعة الانسان لا تثبت طويلا أمام قسوة الطبيعة ، ولقد أشهرت الطبيعة على الخمسة المستشهدين كل أسلحتها الفاتكة : البرد والريح والجليد فأذبلت جسومهم وأنهكت قواهم ثم جاءت قلة الزاد فزادتهم نهكا وذبولا إذ اضطرتهم إلى التوجب والاقتصاد .

ولقد هالهم يوما أن رأوا صاحبهم ايفانس — وكان أكثرهم نشاطا وأقواهم بنية — يترنح فى مشيته ويأتى بحركات غريبة ويدور حول نفسه ويتلفظ بكلام غير ذى معنى وينظر إليهم كالمشدوه . لقد جنّ الرجل من فرط العذاب فهل يقتلونه ليريحوه كما لو كان كلبا أو برذونا أو يمكثون إلى جانبه فيهلكوا جميعا أو يحملونه معهم وهم لا يقوون على حمل ما لا غنية عنه من الزاد والمتاع ؟

ولكن هذا الهم لا يطول إذ يوفر ايفانس على أصحابه مشقة التفكير فى حالته ويسقط ميتا فى السابع عشر من شهر فبراير فيحفر له الأصحاب قبرا فى الجليد ويهيلون عليه الثلج ويغادرونه والأسى يقطع منهم نياط القلوب .

ويستأنفون السير بعد إذ صاروا أربعة حتى يبلغوا المستودع فيجدون كمية البترول المودعة فيه قليلة لا تكفى فيضطرون إلى الاقتصاد فى إحراقها للتدفؤ وإلى تقسيمها على عدد الأيام التى سيقيمونها فى المحطة ، والبترول هو الوسيلة الواحدة للحصول على الدفء فى تلك الأصقاع التى لا سبيل فيها الى شىء من سائل التدفئة الحديثة .

ويجدون فى المسير أياما أخرى ويبلغون المستودع الأخير ولا يبقى بينهم وبين الرفاق المنتظرين عند بداية خط السير سوى مسيرة يومين أو ثلاثة أيام ، ولكنهم يلاحظون أن كمية البترول المودعة فيه أقل من تلك التى وجدوها فى سابقه ، فيتبدى أمامهم شبح الموت باسطا ذراعيه ويبدأ الخوف على الحياة يدب الى قلوبهم واليأس من النجاة يستحوذ على نفوسهم ، فيحاول القبطان سكوت أن يشجعهم أو يهدئ من روعهم ولكنه اذا خلا بنفسه وأوراقه لم يسعه الا أن يدون الحقيقة التى يلمسها ويراها ماثلة أمام عينه ، فيكتب فى يومياته :

" لا أظننا نصبر على هـذه الحال طويلا " ثم تتعدد صيحات الألم فنقرأ : " أغلب ظني أن هذه المغامرة ستنتهي الى مأساة " ، " أدركنا برحمتك يارب فقد صرنا لا ننتظر العون من انسان " ، " لقد بلغت أرواحنا الحلاقيم " . ثم يواجه الحقيقة المفزعة فيقررها بذلك الجأش الرابط الذى نعرفه فى الانجليز فيقول : " نحو صائرون الى الموت " .

ويصحون من نومهم متجمدى الأطراف متصلبي المفاصل لا يقوون على النهوض بله المشي فيسيرون متثاقلين ولكنهم لا يكادون يخطون بضع خطوات حتى يروا أن صاحبهم أوتس قد بلغ به الأعياء حدا جعله يجر قدميه ويمشي وراءهم كمن تنوء به أحمال ثقال ، ثم يرتمي على الأرض ويتمتم بصوت خافت : " دعونى هنا وليكتب الله لكم السلامة " . وهنا يقع الثلاثة الآخرون فى حيرة جديدة ، فلا قلوبهم تطاوعهم على تركه ولا هى تطاوعهم على المكث معه فى ذلك المكان الذى تهبط درجة الحرارة فيه الى الثانيـة والأربعين تحت الصفر . ويشعر الرجل أنه صار عبئا على إخوانه بعد أن كان عونا لهم ، ويرى أن بقاءه بات خطرا على حياتهم فيتوسل اليهم أن ينجوا بأنفسهم فيأبون فيحمل نفسه من الجهد ما لا تطيق ويظل يجر قدميه وراءهم الى أن تخـذله ساقاه فيقع فيعودون به الى المستودع ويقضون ليلتهم وهم يقاسون الام البرد الشديد .

وقبيل الصبح يرون وتس ينهض من فراشه ويتسلل الى خارج الخيمة فيسألونه الى أين ؟ فيجيب : " سأغيب عنكم قليلا فـلا تقلقوا " فتعتريهم رعدة وتذوب حبات قلوبهم إشفاقا عليه ويعلمون ما وراء خروجه ولكن أحدا منهم لا يقوى على أن يمسك به ليمنعه ولا أن يمد اليه يدا للتوديع ، فيدعونه يذهب الى المصير الذى رضيه لنفسه ولا تمضى برهة حتى يطرق آذانهم صوت طلق تارتى فيذهبون لا ستطلاع خبره فيرونه جثة هامدة ممـددة فوق الجمد مصبوغة بدم غزير .

وها هم الآن ثلاثة ضعفاء خارت قواهم ويئسوا من كل شيء ، يقطعون قفرا يمدون البصر فلا يرون له نهاية ، يظلون طول النهار سائرين على أقدامهم حتى اذا جن الليل وغابت عن أعينهم علامات الطريق نصبوا خيمتهم وطهوا طعامهم وتدفأوا بما تيسر من البترول .

ويحاول هؤلاء الثلاثة بلوغ البيت الخشبي حيث يوافون الرفاق المنتظرين وحيث يجدون الدفء والطعام . ولكن يأبى حظهم العـاثر الا أن تسوء حال الجو وتهب الرياح وتثور عواصف الثلج فتحول دون مبارحتهم الخيمة فيلزموها آملين أن تتحسن الحالة قريبا فيستأنفوا المسير . وتمضى الليلة تلو الليلة والحالة لا تتحسن فيقل الزاد وينفد البترول ويهبط مقياس البرودة الى الدرجة الأربعين فيتضاءل الأمل فى النجاة ولا يبقى أمامهم الا الموت بردا وجوعا .

و يقضون على تلك الحال ثمانى ليال حتى اذا كان الثامن والعشرون من شهر مارس أيقنوا أنهم لا محالة هالكون وأنهم لن يفلتوا من براثن الموت الا بمعجزة غير منتظرة وأن ليس فى وسعهم الا أن يواجهوا هذا الموت فى أبشع صوره وأقسى أشكاله ، فيقررون أن يبقوا حيث هم وأن يستقبلوا النهاية المريرة فى شجاعة واستسلام . وعندئذ يدخلون فى اكياسهم المبطنة بالفراء و يستلقون على فراشهم لا يرجون شيئا ولا يؤملون فى شىء .

و يدخل الثلاثة فى طور الاحتضار . ولو قدر لأحد من الناس أن يراهم يومئذ لرأى شيئا عجيبا : ثلاث لفافات ضخمة من الفراء فيها ثلاثة رجال اشتدت بهم تباريح البرد والجوع واليأس فهم يعانون سكرات موت بطىء يأبى أن ينقض عليهم لينقذهم من هول ماهم فيه ولكنه يدنو منهم رويدا رويدا حتى ليحسون دنوه ولو استطاعوا لمدوا اليه أذرعهم مستعجلين مرحبين .

أما القبطان سكوت فلا ينسيه هذا الهول أن له أسرة ووطنا وأن من حقهما عليه أن يخصهما باللحظات الأخيرة من حياته و بالفكرة الأخيرة التى تساور عقله ، فيخرج يديه من فرائه و يتناول القلم و يكتب .

يكتب الى امرأته فيوصيها بولدهما و يتوسل اليها أن تجنبه حياة التراخى والخمول وأن لاترى فى الميتة التى يموتها هو ما يدعوها الى الخوف على هذا الولد خوفا يبغض اليه المغامرة فى سبيل إعلاء شأن الوطن . و يحدثها عن رحلته فلا تبدر منه بادرة أسف لما لاقاه فيها و يقول : " ماذا تريدين أن أقص عليك منها ؟ انى لمغتبط بأنى قمت بها وأنى لمؤثر ذلك على القعود الهنىء بجانب الموقد فى بيتنا العزيز " .

و يكتب الى زوجات أصحابه والى أمهات اللذين سبقاه الى الموت منهم فيشهد أنهم عاشوا أبطالا وقضوا أبطالا و يحاول أن يعزيهن بحلو الكلام . ولعمرى إن أعجب فعجبى لهذا المحتضر الذى يعزى غيره و يصبره وهو أحوج الناس إلى التصبر والعزاء .

ثم يكتب إلى أصدقائه فيتواضع كلما تحدث عن نفسه ولكن العزة القومية تأخذه عندما يتكلم عن الوطن فيقول . " لا أدرى هل أستحق لقب المستكشف مصحوبا بأى نعت من النعوت ولكن الذى أدريه هو أن النهاية التى نقاسيها الآن تدل على أن الشجاعة ومواجهة الأخطار والصبر على المكاره واستعذاب الفناء فى سبيل الوطن فضائل لم يعدمها الانجليز .

ثم يوجه الخطاب إلى الأمة الانجليزية فى صراحة المستشهد الذى لا يجمل به أن يكذب ولا أن يموه ، فيفسر أسباب إخفاقه فى ذلك التسابق الذى علقت عليه انجلترا آمالا كبارا و يعلن أنه لم يتوان ولم يقصر و إنما هو توالى العوائق وتتابع الصعوبات واضطهاد الطبيعة قعد به عن السبق الذى لم يكن لولا ذلك ليشك فيه .

ولا يهتم فى السطور الأخيرة بحالته الأليمة ولا بالميتة الشنيعة التى يعانيها وإنما يهتم بحياة الآخرين فتنبعث من صدره المتصدع الخائر تلك الصيحة الى أبناء وطنه : " نستحلفكم بالله ألا تنسوا أولئك الذين نخلفهم بعدنا بلا عائل ولا نصير " .

وتجىء بعد ذلك كلمات متقطعة ثم حروف متباعدة ثم خطوط متعرجة . . . ثم يدب الموت الى اليد فتتجمد الأصابع ويسقط القلم .

* * *

كان الرفاق الآخرون مجتمعين فى البيت الخشبى ينتظرون عودة القبطان وأصحابه الأربعة طيلة أسابيع وأسابيع . ولقد انتظروهم أول الأمر فى ثقة وطمأنينة ، ثم أخذ القلق يدب الى نفوسهم ويشتد حتى لم يروا مندوحة من أن يوفدوا سيارة منهم للبحث عنهم أولاستقصاء خبرهم . ولكن زوابع الثلج لم تمكنهم من المضى فى الطريق الى بعيد . وهكذا أمضت الجماعة طيلة الخريف والشتاء من أبريل الى أكتوبر فى البيت الخشبى لا تعرف شيئا عن مصير القبطان والذين معه . فلما طال بهم المطال وحل شهر نوفمبر سنة ١٩١٢ قرروا أن يخرجوا مرة أخرى لاستطلاع خبر هؤلاء الغائبين ، فسلكوا نفس الطريق الذى سلكوه واياهم أول مرة ، وظلوا مجدين فيه حتى بلغوا الخيمة ووجدوا بها الجثث الثلاث متجمدة فى فرائها ، ووجدوا الكراسات التى كان سكوت يدون فيها مذكراته اليومية وقد كتبت عليها هذه العبارة " أرجو ممن يعثر بهذه الأوراق أن يحملها الى زوجتى " وكأنما أراد أن تكون عبارته مطابقة للحقيقة الواقعة فمر بالقلم على كلمة " زوجتى " وكتب بدلا منها هذه الكلمة الرهيبة " أرملتى "

وشق الإخوان لموتاهم قبراً فى الجليد غيبوهم فيه ورشقوا فى سطحه صليبا كتبوا أسماءهم عليه وحملوا الكراسات والأوراق والرسائل وعادوا الى بلادهم .

ولقد أبت المقادير العادلة الا أن تنصف سكوت بعد مماته وإلا أن تحدث ميتته الهادئة فى هذا الركن المجهول من الأرض رجة ودويا فى العالم كله . فقد عنى أصحابه أثر وصولهم الى انجلترا بنشر مذكراته ورسائله والصور الفوتوغرافية والأشرطة السينمائية للمناظر التى التقطوها فى رحلتهم فتخاطفتها المطابع وتناقلتها الصحف والمجلات فى سائر البلاد ، وهكذا علم الناس ما كانوا يجهلون من أمر أولئك الأبطال الذين استشهدوا فى سبيل إضافة صفحة جديدة الى صفحات علوم البشر والكشف عن ذلك الجزء من الكرة الأرضية الذى لبث غير معروف لسا كنيها طيلة ملايين وملايين من السنين ما

حسن الشريف

# النجاح فى المهنة
## وماذا يقتضى ؟

يتوقف النجاح فى المهنة على عوامل كثيرة . أولها بالطبع الاستعداد لها بالدرس والمرانة . ولكن قبل ذلك يجب أن يكون هناك استعداد طبيعى أو مزاجى . ثم بعد ذلك يجب أن تكون هناك أخلاق تجعل صاحب المهنة محبوبا فى عمله له شخصية محترمة بين زملائه . ثم بعد ذلك يجب أن تكون المهنة نفسها مطلوبة لها سوق تطلبها .

ولننظر فى شىء من الإسهاب فى كل واحد من هذه العوامل .

فأما الاستعداد بالدرس والمرانة فكلنا يسلم به . ولكنا مع ذلك لا نعمل به . فان كثيرين من الشبان يتقدمون فى طلب الوظيفة فى الأعمال الحرة وليس عندهم من الدرس والمرانة سوى البكالوريا أو دبلوم الآداب أو الحقوق . والعمل الحر كما نعرفه فى مصر فى الوقت الحاضر يحتاج الى كثير من المعارف والتدريبات التى لا تتصل بهذه الشهادات . فان المتاجر والبنوك فى مصر سواء أكانت فى أيد مصرية أم أجنبية تطلب عادة من المتقدمين إليها معرفة اللغة الفرنسية والكتابة على المكتاب . وأحيانا تطلب الاختزال ومسك الدفاتر . ولكن اللغة الفرنسية التى تطلبها جميع المتاجر والبيوت المالية فى مصر لا تعلم الا بصفة إضافية فى مدارسنا . والشاب الذى يعرف منها هذا القدر الذى تتيحه له الصفة الإضافية لا يستطيع أن يزاحم شابا آخر قد درس هذه اللغة فى المدارس الفرنسية بصفة أصلية . ولذلك لا يكاد يوجد موظف فى شركات المياه والإنارة والبنوك العقارية والتجارية الا وهو من خريجى المدارس الفرنسيه . ومعظم أبناء الجاليات الأجنبية فى مصر يعلمون أولادهم فى هذه المدارس و يحصلون على وظائف هذه الشركات لهذا السبب . ومع أن الحكومة المصرية — ونعنى هنا وزارة المعارف العمومية — قد مضى عليها نحو ستين سنة وهى تعلم اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة أجنبية أصلية فان الوسط التجارى فى القاهرة والاسكندرية لا يزال متمسكا باللغة الفرنسية . ويجب علينا أن نجابه هذه الحقائق ولا نتعامى عنها وأن نهيئ مدارسنا بحيث تعد شبابنا لهذا الوسط .

على أن اللغة الفرنسية ليست كل شىء . فهناك الكتابة على المكتاب وهى من السهولة بحيث تشبه لعب الأطفال . ولكن المتجر لا يقبل أحدا يجهلها ولا ينتظر حتى يتعلم . ثم هناك الاختزال وهو على شىء من الصعوبة . ثم هناك بعد ذلك المرانة . فلا يمكن متجرا أو بيتا ماليا

كبيرا أن يثق بأحد الشبان لمحض أنه يحمل شهادة ثقافيـة فى الآداب أو العلوم . بل هو يرى أنه مضطر الى أن يكل إليه الواجبات الخفيفة أو الدرجات الأولى . وفى هذه الحـال يرى من حقه أن تكون المرانة بالمجان أو بأجر تافه . وشبابنا يكرهون هذا البخس أو ما يعدونه بخسا لكفاءتهم . ومن هنا إقبالهم على وظائف الحكومة بل تكالبهم عليها . وواضح أن وظائف الحكومة لن تتسع لجميع الشبان المتعلمين فى المملكة المصرية . وإذن يجب على ولاة الأمور إعدادهم للأعمال الحرة فى سن غير متقدمة حتى لا يستكبر الشاب ويرى من الفضاضة أن يعمل بضعة أشهر بلا أجر أو بأجر تافه .

ثم هناك الاستعـداد الطبيعى أو المزاجى . فان كثيرا من الخيبة فى العمل يعزى الى أن الشاب قد اضطره أبواه الى احتراف حرفة لا يحبها . فهو يؤديها بعد استعداد دراسى ومرانى سيئ ، لأنه كان يحس أنه مكلف مضطر غير راض عنها . ولذلك لن يتفوق فيها . ثم هو بعد أن يصل الى الحرفة ويعمل فيها ان يستطيع أن ينجح لأنه موزع الفكر دائم التطلع الى عمـل آخر يتفق ومزاجه واتجاه ميوله . ومن هنا قيمة الاختبار المهنى الذى أخذت به أقطار كثيرة . فإن الصبى يفحص عنه وهو لا يزال فى دراسته الابتدائية والثانوية لتعرف ميوله وتقـدير كفاياته حتى يتجه نحو الهـدف الذى يتفق واستعداده الطبيعى والمزاجى . وتحسن مدارسنا إذا أخذت بهذا النظام الذى لا يكلف كثيرا لأن كل ما نحتاج إليه هو خبـير مهنى يطوف فى المدارس ويختبر التلاميـذ وينصح لكل منهم بالعمل الذى يليقون له وينجحون فيه إذا قبلوه .

ولكن النجاح فى الأعمال ليس دراسة ومرانة فقط . بل هو أخلاق وشخصية . وهناك من يبالغ حتى يقول ان هذا النجاح يتوقف منه ٩٠ فى المـائة على الأخلاق و ١٠ فى المـائة فقط على الدراية الفنية . وكثير من الخيبة فى العمل يعود إلى الانغماس فى عادات سيئة مثل الخمور أو السهر أو التبذير والاحتياج الدائم إلى الاقتراض . كما أن الخصومة بين العامل وبين اخوانه وكذلك قلة الرشاقة وسوء الهندام وفجاجة اللغة — كل هذا يؤدى إلى تأخير الموظف فى العمل الحر لأن احتكاكه الدائم بالجمهور يطالبه بأن تكون له شخصية محببة . ومع الأسف نحن نجد أن العمال الأجانب فى المتـاجر أكثر من عمالنا فى الكياسة والأناة والرغبة فى الخدمة كما أنهم يعنون برشاقتهم وهندامهم أكثر مما نعنى .

وبعد ذلك يجب أن تكون المهنة التى يريد أن يحترفها الشاب من المهن التى لهـا سوق رائجة غير مزحومة بزيادة فى العمال . وهناك تقلبات وتطورات لا تنقطع فى الأعمـال التى يرتزق منها الناس . فقبل عشرين سنة مثلا لم يكن أحد يرتزق بصناعة الراديوفون . وقبل أربعين سـنة كذلك لم يكن أحد يرتزق بالصناعات السينمائية . ولكن الذين يرتزقون بهذه

الصناعات يعدون بالملايين فى وقتنا الحاضر، وهم يزيدون عاما بعد آخر. وقل مثل هذا فى صناعات أخرى . فقد كانت حرفة المحاماة فى مصر قبل ثلاثين عاما من الحرف الكاسبة لقلة من كانوا يعملون فيها ، أما الآن فهى مزحومة مثقلة بزيادة العاملين فيها . كذلك كانت وظائف الحكومة تتسع لكل من يحمل شهادة حتى الشهادة الابتدائية لأن المدارس كانت قليلة بل قليلة جدا إلى حوالى سنة ١٩٢٠ فكانت الحكومة فى حاجة دائما إلى المتعلمين . أما الآن فإن نشاط الحكومة فى إنشاء المدارس الثانوية فضلا عن الابتدائية ووفرة الطلبة فى الجامعة قد بخس كلاهما بقيمة الشهادة من حيث الوظيفة الحكومية .

وكما أن هناك صناعات زائلة أو فى طريق الزوال كذلك هناك صناعات ناشئة يرجى فيها التوسع . فنحن فى مصر ما زلنا فى بداية الصناعات الكهربائية والكيمائية والطب والميكانيات لأن الرقى الاقتصادى العام فى الأمة سيحتم التوسع فى هذه الصناعات . ومن الحسن أن يعد الآباء أبناءهم لها . كما أن رغبة الأمة التى لم تشبع فى التعليم سوف تجعل للعلم مكانا معلمئنا لا يخشى فيه المزاحمة مدى ثلاثين أو أربعين سنة قادمة .

فيجب على الآباء أن يفكروا فى الصناعات هل هى آخذة فى الزوال أم فى الانتشار ؟

و بعد ذلك يجب على الشاب أن يفحص عن كفاياته وأن يرقى شخصيته بكل أنواع الترقية من حيث الاستنارة الذهنية واللغة المهذبة والقوام المعتدل والمندام المتقن والعادات الحسنة والسلوك المرضى . وهو يحسن أكثر إذا كان قد تعود هواية يستطيع أن يجنح إليها ويتكسب منها إذا وقع عمله فى أزمة طارئة . وليس شك فى قيمة الذكاء فى كل عمل نختار . ولكن قيمة الرغبة أكبر . ومن هنا الحاجة إلى الاختبار المهنى لأنه يبين لنا قبل كل شىء مقدار رغبتنا فى مهنة ما .

---

## من أخلاق العرب

إذا المرء لم يبذل من الود مثلما  بذلت له فاعلم بأنى مفارقه
فلا خير فى ود امرئ متكاره  عليك ولا فى صاحب لا توافقه

مسلم بن الوليد

صور من القاهرة المجهولة

# فى حمام السوق

بقلم الأستاذ م . محمد عبد الكريم

وبيت كأحشاء المحب دخلته ... ومالى ثياب فيه غير إهابى
أرى محرما فيه وليس بكعبة ... فما ساغ الا فيه خلع ثيابى
يثير ضبابا بالبخار مجندلا ... بدور زجاج فى سماء قباب
توهمت فيه قطعة من جهنم ... ولكنها من غير مس عقاب

اى والله :

وسع برحمته أبا طالب المأمونى إذ أجمل فى بيتيه أبلغ ما يوصف به حمام السوق. و إذا كان شاعر اليتيمة قد دخل الحمام طائعا مختارا فما قصده الكاتب الا لزاما واضطرارا .

وبعد : فقد وعدت القارئ فى معرض الكلام عن المستوقد أن أجلو له أمر الحمام ولم يكن من الميسور أن أدخل حمام السوق ، وأتنقل بين مغاطسه وخلواته دون أن أخلع نعلى وأتجرد عن ثياب لأتدثر بدثار ورواده ، لذلك وجدت فى دراسة الحمام صعوبة لم يهونها سوى صديق الأستاذ بهاء الذى أبى إلا أن يشاطر أخاه ما يلقاه من مشقة وعناء .

فى البريمو يا ولد !

بهذا نادى معلم حمام الأربعاء غلامه حين ناولته قطعتين من ذوات العشرة قروش أجرا لدخولى وصاحبى إلى الحمام .

وسارع الغلام إلى قصبة طويلة صوبها نحو حبل عال معلق فى ردهة الحمام الخارجية وأنزل الينا أربعة دثر "بشاكير" قيل إنها غسلت ونظفت ، ومد المعلم يده تحت أريكته وأخرج (قبقابين) كبيرين حملهما الغلام مع الدثر وسار بنا إلى داخل الحمام .

ودخلنا فى ردهة فسيحة ملأ البخار أرجاءها حتى كاد يحجب كل ما فيها ، ثم عرجنا على غرفة مرتفعة اسمها الخلوة وتركنا الرائد هناك نخلعنا ملابسنا وتدثرنا بالدثر .

وكم أثار ضحكى مشهد بهاء أو المهاتما بهاء كما كنت أناديه . فقد بدا كزعيم الهند فى جسمه الناحل ملتفا بإزاره الأبيض الفضفاض، وهو ينظر من خلف منظاره يمنة ويسرة لا يعلم أين ولا كيف يسير .

واعمرى كيف يقوى على السير وقد حمله صاحب الحمام قبقابا لو شد إلى قدمى سجين لأمن حارسه فراره . على أن صاحبنا غالب قيده وسار يتعثر فيما حمل إلى المغطس .

## فى المغطس :

وارتقينا ثلاث درجات عاليات فإذا بنا أمام حوض كبير يتسع لعشرين رجلا ، يحوطه إطار من الحجر المزخرف، ويتساقط الماء فى الحوض من بفوة بالسقف تتصل بخزان المستوقد الذى يسخن بما يحرق هناك من القمامة .

وبالحمام مغطسان أحدهما فاتر والآخر ساخن . وبكل منهما بالوعة صغيرة تصرف الماء تدريجيا بنسبة ما ينصب فى المغطسين من الماء النظيف .

وانتحيت وصاحبى ركنا من أركان حجرة المغطس ومضينا نتحدث إلى المستحمين ونستمع لما يقولون وكلهم من طبقة العمال والباعة ممن أقفرت بيوتهم من الماء الجارى فأتوا يطلبون النظافة فى حمام السوق .

## مسامرات :

والحمام خلية النحل يدوى بطنين من فيه . وهو مجتمع يجد فيه الباحث مجالا لدراسة الطبقة الغالبة من أبناء البلد ولتعرف شؤونهم وأحوالهم . هذا نجار يشكو لصاحبه الحرب وما نجم عنها من غلاء ثمن الخشب وكساد الصناعة، وذاك من أرباب الكيف وهواة الجوزة يتدخل بين المتحدثين ليبين لهما أن غلاء الخشب لا يقاس بجانب شح الوارد من الحشيش وندرة الصنف الجيد اليوم .

وهذان شابان مشتبكان «فى قافية» يملآن الحمام ضحكا وسرورا .

وفى هذا الجو الغريب الذى يحكى ما يصوره صاحب ألف ليلة، يقف صبى الحمام يحيى الرواد شاديا بصوت رنان :

حمام نعيم والمنا مكتوب لكم يا رجال
يا حاضرين كلكم زدتوا المكان ده جمال
حمامنا من أنسكم هايص ومتجلى
والميه راقت بكم . . . يا رايقين البال

وبغتة صاح أحد "رايق البال": هدومى ، ضاعت هدومى . ومضى الصبى وعاد بالمعلم وشغل الجميع بالأمر . أما نحن فسارعنا بدورنا الى الخلوة نتفقد ملابسنا حتى إذا وجدناها لبسناها ويممنا شطر الاستراحة .

وحانت منى التفاتة الى النافورة فاذا بى أشاهد رجلا بدينا جاثما على مستحم ممدد، وقد أعمل فى إهابه بقفاز صوفى حتى كاد يدميه، ولم يكن صاحبنا سوى المكيساتى الذى يتولى تدليك المستحم وتنظيف بشرته .

وفى الاستراحة أو فى الإيوان كما يسمونه يجد الزائر المستحمين رقودا على أرائك عالية حيث يقوم أحد خدم الحمام بعملية التكييس .

والتكييس ( بالباء ) هو تدليك الأعضاء وضغط المفاصل والأطراف .

وأقبل معلم الحمام بعد أن فرغ من مشكلة الملابس المفقودة وجلس يتحدث الينا ويبثنا شكواه مما يلقاه من شح فى الرزق وقيود من تعليمات الحكومة .

## الحمام بين الأمس واليوم :

إن حمام السوق الذى نعرض له فى هذا المقال هو أثر من الآثار القليلة الباقية من تراث السالفين . نقله الرومان الى هذه البلاد وغرسوا فيها نواته ، فلما دالت دولتهم وآل للعرب ملكهم عمم هؤلاء الحمامات فى مصر وفى غير مصر ، وكان للدين الاسلامى الذى يفرض الغسل ويأمر بالطهارة وبالنظافة أثر كبير فى ذلك .

وقد بدأت العناية بالحمام فى عهد الأمويين ، وبلغت عند الفاطميين شأوا لم يخفضه سوى الحاكم بأمر الله الذى أوصد أبواب أكثرها ومنع النساء من غشيانها .

وظل الحمام محتفظا بأهميته فى بلادنا الى عهد قريب ، فكان مقصد الناس أغنياء وفقراء ، ولم يغفل نصيب المرأة فيه فخصص للنساء يوم فى كل أسبوع واعتبر هذا اليوم عنوانا لكل حمام ، فيقال حمام الأحد إذا كان اليوم المخصص للنساء هو الأحد ، وقد جرت العادة أن يعلق على الحمام فى ذلك اليوم منديل أحمر حتى لا يخطئه الرجال ، والويل لمن يضله سوء طالعه منهم فيدخل الحمام حينذاك إذ يقابل ممن فيه مقابلة دونها لقاء زبانية الجحيم .

وتحجز الموسرات من مرتادات الحمام خلوات خاصة بهن ، وقد يحدث أن تستأجر إحداهن الحمام كله يوما كاملا لتدخل فيه معها من تشاء .

وقد كان الحمام ولا زال مقرا لبعض حفلات الإعداد للزفاف ، ففى يوم الحنة يستأجر أهل العروس الحمام كله أو خلوة منه وهناك تقوم "البلانة" أو "الماشطة" بتزيين العروس وتمشيطها بعد استحمامها ثم تخرج بين زغاريد المدعوات بعد أن تجمع البلانه منهن النقطة .

وقد تصحب العوالم العروس فى استحمامها فينتظمن حول النافورة و يضفين على الحفل من غنائهن وطبلهن بهجة و بهاء .

## أثر المدنية فى حاضر الحمام :

وكان طبيعيا أن يقاسى الحمام كغيره من المنشآت القديمة من أثر المدنية محنة تضعف من شأنه حتى تكاد اليوم أن تودى به ، فمنذ أدخل الماء الجارى فى البيوت وأعدت المنازل بنظامها الحاضر الذى هيأ لكل مسكن حماما خاصا قل الاقبال على الحمامات وأصبحت وقفا على الفقراء بعد أن كان الكثيرون من روادها من ذوى اليسار .

وقد حال هذا الكساد دون إنشاء حمامات جديدة ، وزال الكثير من الحمامات القديمة إما لتداعى بنيانها أو بسبب ما اقتضاه التنظيم . على أن الحمامات لازال الكثير منها قائما فى المدن الكبيرة كالاسكندرية وطنطا والزقازيق وغيرها . أما القاهرة ففيها ما يقرب من الثلاثين حماما منتشرة فى الأحياء الوطنية كبولاق والسيدة زينب وحى الحسين و باب الشعرية والدرب الأحمر .

## الحمام فى قيود الحكومة :

قضى النظام الصحى أن توضع الحمامات تحت رقابة خاصة ، فالترخيص بإدارة الحمام لا يصدر إلا بعد المعاينة والتحقق من استيفاء الشروط الصحية ، على أن أقسى هذه الشروط وأشدها ما قضى فيه باستعمال الماء المكرر .

فقد كان الماء المستخدم فيها الى عهد قريب يؤخذ من الآبار بواسطة السواقى أو بالمضخات ، فلما قضى بردم الآبار الزم أصحاب الحمامات باستعمال الماء المكرر وحده .

يقول أصحاب الحمامات إن وزارة الصحة غير محقة فى فرض هذا القيد ، بدعوى أنها قضت بردم جميع الآبار فى الحمامات وفى البيوت وليس من المعقول أن تكون كل مياه آبار العاصمة ملوثة ، وإنه إذا جاز أن يكون السبب فى ردم غير الملوث منها تجنب توالد البعوض فقد كان من الواجب فى هذه الحالة السماح باقامة المضخات على الآبار بعد ردمها .

وسواء أصح ما يدعيه هؤلاء أم لم يصح فما لامراء فيه أن فرض هذا القيد يحمل أصحاب الحمامات مصاريف كبيرة ، وخاصة اذا ذكرنا أن المغاطس والخلوات والنافورات تستنزف كل يوم مئات من الأمتار المكعبة من الماء فى كل حمام فى وقت قل فيه الإقبال على الحمام وكسد سوقه .

## علاج غير ناجع :

وقد استجار أصحاب الحمامات فى العاصمة بالحكومة فأجارتهم من رمضائهم بنار . ذلك بأنها بعد أن توسطت لدى شركة المياه وحملتها على تخفيض سعر الماء من أربعة عشر

مليما ونصف للتر إلى اثنى عشر، عمدت إلى فرض نظام غريب لقاء هذا السعى هو إلزام أصحاب الحمامات بقبول الفقراء مجانا بحماماتهم ، وإذا لاحظنا أن كل رواد الحمامات العامة اليوم هم الفقراء أدركنا فداحة هذا القيد وشدته على أصحاب هذه الصناعة .

وإلزام أصحاب الأعمال بخدمة الفقراء بغير أجر هو اتجاه حميد كان يقابل بالثناء لو أنه فرض على طائفة وافرة الربح كالأطباء مثلا، ولكن فرضه على محترفى هذه الصناعة المحتضرة أمر يأباه العدل ولا يقره المنطق السليم .

ومما يدعو الى الأسف حقا أن الحكومة رغم تحميلها أصحاب الحمامات هـذا العبء لم تصب الهدف الذى ترمى اليه من مساعدة الفقراء ،ذلك بأنها أعدت لهؤلاء بطاقات توزعها عليهم بواسطة مشايخ الحارات و بإشراف أقسام البوليس . ومما لاشك فيه أن شيخ الحارة يجد فى هذه البطاقات موردا جديدا للكسب فهو قلما يسلم إحداها الى فقير قبل أن ينال منه "المعلوم".

## الحمام كمؤسسة نافعة :

من الإسراف أن نشير بالغاء الحمامات رغم ما بها من نقص، فالحمامات العامة مؤسسات ناضة وهى تقوم فى أحياء فقيرة فتؤدى لأهلها خدمة كبيرة الأثر .

وحمامنا العربى أو التركى كما يسمونه عادة يقوم على نظم بعضها مأخوذ عن الحمام الهندى كالتكييس والتكبيس و بعضها عن الحمام الرومانى والبيزنطى كالمغاطس والخلوات والردهات ذوات النافورات .

أما التكييس أو التدليك فهو (مساج-Massage) صحى منشط للدورة الدموية، وهو خير وسيلة لتنظيف المعدة وفتح مسامها و إزالة النفايات الضارة من تحت سطح الجلد .

وأما التكبيس وهو ضغط المفاصل والأعضاء فهو عملية صحية تقوم مقام الرياضة العضلية لمن لا يقوى على مزاولتها .

والمغطس الساخن عظيم الفائدة، فهو كما يقول صاحب دائرة المعارف العربية "يمد الجسم بحرارة هينة تمتد إلى الاحشاء فتنتشر سوائل الجسم و يشتد الامتصاص الجلدى والافراز الكلوى فتهدأ الأعضاء المتعبة وتستريح ، وهو يفيد أصحاب الأمزجة الحادة القابلين للتهيج وكذلك الشيوخ والأولاد والنساء عامة وخاصة الحوامل والمرضعات" .

والحمام التركى يعرفه الأربيون و يقدرون فوائده . وهو منتشر فى أكثر مدن أوربا الشرقية كصوفيا وسيراجيفو و بخارست كما أن كثيرا من حمامات أوربا الغربية كحمام جتنر فى درسدن والحمام البلدى فى هانوفر وحمام كارل مولر فى ميونخ وحمامات باكر فى بودابست متأثرة فى نظمها بالحمام التركى .

## أوجه النقص :

إن شر مايتعرض له المستحم فى الحمامات العامة هو العدوى ، ومصدرها :

( أولا ) كيس الشعر الذى تجرى به عملية التدليك وهو يمر على أجسام كل المستحمين وقد لايخلو أحدهم من مرض جلدى ينتقل لغيره .

( ثانيا ) البشاكير كما أن الوسائد والفرش التى يضطجع عليها المستحمون خالية فى أغلب الأحيان من الأغطية التى يمكن رفعها وغسلها .

( ثالثا ) مياه الأحواض (المغاطس) وهى لاتتصرف التصريف الكفيل بتجديدها وذلك بسبب حرص أصحاب الحمامات على عدم زيادة المستهلك منها .

( رابعا ) تهوية الحمامات غير الكافية ، وقد عمد أصحابها إلى إحكام إغلاق نوافذها لتحتفظ بحرارتها غير ناظرين إلى مايسببه فساد الهواء من ضرر بصحة المستحمين بها .

## سبل إصلاح الحمام :

( الأول ) أن يباح استخراج الماء من باطن الأرض بالمضخات لتغذية الحمامات بالماء مالم يثبت التحليل الكيمائى الذى يعمل لكل حالة أن الماء ملوث وهنا يلزم صاحب الحمام باستعمال الماء المكرر وحده .

( الثانى ) أن يرفع القيد الذى فرض على أصحاب الحمامات قبول الفقراء مجانا لما فى ذلك من إجحاف بحقوقهم وخاصة بعد أن لمسنا ضيق مواردهم وكساد عملهم .

( الثالث ) أن يلزم كل مستحم باستحضار كيس من الشعر أو الصوف لتدليك بشرته وكذلك يمنع استعمال بشاكير الحمام تجنبا للعدوى .

( الرابع ) أن تقرر الحكومة إعانات لأصحاب الحمامات باعتبارها منشآت صحية عامة لاغنى للفقير عنها ، ونعتقد أن مد يد المعونة لأصحاب الحمامات القائمة ليصلحوا أمرها ويوفروا أسباب الصحة بها هو أيسر وأدعى إلى الاقتصاد من إنشاء حمامات جديدة بالوحدات الصحية التى تعمل الحكومة على تعميمها .

فإن عاونت الحكومة أصحاب الحمامات جاز لها أن تبعث إليهم بالفقراء يستحمون بغير أجر لقاء ما تبذل فى سبيلهم من مال .

م . محمد عبد الكريم

# خواطر فى الزواج والسعادة الزوجية

بقلم متزوج

الهناء الزوجى ، والسعادة البيتية ، وعوامل الحب المتبادل بين الزوجين ، والتفاهم والانسجام اللذان يجب أن يسودا علاقتهما ، والأسباب التى تؤدى إلى إيجاد البيت الناجح السعيد ؛ كل هذه أمور اعتبارية ليس لها قواعد مقررة يرجع اليها ولا مقاييس ثابتة تقاس بها ، وإنما المرجع فيها إلى التقدير وصدق النظر الى مختلف الحالات .

وما دمنا فى مصر لم نعرف بعد معاهد التربية الزوجية التى انتشرت فى أوربا وأمريكا وهى المعاهد التى تتولى إعداد شباب الجنسين لحياة الزواج ؛ فليس أمامنا سوى الاختبارات والتجارب نعتمد عليها فى إسداء النصح للخاطب والمخطوبة وإرشاد الزوج والزوجة إلى طريق السعادة فى الحياة .

ولقد هالتنى كثرة حوادث الإفلاس فى الزوجية بمصر ، وهالنى ما عانته آلاف وآلاف من الأسر بسبب هذا الإفلاس ، وأكتب هنا كلمة الإفلاس وأرمى إلى معناها اللفظى ، لأن الزواج فى اعتقادى شركة ، شركة اجتماعية وثقافية ومالية ، وكثيرا ما يفلس كما تفلس الشركات التجارية ، ولكنه عند ما يفلس يكون أشد خطرا وأبلغ أثرا . فالزواج عند ما يحل بالطلاق ، لا تحل وحدة اقتصادية فقط ، وإنما تحل وحدة اجتماعية ، وينهار بيت عامر يضم أولادا يقتتون فيعيشون بعد هذا الانهيار بلا أم أو بلا أب أو بلا أبوين ، ومصير هؤلاء الأولاد يغلب عليه السوء .

صحيح إن السعادة ليس لها قواعد توضع أو برامج تقرر ؛ لأن ما يصلح لهذه الحالة قد لا يصلح لغيرها وما يفيد هنا قد لا يفيد هناك ، ولكن من التجارب العملية والمشاهدات ما يمكن اعتباره مبادئ صحيحة صالحة لأن تطبق على كل حالة وفى كل بيت .

من هذه التجارب والمشاهدات أن الزوج الذى نشأ على تربية خاصة وشب فى بيت سعد أبواه فيه من قبل بالحياة الزوجية وأخذ عنهما أسلوبهما فى المعيشة وفهم منهما معنى الأسرة هذا الزوج يسعد غالبا فى زواجه ، ذلك لأن أسلوب الحياة الذى تدرج عليه فى أيام الطفولة والمراهقة يظل ملازما له فى أيام الشباب ويمتد معه حتى يبلغ الشيخوخة . فالطفل المدلل هو الشاب المدلل وهو الشيخ المدلل ، ونحن نقدم على الزواج إما منقلين بعادات وأفكار سيئة تنتهى بنا إلى الشقاء ، وإما متحلين بعادات وأفكار حسنة تهيىء لنا أسباب السعادة .

ولست أتحدث عما يجب أن يكون عليه الشاب أوالفتاة قبل الزواج لكى ينعما بالحياة الزوجية ،فمجال التحدث عن هذا يتسع بل لا يقف عند حد ، و إنما ألخص رأيى فى عبارة واحدة ، وهى أن خير ما يهيئ لسعادة الزوجين أن يكون كل منهما قد عاش فى بيت شمل الحب والتعاون فيه أبويه .

ولى رأى أكاد أجزم بصحته ، ولعله ثمرة الاختبار الطويل ، وهو على غرابته صحيح لاغبار عليه ، ذلك أنى أعتقد — على عكس ما يعتقده الكثيرون — أن الرجل فى مصر هو المدلل لا المرأة .

لقد ألفنا أن نعزو الدلال إلى الفتاة . ولكن الحقيقة الواقعة هى أن مجتمعنا المصرى يدلل الشاب الى حد بعيد ولا يكاد يدلل الفتاة أبدا . وأرجو أن يكون مفهوما أننى أقصد التدليل العائلى لا ذلك التدليل الذى تلقاه الفتاة من بعض المعجبين بها ، ذلك بأننا نؤثر الطفل على الطفلة فنفرح بمولده بينما نغتم لمولدها ، و بأننا نؤثره بالطيبات دونها بدعوى أنه الصبى الذى سيصير رجلا يفتح البيت و يكون رب العائلة فى المستقبل ، أما البنت فلا نمنحها إلا مركزا ثانويا بجانب أخيها سواء أكان أكبر منها أم أصغر .

وهذا الوضع يجعل الصبى ينشأ على أسلوب معين فى الحياة لا يتغير ، أسلوب يشعره بأنه هو المفضل و بأنه هو الذى تسمع كلمته وتستجاب رغباته ، و بأنه هو الذى لا يعارض فيما يفعل و يقول ، وهذا التدليل أعتبره أسوأ إعداد للحياة الزوجية ، لأن الولد عند ما يكبر و يتزوج لا يتعاون مع زوجته ولا يميل الى التوفيق بين ميولها وميوله ، بل يعمد إلى السيطرة والتسلط اللذين ألفهما صغيرا ، ومن هنا يأتى الخلاف ثم النفور ثم الشقاق .

وأرى أيضا أن المرأة تنظر إلى الزواج نظرة أوسع وأحكم وأعم وأشمل من نظرة الرجل ، فهى حين تتزوج ، تنصرف بكل نشاطها العاطفى والذهنى إلى الحياة الزوجية ، عالمة أن زواجها زواج الحياة كلها ، ومعنى الحياة عندها هو إنشاء الأسرة وتربية الأولاد .

أما الرجل فتفكيره فى الزواج تفكير ... ... تفكير ... ... جنسى ... ... أكثر مما هو تفكير اجتماعى . وعلة ذلك أنه يجد منصرفا آخر لنشاطه العاطفى والذهنى ، فهو ينشد النجاح الاجتماعى أو الاقتصادى أو الفنى أو المهنى ، أما المرأة المتزوجة أو الفتاة التى تنوى الزواج فلا تنشد هذا النجاح إلا فى البيت ، أى فى حياة الأسرة وتربية الأولاد .

ومن هاتين الناحيتين ، ناحية أن الزوج نشأ على الدلال أكثر من الزوجة ، وناحية أن الزوجة تنظر الى البيت كأنه مهمتها فى الحياة ، من هاتين الناحيتين يجب أن نسلم بأن فضل الهناء والسعادة والوفاق فى الحياة الزوجية يعود إلى المرأة أكثر مما يعود إلى الرجل .

ومن هنا تأتى تلك الظاهرة التى كثيرا ما يتأفف منها الشبان قبل الزواج حين تطلب الفتاة المخطوبة مهرا عاليا وأثاثا فاخرا ومسكنا ممتازا . نعم إن هناك إسرافا فى هذه المطالب والاشتراطات ، ولكن هذا الإسراف الذى نحسبه رذيلة إنما هو فى الحقيقة مبالغة منها فى تصور الحياة الزوجية وإدراك جلالها ، لأن الفتاة وهى تكبر من شأن هذه الحياة وتغالى فى تصور قيمة السعادة البيتية ووجوب ثباتها وتوطدها ، تبالغ فى هذه الفضيلة حتى نحسبها رذيلة الإسراف .

ونحن الرجال نعتقد أننا مظلومون مع زوجاتنا . والحقيقة أن زوجاتنا ظالمات مظلومات .

هن ظالمات لأنهن يطلبن منا نحن الرجال أن ننزل إلى مستواهن الثقافى ، فنقضى معهن الوقت فى البيوت ونصادقهن ونزاملهن ولا نترك البيت إلى القهوة أو النادى . هن فى هذا ظالمات ، إذ كيف تكون المزاملة أو المحادثة أو تقليب الآراء مع قصورهن الثقافى ومع كل هذا التفاوت فى المعلومات والاختبارات الدنيوية والمهنية الموجود بين الرجل والمرأة فى مجتمعنا المصرى .

ولكن زوجاتنا فى الوقت نفسه مظلومات . فليس الذنب ذنبهن إذا كان الآباء قد ضنوا عليهن بالتربية والتعليم اللذين أسبغوهما على أبنائهم الذكور .

ليس العيب عيب زوجاتنا إذا هن بقين ضعيفات فى ثقافتهن بحيث لا يستطعن مجاراتنا فى أحاديثنا ومناقشاتنا ، إنما العيب عيب الآباء الذين قصروا فى حقهن ، وعيب الأزواج الذين لا يريدون حمل مشقة تثقيفهن وتزويدهن بالمعلومات العامة بعد الزواج .

وبعد فنحن إذا تأملنا مجتمعنا المصرى على ما فيه من ميزات وعيوب ، استطعنا أن نعين ونحدد معالم السعادة الزوجية وعواملها والوسائل الموصلة إليها .

وأول نصيحة أسديها للراغبين فى الزواج هى حسن الاختيار . حسن الاختيار بحيث لا تتفاوت السنان بين الزوجين تفاوتا كبيرا ، فكل طور من أطوار العمر له مزاج خاص يبدو فى الجد واللهو ، بل يبدو حتى فى النظر الى الطعام والشراب ، وبعيد أن يتحقق الوفاق بين زوجين قطعت السن ما كان يجب أن يكون بينهما من اشتراك فى العواطف والميول والاراء .

حسن الاختيار بحيث يختار الشاب خطيبته من طبقة اجتماعية مماثلة للطبقة التى نشأ فيها حتى لا تكون عائلته أغنى كثيرا أو أفقر كثيرا من عائلتها ، وبحيث يختارها من نوع البيئة التى يعيش فيها فلا يكون هو نفسه ريفيا محافظا بينما تكون هى قد نشأت متحررة فى مدينة عصرية ، فإن الخلاف فى هذه الحالات أكثر وقوعا من الخلاف بين زوجين قد تفاوتا

فى السن مع توحد البيئة الاجتماعية ، وهذا التوحد فى البيئة الاجتماعية هو الذى يؤدى نقصه بين الزوجين إلى النفور والشقاق، وأكثر ما يتجلى ذلك عندما يتزوج المصرى بأجنبية لم تألف عيشة هذه البلاد وأوضاعها وتقاليدها وطباع أهلها .

فهو إما أن يكرهها على ما لا تحب فتثور ، وإما أن يحاول تعويدها ما لم تنشأ عليه فتتألم ، وإما أن يقطع صلتها بأهله ومسقط رأسه وفى هذا عسر لا يطاق .

وخلاصة ما أقوله فى اختيار الزوجة أن نختارها بعقولنا بقدر ما نختارها بعواطفنا وقلوبنا .

ولعل من أهم العوامل فى اعتقادى لتوطيد الحياة الزوجية أن تطال مدة التعارف بين أسرتى الخطيبين حتى تعرف التفاصيل والدقائق الخفية التى ربما يؤدى ظهورها بعد الزواج إلى شقاق أو طلاق. أما الزواج السريع الذى يتم بعد أول نظرة وبعد أيام من تعارف العائلتين فليس بالزواج الأمثل الذى يضمن مستقبله ، وإنما يحتاج الزواج إلى دراسة الأحوال الاجتماعية بين العائلتين حتى يستقر على المكان المطمئن الذى سوف يعيش عليه مدى الحياة .

وبعد أن يتم الزواج يصبح من أول واجبات الزوج أن يساعد زوجته على أن ترتفع إلى مستواه الثقافى ، وعليه أن يبدأ ذلك من أول يوم بأن يحرضها ويحثها على قراءة الكتب والصحف والمجلات ، وأن يناقشها فى كل ذلك ويفسره لها ويعاونها على فهمه واستيعابه ، حتى تستنير الزوجة وتصبح الثقافة التى لا تنفك عن ممارستها عادة ملازمة لها ، وأنا أؤكد للزوج أنه إذا فعل ذلك وثابر عليه ، فإنه لاشك واجد بعد قليل أن زوجته ستكون زميلته ومحدثته ومؤنسته ، ينعم بمرافقتها فى البيت وخارج البيت ولا يهرب منها إلى القهوة أو النادى .

وما دام مجتمعنا يهمل تعليم الفتاة بقدر ما يعنى بتعليم الشاب ، فلا بد من أن يقوم الزوج بهذه المهمة ، وهى ليست بالمهمة الشاقة ، لأن رابطة الحب التى جمعت بينهما سترداد توثقا عندما يستنير الذهن ويزداد جمال الوجه بازدياد جمال العقل والذوق .

وأنصح للزوجين ألا ينحدرا الى التبذل فى الحديث أو المناقشات أو العادات أو الملابس ، بل يحسن أن يتكلف كل منهما بعض التحفظ فى كل ذلك ، فان المزاح الذى يؤدى الى الكلمة الجافية والإيماءة الغليظة ، وكذلك إهمال الزوجة ملابسها وزينتها ، وتناول الطعام على مائدة مشوشة فى غير كياسة ، كل ذلك قد يستهان به فى أوله ، ولكنه ينتهى دائما الى إبراز العيوب ثم إلى فتور الحب ثم إلى خلق الملل فالنفور .

اذكرى أيتها الزوجة أن زوجك يرى السيدات فى الشارع وفى الزيارات وفى الولائم ، وأنه يراهن دائما فى أحسن زينتهن ، فلا يجوز أن يراك منفوشة الشعر متبذلة فى ثياب المطبخ كأنك مرمطونة أو غسالة .

وليس من الكياسة ولا من حسن السياسة أن تتركى نفسك مهملة الزينة والرشاقة والهندام حتى يعمد زوجك إلى المقارنة وأنت فى هذه الحالة بينك وبين زائرتك المتجملة المتروقة البادية فى أحسن حالاتها ، وأنت أدرى بما يعقب هذه المقارنة من حسرة يحسها الزوج وما يعقبها أيضا من إحساسات فاجرة هى فى اعتقادى بداية الانفصال الروحى الذى يؤدى إلى انفصام عرى الحياة الزوجية .

إنك تقولين : ما عليهش إحنا واخدين على بعض ، ولكن حاذرى فإن لزوجك عينين تريان غيرك ، وياويل مستقبلك إذا امتعضت عيناه من رؤيتك كل يوم بقميصك المشمر الكمين ، وشعرك المنفوش وشبشبك السحاق أو قبقابك الذى يزعج أذنيه .

ويجب أن يذكر الزوجان أن الإنسان كائن روحى فيجب ألا يجرح أحدكما كرامة الآخر ، وليعلم كل منكما أن الكلمة العوراء أو الإشارة الفظة لن تغفر ولن تنسى وإنما هى كمرض الجدرى تزول حماه ولكن تظل آثاره على الوجه تذكر به فى كل حين .

لست أدعو إلى أن يتعامل الزوجان كما لو كانا شخصين كل منهما غريب عن الآخر ، أى فى تكلف وتحفظ واحترام ، ولكن قليلا من الاحترام تطالبنا به الكياسة ، والكياسة هنا هى اللطف والرقة والاحتشام .

والأغلب أنه عند ما يتزوج الشابان حوالى سن العشرين أن تكون عاداتهما فى دور البداية لم تستقر بعد ، ولكنهما إذا تزوجا فى سن الثلاثين أو بعدها ، تكون عاداتهما قد تأصلت واستقرت فلا يبقى سبيل لأحدهما إلى تغيير طباع الآخر ، والزوجة التى تطلب ذلك فى هذه الحالة إنما تطلب المستحيل ، ولكن عليها عندئذ أن تحاول التهذيب والتوفيق بالإقناع عن طريق الايحاء ، وهنا أقرر وأؤكد أن الإيحاء هو خير ما تتبعه الزوجة من الخطط الدبلوماسية مع زوجها ، فإن الجدال ولو كان حوارا بريئا لا يستسيغه ولا يقتنع به زوج مطلقا ، بل إن الزوج الذى يهزم فى جدال بعد أن تقام عليه الحجة الدامغة فيه يبقى متعنتا كارها وإن استسلم وخضع .

إنما يقتنع الزوج بالإيحاء وحسن الحيلة ولطف الوسيلة ، أما الأمر الجاف أو التكرار الممل أو الإلحاح المتواصل فقد يجر إلى ما نسميه "مناقرة" لا تطاق ، وبعض الأزواج من الجنسين يألفون هذا اللون من المعابثة حتى يجعلوها فنًّا يبدعون فيه والعياذ بالله .

قلت إن الزوج الذى تجاوز الثلاثين يشق عليه أن يبدل عاداته ، وقد تكون له هواية تشغل فراغه وتسرى عنه همومه ، فمن الحسن ألا تعارض الزوجة زوجها فى تعلقه بهوايته سواء أكانت هذه الهواية دراسة معينة تحتاج إلى شراء كتب ، أو لعبة رياضية تتطلب بعض نفقات ، أو صناعة يدوية أو غير ذلك ، لأن الزوج بهذه الهواية يجد المتفرج أو المتنفس الذى كثيرا ما يقيه أو يصرفه عن غواية سيئة .

ولتذكر كل زوجة أن بيتها يجب أن تتوافر فيه جميع المغريات التى تغرى بالبقاء فيه ، أى يجب أن يحتوى على المقاعد المريحة والسرير الوثير وجهاز الراديو والجرائد والمجلات والصور الفنية ، كل هذا بقدر الطاقة المالية الممكنة ، ولا أقول غرفة الجلوس النظيفة فقط ، بل المطبخ النظيف الذى تزدان نافذته بقصريات الزرع ويكسو زجاجه ستار لطيف رخيص ، وليس هذا مما يكلف كثيرا ، ولكنه يثمر كثيرا فى تجميل البيت وتحبيبه إلى قلب الزوج عند ما تقبل عليه الزوجة فى شىء من حسن الذوق .

ولدينا نحن المصريين ظروف وملابسات تختص ببيئتنا وتؤدى أحيانا إلى عواقب وخيمة . من ذلك اشتراك الحماة مع الزوجين فى عيشة واحدة . ونصيحتى إذا لم تكن الضرورة القصوى هى السبب لهذا الاشتراك فإنه يجب ألا يكون ، ولكن ليس معنى هذا أن تكون الحماة مكروهة أو أن ينتقص حبها واحترامها ، وإنما معناه أن تدخلها الدائم فى بيت بنتها أو ابنها قد يفسد الأمر على الزوجين .

ولنتفق جميعا أن احترام كل من الزوجين لعائلة الآخر أمر واجب لأنه أحد العوامل النافعة فى دعم الحياة الزوجية ، فليحترم كل منا أسرة الآخر مع احتفاظه باستقلاله عنها .

وفى النهاية أقول : إن أفضل الزوجين هو الذى يبدأ الثانى بالمصالحة بعد الخصام ، لأن المصالح هو المبقى على الآخر ، وهو المعمر الذى يبنى ، وهو الذى يتبع الخطط الايجابية المنتجة . أما الذى يسكن الى الخصام ويبرره بدعوى أنه لم يكن السبب فيه فهو المدلل السمج الذى يتبع الخطط السلبية الهدامة لكل سعادة زوجية . وكل هذا الذى ذكرته ينطبق على الزوج والزوجة سواء بسواء . هذا بعض ما أثمرته عندى خبرة عشرين سنة أو أكثر فى الزواج ، ونحن لحسن الحظ ، أو لسوء الحظ لا أدرى ، مازلنا بعيدين عن الزواج العلمى أى الزواج القائم على أصول علمية ، الذى تقاس لأجله الكفايات والمواهب والاحتمالات بغية تحقيق السعادة وإنتاج خير الأولاد ، ولكننا مع هذا قد ارتقينا عن ذلك الطور الذى كان آباؤنا يتزوجون فيه باختيار آبائهم ، ثم تكون الحياة كيفما اتفق ، وأرجو وقد أتممت حديثى ألا أكون قد أغضبت أحدا منكم والسلام عليكم ورحمة الله

متزوج

# المدارس الناهضة

" المدارس الجديدة " و " المدارس الناهضة " أو " المدارس المترقية " من الألفاظ التي يكثر ورودها هذه الأيام في دوائر التعليم الأوربي والأمريكي. وقد ألف عدد كبير من الكتب في شرح مبادئها وتركيبها كما أصبحت لها مجلات تدعو الى هذه المبادئ وتوضحها وتنشر اخبارها.

واذا شئنا أن نبين المبادئ التي يقوم عليها التعليم في هذه المدارس لاحتجنا الى مجلدات. ولذلك نكتفي بذكر الأهم من المبادئ العامة ولا ندخل في التفاصيل .

وأهم هـذه المبادئ هو الإيمان بطيبة الطبيعة البشرية . فإن هناك فلسفتين في التعليم . احداهما تلك التي تقول بسـوء الطبيعة البشرية وضرورة العصا للتأديب و بالرقابة والتوجيه والالزام للتلميذ . والأخرى تقول بطيبة الطبيعة البشرية . و بأن التلميذ يجب أن يكون حرا يدرس ما يشاء و يترك ما يشاء فلا يجبر على دراسة مادة يكرهها ولا يضرب ولا يعاقب بالعنف .

هذا هو المبدأ الأول الذي يشمل جميع المدارس " الجديدة " . وأول من دعا هـذه الدعوة هو بالطبع جان جاك روسـو في كتابه " أميل " . وفي عصرنا الحاضر نجد ديوى وكيلباترك في أمريكا ونايل ورومل في بريطانيا ، وعدد اكبيرا غير هؤلاء في أوربا باستثناء الديكتاتوريات التي أغلقت جميع هذه المدارس لأنها تناقض فكرياتها السياسية .

فإذا تركنا هذا المبدأ العام ونظرنا نظرة عاجلة فيما ينطوي عليه المعنى والمغزى من هـذه المدارس وجدنا أننا نستطيع بالمقابلة بينها و بين المدارس القائمة التي لا تزال تسير على المناهج والبرامج القديمة أن نبرز كثيرا من فضائلها التي قد تعد رذائل عند أولئك الذين لا يؤمنون بها .

فالتلميذ في هذه المدارس الجديدة لا يتعلم ولكنه يعيش . أو هو سيتعلم عن طريق المعيشة . فإن المدرسة تنظر اليه باعتباره كائنا حيا يجب أن يتمتع بطفولته أو صباه أو شبابه وهي تزوده بوسائل العيش في المدرسة باعتبار هذه المدرسة مجتمعه الخاص الذي يجب أن يحيا فيه حياة مليئة بالعمل والنشاط . وهو هناك يحيا ليومه وليس لغده . فان المدارس القديمة تؤكد تأهيل التلميذ للمستقبل . وهي تنصرف الى هذه الناحية انصرافا يكاد يكون كليا فتهمل الحاضر وتحرم الصبي أو الشاب من أن يعيش في سنه وتلتفت فقط الى رجولته المسـتقبلة فتهيئه لها . ولكن المدارس الجديدة تقول إن خير ما يهيئ للمستقبل هو الحاضر ، فيجب أن يعيش الصبي وفق السن التي هو فيها . وهذا المبدأ يضطرها الى أن تجعل الفصول الأولى التي للاطفال عملية يتعلم فيها الطفل أو الصبي المعارف عن طريق العمل .

فالصبي نجـار أو حداد أو نساج أو هو يجلد الكتب أو يطلى الأدوات والجدران أو يزرع أو يصنع أى شىء آخر. ومدرسة الأطفال تعدّ من هذه الناحية مجموعة من الورشات الصغيرة لا يجبر طفل أو صبي على أن يحضر ويتعلم فى واحدة منها ، بل هو يترك لكى يلعب ويشبع بل يسأم من اللعب ثم يختار إحدى هذه الورشات ويعمل فيها . والمعلم الذى يرشده يقرن المعارف إلى العمل ولكنه لا يقسر التلميذ على أن يتعلم أكثر ممـا يحتاج إليه برغبته الصادقة فى الوقوف على الصعوبات التى تعترضه فى عمله . ولعل ممـا يستغرب له القارئ أن يعرف أن التلميذ فى هذه المدارس الجديدة يعاقب بحرمانه من الدرس . فإنه لتعلقه بالورشة أو ما يلحق الورشة من دروس لا يطيق الغياب عنها . وهو يترك لعبه وسلوياته لكى يدرس ويتمرن .

وقـد ألغت المدارس الجديدة الدرجات فى المواد كما ألغت ترتيب التلاميـذ وذلك للاعتقـاد بأن الدرجات والترتيب كلاهما يحدث مباراة تبعث على الكراهة بين التلاميذ . والمعلم يمتحن التلاميـذ لا لكى يبين لهم المتفوق والمتخلف بل لكى يعرف هل الطريقة التى تتبع فى تعليمهم مجدية أم لا . فكأنه بامتحانهم إنمـا يمتحن نفسه لكى يثبت على طريقته أو ينقحها أو يستبدل بها . وبدلا من المباراة بين تلاميذ الفصل الواحد تتبـارى الفصول جماعة فيحس التلميذ فى الفصل روح التعـاون بينه وبين إخوانه ويؤدى عمله كما لو كان عضوا فى فريق الكرة يجهد ويتعب لكى تنجح الجمـاعة وليس لكى ينجح هو وحده . وينشأ بعد ذلك فى المجتمع وهو ينظر هذا النظر أى لا يندفع بالرغبة فى التفوق والإثراء إلى المزاحمة العنيفة بل يتجه فكره على الدوام إلى التعـاون مع المجتمع . فالمدرسة هى المجتمع الصغير الذى يعيش فيه الطفل أو الصبي أو الشاب ، فاذا كان العمل فيها يسير على مبدأ المباراة فان المجتمع الكبير الذى سيعيش فيه الشاب عاملا كاسبا سيسير أيضا على هذا المبدأ . والتعاون أصلح للمجتمع من المباراة .

ومبدأ آخر تسير عليه المدارس الجديدة ، هو أن التلميذ يشترك مع المعلم فى التعليم . فليس التعليم هنا مهمة المعلم وحده . وانما هو مهمة التلميذ أيضا . وبكلمة أخرى يجب أن ننقل الطريقة الجامعية التى يتبعها الطلبة الكبار فى الكليات الى المدارس الابتدائيـة والثانوية . فالتلميذ يبحث ويقرأ بإرشاد المعلم ولكنه لايلقن المواد ولا تعطى له الملخصات لكى يحفظها عن ظهر قلب . ومن هنا نشأت طريقة "المشروع" التى عنيت بها المـدارس الأمريكية والتى ابتكرها الأستاذ كلبا تريك . فان التلاميذ يدرسون مشكلة من المشكلات المحيطة بهم مثل تفشى الأوبئة أو انتشار الجرائم أو غلاء الأثمان أو كثرة التعطل . والمعلم هنا يرشد الصبيان ولا يسوقهم ، وهو يزور معهم الأماكن التى توضح لهم معنى أو مغزى فى الموضوع الذى يدرسونه كما أنه يتصل بالحكومة أو بالناشرين لكى يطلب الكتب التى تبحث هذا الموضوع .

وهو فى غضون الدرس يشرح كل ما يعترضه أو يتصل بموضوعه من صعوبات . فيخرج التلميذ بعد أن يكون قد قضى شهرا فى هذا الدرس ، وهو يدرس نظام الحكومة أو المجتمع ويكون فى الوقت نفسه قد عرف نظريات ووقف على معارف كثيرة عملية أو رياضية أو اجتماعية . ثم هو بعد ذلك يكون قد تعلم طريقة البحث لأى مسألة أو مشكلة تواجهه فى المستقبل. وهنا ميزته على التلميذ الذى تعلم فى المدارس القديمة. لأن هذا قد درس مواد معينة فإذا عرضت له مواد أخرى لم يدرسها وقف حيالها حائرا . كما إذا عرضت له مشكلة لم يعرف كيف يواجهها ويحلها .

والمدارس الجديدة تعنى أكبر العناية بتربية الشخصية . فالتلميذ ليس عندها أسفنجة تتشرب المعارف، ولكنه كائن حى ينمو ويبحث بنفسه عن المعارف ويقصد إليها ويستخدمها لزيادة الرفاهية والسعادة ، وهو يتخرج منها لكى يعيش سائر عمره طالبا يبحث ويتعلم وينمو فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وذلك لأنه حين ترك المدرسة لم يمتحن الامتحان النهائى الذى يثبت معرفته بطائفة معينة من المواد التى لا يعرف غيرها، وإنما هو تعلم الطريقة التى يمكنه أن يزيد بها معارفه السابقة أو يبتكر بها معارف جديدة .

وللتمثيل والخطابة وترتيب الاجتماع شأن كبير فى المدارس الجديدة، لأنها جميعها ترقى الشخصية وتنميها ، كما أنها ترقى الروح الاجتماعى الذى يحتاج إليه عصرنا . ويقول دعاة المبادئ الجديدة إن الحرب إنما هى القمة لروح المباراة التى نوجدها بين التلاميذ فى المدارس الحاضرة ثم نقويها بالمزاحمة للكسب فى المجتمع . ولكن إذا نشأ التلميذ على التعاون فى الفصل وعلى الحرية فى اختيار المواد التى يريد أن يتعلمها فإنه ينشأ على مثل هذه الخصال فى المجتمع يطلب التعاون بين الأفراد ثم بين الأمم . كما أنه لتعلقه بالحرية يرفض الطغيان ويحطم كل محاولة للاستبداد ، وليس عجيبا بعد هذا أن نرى أن جميع الأمم الديكتاتورية مثل روسيا وألمانيا وإيطاليا قد ألغت هذه المدارس الجديدة .

---

## من حكم العرب

إن عجبت لشىء فعجبى لرجال تنمو أجسامهم وتصغر عقولهم .

الأحنف بن قيس

# التعاون الاقتصادى الرأسمالى

للدكتور إبراهيم رشاد بك

مدير التعاون

---

لست أدرى أمن حسن حظ التعاون أم من سوء طالعه أن يسمى "تعاونا" فإن هذه الكلمة شائعة بين الناس ، وهى تعنى عندهم التضامن والتكاتف والتآزر والاتحاد وكل ما يتصل بهذا المعنى الجليل، ولكن التعاون — كما ابتدع فى أوربا وكما نمارسه فى مصر — نظام "اقتصادى" محدود المعنى ، مفصل القواعد . وها نحن أولاء نستعمل كلمة "التعاون" على وجهين : الوجه العام الذى يراد به التضامن ، ويتناوله الكتاب والأدباء من جميع نواحيه السياسية والأدبية والنسائية والصحية وغيرها ،والوجه الخاص الذى يقصد به الحركة التعاونية والاقتصادية والاجتماعية .

وهذه الحركة عالمية لم يخل منها قطر من أقطار العالم المتمدن ، وهى ترمى إلى إسعاد الطبقتين الدنيا والوسطى ، وتوفير الرخاء والهناءة لهم وفق أساليب معينة .

وهذه الأساليب بعيدة كل البعد عن أساليب العنف والهدم ، فهى تقوم على التطور لا على الطفرة ، وتتذرع بالسلم حتى حيال أشد المذاهب الاقتصادية مخالفة لروحها ومناوأة لغايتها ، وأعنى به المذهب الرأسمالى .

وهأنذا أضع تحت نظر القراء ثلاثة أنواع مختلفة للتعاون عساهم باستيعابها أن يقدروا موقف التعاونيين من غيرهم ، وأن يزنوا مكانة التعاون فى العالم، وأن يدركوا ملاءمته لحياتنا القومية ، وضرورته لنهضتنا الحديثة ، وتلك النواحى الثلاث هى :

أولا — الفرق بين المذهب التعاونى والمذهب الرأسمالى .

ثانيا — التعاون بأنواعه ومكانته فى مختلف البلدان وفى بلادنا .

ثالثا — الأسباب التى تجعلنا نعتقد أن التعاون هو أكفل النظم الاقتصادية والاجتماعية للنهوض بالشعب المصرى .

* * *

## الفرق بين المذهب التعاونى والمذهب الرأسمالى

إن معنى الرأسمالية أن يقوم صاحب المال بمفرده أو بالاشتراك مع أمثاله بعمل يستثمر فيه الأموال بطريقة منظمة تضمن له أجزاء الربح .

أما التعاون فمعناه اشتراك جماعة من متوسطى الحال فى التعامل لا بقصد الربح على حساب الغير ، بل توحيدا لجهودهم وأموالهم ، وخدمة لأنفسهم جماعة وأفرادا .

وفى ظل النظام التعاونى يتقاضى حملة الأسهم فائدة معقولة لا أكثر ولا أقل ، ويتقاضى العاملون جزاءهم الحق من الأجر ، فليس هناك استغلال من طائفة لأخرى من شأنه أن يقسم الناس إلى أغنياء وفقراء .

ولما كان باب الجمعية التعاونية مفتوحا لمن كان مقيما بالناحية ، ومن حسن خلقه ، دون تفرقة فى الحقوق بين حامل السهم الواحد وحامل العدد من الأسهم ، فقد ضمن الناس الانتفاع بالتعاون مع توافر العدل وشمول المساواة للجميع .

هذا كله يقع تحت الوجهة المادية للتعاون ، وليس للرأسمالية من وجهة غيرها . ولكن للتعاون غاية اجتماعية لاتعد تلك الوجهة المادية سوى وسيلة لها . فان التعاونيين يعتقدون أن توافر المادة أمر ضرورى لتحسين الحالة الاجتماعية . ولذا يحرصون دائما على تخصيص جزء محترم من أرباحهم للقيام بمختلف الأعمال التى ترفع مستواهم الاجتماعى ، وكذلك مستوى البيئة التى يعيشون فيها . ناهيك بما تهيئه الجمعية لأعضائها من فرص لتحسين معلوماتهم التجارية والمالية ، وتدريبهم على الأساليب الحديثة للأخذ والعطاء ، وزيادة ثروتهم من الثقافة العامة . وناهيك بما يبثه التعاون فى نفوس الآخذين به من روح التضامن والحرص على مصلحة المجموع والاضطلاع بالمسئوليات ، والتعود على الشورى والنظام ، وتوطيد الروح الدستورية فى النفوس . وهذه الأخلاق لا تلبث أن تخرج عن نطاق الجمعية التعاونية إلى منطقة القرية ، ثم إلى البلدة ثم إلى الوطن بأجمعه ، ومن ثم نجد الفرد التعاونى " مواطنا فاضلا " ومثالا حسنا لغيره من المواطنين .

* * *

## التعاون وأنواعه

### ومكانته من مختلف البلاد الأجنبية وفى بلادنا

فى كل أمة متحضرة حركة تعاونيـة تتناول ريفها وحضرها ، فتقوم فيهـا الجمعيات التعاونية بأنواعهـا المختلفة من زراعية ومنزلية ومالية وصناعية ، وبعض هـذه الجمعيات محلية تخدم قرية أو بلدة، وأعضاؤها أفراد، وبعضها مركزية تخدم إقليما أو قطرا، وأعضاؤها جمعيات محلية ، وكل هـذه الجمعيات بمختلف أنواعها تخـدم فكرة واحدة هى تحسين حالة الشعب اقتصاديا، ورفع مستواه اجتماعيا ، ورائدها فى ذلك شعارها العالمى : "الفرد للمجموع والمجموع للفرد" ذلك الشعار الذى يرمى إلى توحيد مصلحة الفرد ومصلحة المجموع بحيث لا يكون هناك تنافر بينهما بل توافق واندماج ، فيتجه تفكير الفرد والأمة وجهـدهما إلى هذه المصلحة المزدوجة وتحقيقها، وهل هناك ضمان أقوى من ذلك لإصلاح حال الشعب؟

ولمـا كانت الاحاطة بمكانة التعاون والتعاونيين فى مختلف البلدان لا تتسع لمـا هذه الصفحة أو الصفحات ، فإنى سأكتفى بذكر بعض البيانات العامة عن مملكتين فقط ، إحداهما انجلترا زعيمة الحركة التعاونية المنزلية فى العالم ، والأخرى الدانيمارك رائدة الحركة التعاونية الزراعية :

| | | | |
|---|---|---|---|
| انجلترا ... ... | عدد الجمعيات المنزلية ... ... ... ... ... | ١٢٠٠ | جمعية تقريبا |
| | عدد الأعضاء حوالى... ... ... ... ... ... | ٨ | ملايين عضو |
| | رأس المال المدفوع نحو ... ... ... ... ... | ١٥٥ | مليون جنيه |
| | قيمة المبيعات فى السنة الماضية نحو... ... ... | ٢٦٠ | مليون جنيه |
| الدانيمـارك | الجمعيات الزراعية أكثر من ... ... ... ... | ٤٠٠٠ | جمعية |
| | عدد الأعضاء نحو ... ... ... ... ... ... | ١ ٣/٤ | مليون عضو |
| | قيمة معاملات الجمعيات مع أعضائها | ١٣٠ | مليون جنيه انجليزى تقريبا |

إذن ليس عجيبا أن نلقب الدانيمـارك التى لا يزيد عدد سـكانها على ٣ ٣/٤ مليون نسمة "بالدولة التعاونية" .

أما فى مصر فيوجد الآن نحو ٧٩٤ جمعية تعاونية عدد أعضائها ٨٥ ألف عضو تقريبا، ورأس مالها المدفوع نحو ٢٦٠ ألف جنيه ، أما مبلغ الاحتياطى فقـدره ٧٥ ألف جنيه ، وبلغت قيمة خدمات الجمعيات فى السنة الأخيرة حوالى ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه .

## لماذا نعتقد أن التعاون أكثر النظم ملاءمة لنا

نحن الآن فى مصر على أبواب الدخول فى ميدان الرأسمالية فى نطاق واسع ، فيجدر بنا أن نتبصر فى الأمر وأن نعنى بالتعاون عناية خاصة لعلنا نستطيع أن نحول سكان السفينة من الرأسمالية الى التعاون من أول الأمر ، وبذا نتفادى جهد الطاقة تلك العلل الاجتماعية التى جاءت أوربا فى ركاب الرأسمالية ، فأدت الى اتساع الفروق بين الطبقات ، وما تبع ذلك من قلب للنظام العام ، كما فعلت روسيا من ثورات وحروب داخلية ومن تعديل أو ترقيع فى النظم لايجدى . ونحن فى غنى عن كل ذلك إذا تداركنا الأمر منذ البداية وأقمنا حياتنا الجديدة على أساس تعاونى سليم يكفل للجميع عدالة الانتفاع بثروة البلاد المادية والأدبية .

وهذا الوضع التعاونى مع سلامته هو أكثر النظم موافقة لميولنا القومية التى لاتقبل الطفرة بل تروم التطور الثابت والتقدم الوئيد . وهناك أيضاً انسجام بين التعاون و بين آدابنا القومية المستمدة من الدين والحكم اذ تقول : " وتعاونوا على البر والتقوى " و " الدين المعاملة " و " الناس بخير ماتعاونوا " " وخادم القوم سيدهم " و " يد الله مع الجماعة " .

إننا اليوم نبدأ عهدا جديدا من تاريخنا ، فقد وكل الاستقلال أمورنا الينا ، ونحن أمة ذات ثروة طبيعية وذات قوة معنوية ، فينبغى لنا أن نتذرع بالأخلاق التعاونية الصحيحة ، فنعتمد على أنفسنا ونتكاتف جميعا على العمل الصالح ، ورائد كل منا التكوين المادى والأدبى لا لشخصه فقط ، بل لبيئته كلها ولمواطنيه جميعهم ، وبهذا وحده يعلو المستوى المادى والأدبى للشعب . لسنا أوّل الداعين إلى التعاون فى مصر ، فقد دعا إليه قبلنا " عمر لطفى " و" السلطان حسين كامل " و" سعد زغلول باشا " و" فتح الله بركات باشا " . وما كان لهذه الشخصيات البارزة أن تدعو اليه وتجاهد فى سبيله إلا بعد إيمان بنفعه ، وإدراك أنه أضمن الوسائل للنهوض بالشعب ، وإن الحكومة العاملة على تنظيم بيتنا — كما يقول الانجليز على هذا الأساس — لهى الحكومة الموفقة حقا .

ولما كانت طريق الإصلاح السليم واضحة ممهدة ، وهى طريق التعاون ، فلا داعى لسلوك طرق أخرى للاصلاح الإجتماعى ليست كالتعاون مضمونة الغاية ، ولا مأمونة المسالك . ولو توحدت جهودنا حكومة وشعبا فى طريق واحد نجعله " الطريق السلطانى " كما جرى الاصطلاح ، لكسبنا كثيرا ولحققنا ماتصبو اليه من رقى وفلاح ما

ابراهيم رشاد

# صحة الانسان والحيوان والنبات

## وعلاقتها بانحطاط التربة المصرية

إن ما أصاب التربة المصرية من الارتشاح والانحطاط وخاصة فى أقاليم الوجه البحرى يرجع إلى الفترة الواقعة بين سنتى ١٨٩٠ و ١٩٢٠ . ففى هذه المدة كثرت مشروعات الرى . وكانت الخطة الاقتصادية الوحيدة التى تسير عليها الحكومة هى إيجاد أكبر مقدار من محصول القطن الذى كانت تحتاج اليه المصانع البريطانية والأوربية . وفى تلك السنين كانت العقدة القائمة فى هـذا التوسع القطنى هى توفير المياه للرى ، فأصبح هذا الاتجاه اندفاعا وصارت الزيادة فى الزراعة القطنية لاتعنى شيئا سوى زيادة مياه الرى . ومن هنا هـذه المشروعات التى جعلت وزارة الأشغال أكبر وزارة فى النفقات وصارت مشروعاتها تتناول السودان كما تتناول مصر . وبين أيدينا ونحن نكتب هذه الكلمات كتاب ضخم عن الرى وضعه السر وليم جارستن فى ٦٣٦ صفحة حوالى عام ١٩٠٤ فى بحث مشروعات الرى فى مصر والسودان لتوفير المياه لزراعة القطن فى مصر هو "الدليل فى موارد أعالى النيل" وليس فى هذا الكتاب الضخم صفحة لا بل ولا سطر واحد عن الضرر الذى قد يصيب التربة المصرية من وفرة المياه ، وما ربما ينشأ من هـذه الوفرة من الأضرار بالنبات والحيوان والانسان ، وذلك لأن الاتجاه نحو توفير المياه لزراعة القطن أصبح اندفاعا بل اندفاعا جنونيا عميت فيه الأبصار والبصائر عن المصالح الاقتصادية والانسانية الأخرى .

بل الحق أنه منـذ عام ١٨٠٠ الى حوالى ١٩٣٠ أى نحو ١٣٠ سنة لم تفكر الحكومة فى الريف إلا من حيث قيمته الاقتصادية وتوفير جميع الأحوال الملائمـة لزراعة القطن . والمتأمل لهـذا النبات تخطر بذهنه جميع الكوارث الحـاضرة التى يكابدها الفلاحون . فان الاندفاع فى زراعة هذا النبات هو علة الارتشاح المـائى الذى مرضت به التربة المصرية . وهـذا الارتشاح هو الذى شرعنا منذ سنوات قليلة نعالجه بحفر المصارف . وسوف ننفق ملايين الجنيهات لتصحيح الأخطاء التى وقعنا فيها باغراق التربة المصرية بالميـاه فى مدى أربعين سنة ، فى حفر هذه المصارف التى يمكن الاستغناء عنها كما سنرى بعد .

وارتشاح المـاء فى التربة يعود بأضرار مختلفة ، فانه يمنع تشققها ونفوذ الهواء والضوء إلى أعماقها فلا تتحلل ولا تكسب ذلك السماد الطبيعى الذى تمتاز به التربة الجافة المتشققة ولذلك تنقص خصوبتها . ثم إن دوام المياه فيها يجعل الديدان ويرقات الحشرات تعيش

فيها على مدى السنة كلها ، وكانت هـذه الديدان واليرقات تموت بالجفاف . فان لجميع الحشرات أربعة أطوار فى حياتها هى البيضة ثم اليرقة التى تشبه الدودة ثم العذراء أى اليرقة المختبئة أو النائمة داخل نسيجها ثم الحشرة الكاملة ، و إذا انقطعت حلقة واحدة من هـذه السلسلة فان الحشرة تموت . وكان الجفاف يقطع هـذه السلسلة وكانت الحشرات لذلك قليلة قبل أن تتشبع التربة بالميـاه حتى كان الفدان المزروع بالقطن يخرج نحو ١٢ قنطارا . أما الآن فان شجرة القطن لا تجد الخصوبة السابقة فى الأرض ولا تمتد جذورها إلى الأعماق لأنها تجد المـاء على الطبقات القريبة من سطح التربة ثم هى موبوءة على الدوام بالحشرات . ووفرة المياه قد جعل الأملاح تصعد إلى السطح وتحول دون ظهور النبات لأن الملح معقم .

وهذه الرطوبة التى عمت التربة المصرية قد أتاحت لدودتى البلهارسيا والانكاستوما ولحشرة البعوض أن تعيش على طول السنة . وكان الجفاف يقطع سلسلة حياتهن . ولكن الرطوبة وصلت حلقات هذه السلسلة ، ولذلك أصبح كل فلاح تقريبا فى الوجه البحرى مصابا بهاتين الدودتين أو بإحديهما وصار دمه منزوفا وقوته خائرة لايستطيع الجهد الزراعى المثمر .

والمـاشية كذلك تفشت فيها الأمراض التى نشأت من هـذه الرطوبة . فان الدودة الشريطية مثلا تصيب البقر ، وهى تحتاج إلى أن تتصل حلقات حياتها بين الانسان والحيوان ، ولو كانت التربة جافة لانقطعت سلسلة حياتها ، وهكذا الشأن فى أمراض أخرى .

ويمكن على وجه التلخيص أن نقول إن الاندفاع فى توفير المياه للرى قد أشبع التربة بالميـاه فنشأ عنهـا :

( أولا ) نقص خصوبتها بارتفاع الأملاح إلى السطح وانسداد شقوقها و برودتهـا ، فقلت المحاصيل لذلك .

( ثانيا ) توافر الحشرات التى تصيب النبات .

( ثالثا ) توافر الحشرات التى تصيب الحيوان .

( رابعا ) توافر الحشرات التى تصيب الفلاح .

والآن تتجه وزارة الأشغال إلى إيجاد المصارف لتجفيف التربة التى أفسدتها المياه ، وهذا تصحيح لإفساد سابق . ولكن المصرف ليس الدواء الناجع . ونحن فى مصر نستغل الأرض ونحاسب عليها بالشبر ، والمصارف تتحيز جزءا كبيرا من التربة المصرية الغالية يجب أن يحسب ثمنه فى الثروة العـامة ، ثم هذه المصارف تجرئ المزارعين على الافراط فى استخدام المياه .

ويجب ألا ننسى أننا حين نغسل الأرض من الأملاح المضرة كذلك نغسلها من الأملاح المفيدة ، فان السماد العضوى الذى يجب أن تنتفع به التربة بضع سنوات يزول عنها إلى المصارف فى أقل من سنة . وخير من انشاء المصارف وماتكلفه الحكومة والأمة من تكاليف باهظة فى الحفر والصيانة والتعطيل عن الزراعة بما تحجز من مساحات كبيرة — نقول انه خير من ذلك أن نمنع رى الراحة منعا باتا فى جميع أنحاء القطر . فيجب ألا تصل المياه فى المجارى والقنوات إلى أعلى من متر ونصف متر بينها و بين مستوى التربة التى حولها . و بذلك تجف التربة . وتستعيد خصوبتها وتزول الحشرات التى تعيش فيها . ولسنا ننكر أن المزارعين عامة سيشكون من نظام كهذا إذا عمم ، ولكنهم يشكون لأنهم لم يستعدوا بالآلات لهذا الرى ، ولكنهم عندما يستعدون له سيجدون أن مايكلفهم هذا الرى من نفقات لايبلغ عشر ماسوف يربحون من الزيادة فى المحصولات بل الزيادة فى صحة الفلاحين وصحة الماشية .

كذلك يجب منع زراعة الرز إلا من الأقاليم التى لم تزرع قط والتى يراد استصلاحها . فان هذه الزراعة هى التى عممت حمى الملاريا بين الفلاحين إلى جنب مرضى البلهارسيا والانكلستوما . وقد أتيحت لنا زيارة عزبة قريبة من الزقازيق فوجدنا أن طنين البعوض لا ينقطع عنها طول الليل لأن مياه الرز المزروع بالقرب منها كان منبتا ومحضنا ليرقاته .

إنه ليس من حقنا أن نكسب من الزراعة إذا كان هذا الكسب يرافقه خسار فى صحة الفلاح لأن الإنسان أهم وأنفع وأسمى من النبات والحيوان . فاذا كانت الخطة التى سرنا عليها قد أفسدت الزراعة كما أفسدت الصحة والاجتماع فاننا يجب أن نسارع إلى الاقلاع عنها وأن نتخذ خطة أخرى .

---

## وصف الحياة الدنيا

إنما الدنيا شجون تلتقى ... وحزين يتأسى بحزين

ضحك الدنيا احتشاد للبكا ... وأغانيها معدات الأنين

شوقى

# حوادث النصب

لحضرة اليوزباشى صالح زكى
معاون بوليس مكتب الآداب

تكاد تكون حوادث النصب من الحوادث الدقيقة الغامضة التى تحتاج إلى شرح مستفيض، لأن الأساليب التى يلجأ إليها النصابون فى ارتكاب جرائمهم هى من الدقة والإحكام بحيث يصعب على المرء حصرها، وقد اختصت بهذه الجرائم طائفة اشتهرت بسعة الحيلة والمكر والخداع والقدرة على الاحتيال، وقل أن تحدث جريمة نصب دون أن يتخذ الفاعل فيها لنفسه صفة كاذبة يضلل بها الناس. فترى بعضهم لا يحجم عن التزيى بزى ضابط أو جندى أو حاجب لإيهام الناس بهذه الوسيلة وسلب أموالهم، ومنهم من ينتحل لنفسه شخصية بارزة ولقبا ضخما، فيدعى أنه الباشا كذا أو قريب اللواء الفلانى ليغرر بالبسطاء ويبتز أموالهم، ومنهم من يزعم لنفسه أعمالا يدعى بها القدرة على مالا يقدر عليه أحد، كشفاء المرضى واستخراج الذهب من الرصاص وهكذا يستنبط كل محتال حيلة خاصة. ويتبع وسيلة معينة أتقنها فأصبح أخصائيا فيها. وسنذكر فى هذا الباب أهم الوسائل التى يرتكب بها هؤلاء المجرمون جرائمهم مسترشدين ببعض الحوادث الهامة الشائعة الكثيرة الحصول ليقف القارئ على حبائل هذه الطائفة وطرق احتيالهم وأساليب إجرامهم، فإن ذلك من أنجع الوسائل لسد المسالك عليهم وإحباط خططهم واتقاء شرهم.

فمن الجرائم التى يختل فيها النصابون صفات كاذبة أن يذهب أحدهم بملابس رسمية فى زى حاجب أو جندى فى الجيش أو البوليس إلى أحد المتاجر ويشترى بضاعة دون أن يدفع ثمنها ويطلب من صاحب المتجر إرسالها مع أحد العمال إلى منزل يذكر له عنوانه، على أن يتسلم العامل الثمن عند وصول البضاعة ويكون قد ذكر له عنوان عمارة معينة ذات بابين حتى إذا ما وصل العامل بالبضاعة وجد المحتال فى انتظاره على بابها فيأخذ المحتال البضاعة من العامل وتكون فى الغالب محمولة على عربة يد فيكلفه بالبقاء بجوار العربة لحراستها حتى يصعد إلى شقة مخدومه أو رئيسه ويستحضر له ثمن البضاعة فيذهب حيث يهرب بها من باب العمارة الآخر.

وبعض المحتالين يرتكبون جرائمهم باختلاق رواية للايهام بها، وذلك بأن يتحدث المحتال منهم إلى أحد التجار تليفونيا موهما إياه أنه أحد عملائه ويكون المحتال قد وقف على مدى الصلة

والعلاقة بينهما ويكلفه بتجهيز بعض مايلزمه من البضاعة حتى يرسل من يستلمها منه ثم يذهب المحتال بنفسه ويستلم البضاعة . وهـذه الطريقة يتبعها كثير من الخدم الذين يفصلون من خدمة أحد المنـازل ويكونون واقفين على مدى علاقات مخدوميهم ومعـاملاتهم مع بعض التجار .

وليست جرائم النصب قاصرة على طائفة خاصة من المجرمين الذين يميلون إلى الإجرام بغريزتهم فحسب فان هناك أفرادا من ذوى الوجاهة والثراء، بل ينتسبون فى بعض الأحايين إلى بيوت عريقة فى المجد وكريم الأصل وبعـد الحسب يرتكبون جرائم النصب مدفوعين بعوامل شتى أهمها الحاجة والعوز فلا يترفعون عن الانحطاط الى درك الإجرام السافل ولا يبالون مايلوث سمعتهم ويخدش شرفهم ، فقد حدث مرة أن وجيها تقدم إلى شركة من الشركات التى تتجر فى آلات الراديو فاستخدم اسمه المعروف ولقب عائلته المشهور فى الحصول على بعض آلات الراديو واتفق أن يدفع ثمنها على أقساط شهرية ثم دفع القسط الأول وما لبث أن توقف عن الدفع وباع الآلات وظهر أنه محجور عليه وأنه لا يستطيع دفع شىء ، واتبع وجيه آخر مثل هذه الطريقة مع أحد تجار السجاد . ومن الحوادث الأليمة التى حدثت أخيرا بالعاصمة أن أحد مقاولى العمارات توجه إليه وجيه معروف ، وكان له منزل كبير متخرب لا يملك حق التصرف فيه لأنه محجور عليه فأوهمه أنه فى حاجة إلى هدمه وبيع أنقاضه فذهب المقاول معه وعاينه واتفق أن يشترى منه الأنقاض بمـائة جنيه دفع للوجيه نصفها مقدما وما كاد يبدأ بالهدم حتى اعترضه القيم فأوقفه ولم يستطع المقاول الحصول على بعض ما دفعه إلا بعد جهد جهيد .

ومن أطرف حوادث النصب التى دلت على جرأة الفاعل وسعة حيلته أن أحد المجرمين المعروفين باتقان تزييف أوراق البنكنوت تقدم لتاجر كبير ممن اشتهروا بترويج هذه الأوراق فعرض عليه رزمة من أوراق البنكنوت تحتوى على مائة ورقة من فئة الخمسة الجنيهات أوهمه أنها من صنع يده وأنها متقنة لحد أنه عرض عليه أن يروج جانبا منها بنفسه أمامه وقد انتقى الشارى منها عشر ورقات وذهب المحتال بحضوره إلى جملة بنوك ومتاجر فصرف هـذه الورقات دون أن يشتبه فى أمرها أحد وقد اطمأن الشارى إلى هذه الصفقة فقبل أن يشترى المـائة ورقة بمبلغ مائتين وخمسين جنيها ، أى بنصف قيمتها ، وتسلم التسعين ورقة الباقية ودفع ثمنها لصاحبها ، ثم وضع الأوراق فى حقيبة صغيرة من الجلد ، وكان المذكور يقيم بالاسكندرية وصح عزمه على السفر إليها عقب شرائه الأوراق مباشرة فذهب المحتال ليودعه بالمحطة وبعد أن اشترى المذكور تذكرة السـفر بالدرجة الأولى وركب فى القطار ووضـع الحقيبة فى المكان المخصص للحقائب أعلا المقاعد استأذن المحتال قبل قيام القطار بدقائق ولكن لم ينصرف ، بل توجه إلى شباك التذاكر واشترى تذكرة للسفر للاسكندرية ولم يركب القطار بل

انتظر قليلا حتى تحرك وبارح الرصيف فتوجه المحتال توا إلى مكتب حضرة الضابط القضائى بالمحطة متصنعا أشد أنواع الفزع وأبلغه أنه كان ينوى السفر وبعد أن اشترى تذكرة وضع حقيبة صغيرة بأحد عربات الدرجة الأولى وعين له أوصاف الحقيبة وموقع العربة التى تركها بها وأنه التفت للبحث ليرى شيالا كانت معه حقائب أخرى فلم يجده، فلما نزل للبحث عنه على الرصيف تحرك القطار فلم يستطع اللحاق به، وأن الحقيبة التى ذكر أوصافها بداخلها تسعون ورقة من فئة الخمسة الجنيهات وقد اهتم حضرة الضابط القضائى بهذا البلاغ فبادر فى الحال بالاتصال تليفونيا بمحطة بنها وأخطر المختصين بالحادثة، فما كاد القطار يصل إلى هناك حتى انتقل أحد الضباط ومعه قوة وحاصروا عربة الدرجة الأولى التى عينها المحتال وهناك دخل الضابط على الشارى المسكين فوجد الحقيبة فى المكان الذى ذكره المبلغ، ولما سأل الضابط الركاب عن هذه الحقيبة لم يجب أحدهم جوابا إذ خشى الشارى أن يذكر أنها له ظنا منه أن أمر الأوزاق قد انكشف وأنهم يبحثون عن باقى الأوراق المبيعة لضبطها فأخذ الضابط الحقيبة حيث فتحها فوجد بها الأوراق المالية بتمامها كما ذكرها المحتال فأرسلها إلى القاهرة لتسليمها إليه، وقد اتضح أن أوراق البنكنوت لم تكن زائفة بل هى أوراق صحيحة وقد قدمها المحتال طعما فى صيد نقود صاحبه المروج، وهكذا استطاع أن يحصل مع النقود التى جازف بها على مبلغ لا يستهان به تاركا زميله المسكين يعض أصابع الحسرة والندم.

وحدث مرة أن تقدم أحد المحتالين إلى تاجر كبير معروف بالجشع وحب المال فأوهمه أن لديه مائة ورقة من فئة الجنيه متقنة التزييف وأنه مستعد لبيعها له بخمسة وثلاثين جنيها على أن يروج أمامه بعضا منها بنفسه ليطمئن فقبل التاجر ذلك وكان المحتال قد جهز رزمة من ورق أبيض بحجم ورق البنكنوت ووضع فى نهاية الرزمة من أعلى ورقتى بنكنوت صحيحتين ومثلهما من أسفل ليوهم التاجر أن الرزمة كلها بنكنوت واتفق معه أن يكون التسليم فى جهة نائية حتى لا يفاجئهما أحد من رجال البوليس وقد ذهب التاجر فى الزمان والمكان المتفق عليهما فأعطى المحتال المبلغ لكى يستلم منه الرزمة، إلا أنه ما كاد يضع يده عليها حتى فاجأهما بعض أعوان المحتال متزيين بزى المخبرين وكان لا بد للتاجر فى هذه الأثناء من أن يلقى بما فى يده ويلوذ بالفرار دون أن يفطن إلى أن الجميع قد تآمروا على سلب نقوده بهذه الحيلة الشيطانية وقد تكرر هذا الحادث مع كثير من التجار دون أن يبلغ أحد عما أصابه خشية العار والفضيحة.

ومن حوادث الاحتيال الكثيرة الحصول بالمدن أن يراقب محتال أحد الباعة كباعة الطيور السريحة مثلا حتى إذا نادت عليه إحدى السيدات من شرفة مسكنها تقدم المحتال للبائع موهما إياه أنه خادم السيدة التى نادت عليه فيأخذ منه زوجين أو ثلاثة من الطيور ويصعد بها بسرعة للسيدة فيوهمها أنه صبى البائع ثم يبيع لها الطيور ويتسلم الثمن

و يعود للبائع فيدّعى أن الطيور طرف سيدته وأنه ذاهب ليصرف ورقة من فئة الخمسة الجنيهات لاعطائه الثمن منها أو يكلفه بالصعود لتسلم الثمن بنفسه فيطمئن البائع إليه و يتركه فيذهب المحتال إلى حيث لا يعود ، وكم كانت أمثال هذه الحوادث موضع شجار بين الباعة والأهالى ومصدر متاعب لرجال البوليس فى الأقسام .

وقد حدث مرة أن أحد المحتالين ذهب إلى محل قصاب وأوهمه أنه خادم موفد من قبل أحد زبائنه المعروفين وكان قد عرف أنه يستورد اللحم منه فطلب منه رطلا من اللحم ونصفا من الكبدة و باقى جنيه فاستحضر القصاب صبيه وأعطاه اللحم وما تبقى من الجنيه وركب الصبي دراجة المحل وركب المحتال خلفه حتى إذا وصلا المنزل طلب المحتال من الصبي أن يبقى ليحرس الدراجة أمام الباب وأخذ منه اللحم والنقود حيث صعد للشقة وأعطى اللحم للخادمة وأوهمها أن سيدها أرسلها معه ثم عاد إلى الصبي وأوهمه أن مخدومه يريد تسليم الجنيه له شخصيا فى يده وطلب منه الصعود لتسلمه وأوهمه أنه سيحرس له دراجته حتى يعود فما كاد الصبي يصل للشقة حتى اتضح أمر المحتال وعاد الصبي فلم يجد الدراجة لأن المحتال كان قد ركبها وهرب بها فضرب فى هذه الحادثة عصفورين بحجر واحد إذ استطاع أن يستولى على النقود والدراجة بدهائه وحيلته .

ومن الأساليب المختلفة التى يتبعها بعض النصابين أن يصعد أحدهم إلى شقة ما فى إحدى العمارات و يوهم سكانها أنه موفد من قبل رب الدار لطلاء الأوانى النحاسية فاذا قالوا له إن أوانيهم لا تحتاج الى طلاء أبدى أسفه لأنه أخطأ الشقة وذهب الى شقة أخرى وهكذا حتى تقع فى حبائله سيدة مادجة تكون أوانيها فى حاجة للبياض فتعطيه كل ما بالشقة من أوان نحاسية فيذهب بها إلى حيث لا يعود .

و بعضهم يستحضر قطعة من الورق الكرتون كالتى يضع عليها عمال الكى ملابس الزبائن بعد كيها ويذهب إلى أحد العمارات و يوهم السكان أنه عامل موفد من قبل فلان صاحب محل الكى للسؤال عما إذا كانت هناك ملابس فى حاجة لكيها و يكون قد عرف اسم صاحب أقرب محل كى للعمارة وعرف بفطنته أن أكثر سكان العمارة يعاملونه فيطمئن إليه البعض و يسلمونه الملابس التى هم فى حاجة إلى كيها ، وهكذا ينتقل من شقة إلى أخرى فلا يخرج من العمارة إلا بحمل كبير من الملابس الثمينة المختلفة دون أن يفطن إلى حيلته أحد .

ومن أساليب بعض المحتالين أن يراقب أحدهم بائعا فى الطريق حتى إذا اقترب أحدهم من عمارة لما بان تقدم من البائع فأوهمه أنه خادم بالعمارة وأنه يريد من بضاعته عينات ليعرضها على سيدته فيطمئن البائع إليه فيدخل المحتال بالبضاعة من باب و يخرج من بابها الآخر هاربا بما وصلت إليه يداه تاركا البائع المسكين منتظرا بلا جدوى .

ومن أغرب حوادث الاحتيال أن أحدهم ذهب إلى صالون حلاق فى ثياب أنيقة وتزين فيه وأغدق على صاحبه الأجر وعلى صبيه " البقشيش " ثم جلس أمام الدكان منتهزا مرور أحد باعة الطيور وكان يحمل طيوره على عربة فاستوقفه واشترى منه طيورا ورجا الحلاق أن يرسل معه صبيه ليحمل له الطيور لمنزله وأوهم البائع أنه سيرسل الثمن مع الصبى ثم سار المحتال والصبى حاملا له الطيور حتى إذا ابتعد عن المحل كثيرا أخذ منه الطيور وكلفه بالعودة وانتظاره بالمحل ولم يشأ الصبى أن يسأله عن ثمن الطيور لأن ذلك لم يكن من شأنه ولما عاد قص الصبى على بائع الطيور ما حصل فانتظر بلا نتيجة وأخذ يتهم الحلاق بأنه اتفق مع المحتال على سلبه بضاعته والحلاق يطيب خاطره وصار يمهله قليلا عسى أن يعود المحتال ولم يكن يتوهم أن الاناقة التى عليها المحتال ومظاهر البذخ التى ظهر بها كانت وسيلة من أغرب الوسائل لخديعة والاحتيال .

ومن حوادث النصب التى ما زال حصولها شائعا فى بعض الأخطاط التجارية بالمدن وخصوصا القاهرة كالسكة الجديدة والموسكى وشارع كلوت بك والبواكى أن بعض المحتالين يفتتحون محلا على أنه متجر لمبيع الأقمشة و يقيمون فيه مزادا وهميا فيقف أحدهم على بابه يدق بناقوس كبير ينادى على المارة صائحا "البضاعة راحت بلاش يا عالم . اللى ما يشترى يتفرج" ويقف اثنان آخران من أعوانه داخل المحل لعرض البضاعة على المتفرجين وأكثرهم يكونون شركاء للمحتالين فيتقدمون كأنهم مشترون حتى يخدع بعض البسطاء من الفلاحين والمارة ويشتركون معهم فى المزايدة ولا يزال المحتالون يتزايدون والمحتال عليهم يجارونهم فى المزايدة حتى يرسو المزاد على أحدهم فيتقدم لدفع الثمن فرحا بالصفقة التى أصابها وفى هذه الأثناء يبدلون ما اشتراه بنوع آخر مشابه له من صنف رخيص لا يكاد يساوى نصف ما دفعه ويلفونه له فى الحال دون أن يفقه إلى ما أصابه إلا بعد أن يعود لبلدته .

ولما كانت هذه الطائفة من المحتالين تنتقل من أمكنة لأخرى متخيرة الجهات التى يكثر فيها مرور الساذجين والساذجات من أهل القرى لشراء بضائعهم أو لزيارة الأولياء أو لقضاء حاجاتهم فإنى أحذر هؤلاء من دخول هذه المزادات الموهومة أوالانخداع بأساليب هؤلاء المحتالين حفظا لأموالهم .

وكما أن هذه الطائفة من المحتالين توقع الريفيين فى حبائلها وتستولى على أموالهم بشتى صنوف الاحتيال وطرق النصب فإن هناك بعض النساء القرويات قد امترن باستخدام شتى ضروب الاحتيال وارتكاب كثير من تلك الحوادث ولهنّ فى ذلك أساليب وطرق تشهد لهنّ بالجرأة والمهارة والتفنن فى الاحتيال حتى على النابهين والمتنورين من تجار المدن .

وأذكر فيما صادفنى من الحوادث التى من هذا النوع أن امرأة ريفية دخلت دكان صائغ وهى مرتدية ملاءة ذات زى ريفى متقن وعرضت عليه زوجا من سوار ذهبى ليبدله

لها برقبية و بعض حلى أخرى فساومها على ثمنه بعد أن فحصه جيدا ليتأكد من قيمته ووزنه وعياره وقدره لها بخمسة وثلاثين جنيها ولكنها رفضت بيعه بهذا الثمن لأنها اشترته بخمسين جنيها وخرجت قاصدة محلا آخر مجاورا له فصار الصائغ يناديها ويستعطفها وكانت فى هذه الأثناء وضعت السوار فى منديل فى جيبها وأبدلته بسوار آخر من نحاس مماثل له فى الشكل والحجم وكانت جهزته فى منديل مشابه تماما للمنديل الذى لفت فيه السوار الأول فعادت إليه وطلبت منه أن يزيد الثمن قليلا لأنها ستشترى منه ما تحتاجه من مصاغ بالثمن الذى ستأخذه نقبل أن يدفع لها أربعين جنيها ثم أخذ منها السوار دون أن يتنبه إلى أنه استبدل بغيره وأعطاها ما قيمته أربعين جنيها من حلى مختلفة فأخذته وانصرفت دون أن يدرك الصائغ ما أصابه إلا بعد حين .

ومن الغريب أن السوار الزائف الذى قدمته هذه المحتالة وجدت عليه علامات الدمغة الأميرية كالمنقوشة تماما على المصاغ الذهب الحقيق وقد اتضح أن هناك فئة من الصياغ قد اشتهرت بنقل علامات الدمغة الأميرية ووضعها على أى مصاغ آخر من أى نوع، فلينتبه الى ذلك الصياغ وليحترسوا من الوقوع فى حبائل مثل تلك المحتالات .

وهناك فئة من المحتالين يتخذون طريقة أخرى للاحتيال على البسطاء وهى بيع الأشياء بالتظاهر أنها مسروقة و إيهامهم أنها ثمينة وذات قيمة وذلك بأن يخفى المحتال فى ملابسه خاتما من نحاس مثلا فإذا صادفه شخص ممن ظهرت على سيماه البساطة والسذاجة اقترب منه كما لو كان يريد أن يسر إليه أمرا ثم يعرض عليه الخاتم ليشتريه متظاهرا بالخوف والوجل ويدخل فى روع الشارى أن الخاتم من ذهب وأنه مسروق ليغريه بشرائه بثمن بخس فيعرض عليه ثمنا زهيدا يعتقد أنه بخس وهو فى الواقع أضعاف أضعاف قيمته .

ومن أساليب النصب النادرة المماثلة للطريقة السابقة أن يستحضر أحد المحتالين خاتما من المعدن أو النحاس المطلى بطلاء من الذهب وعليه فص من ياقوت أبيض أو فيروز ويلقى به فى طريق أحد المارة من القرويين ويسير بجانبه حتى إذا مال القروى على الخاتم وأخذه اقترب المحتال منه وطلب منه نصيبه فى الخاتم لأنهما عثرا عليه سويا ويلتمس المحتال من القروى أن يعرض عليه الخاتم ليفحصه ليقدر ثمنه وعند ذلك يوهم القروى أنه خاتم ثمين وأنه يساوى جنيهات عديدة لأنه من الذهب الخالص والفص الذى عليه من حجر كريم فيغتر القروى الساذج بقوله و يعطيه ما يستطيع أن يدفعه من نقود وهو متوهم أنه حصل على خاتم ثمين والحقيقة أنه مزيف لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وهناك طريقة أخرى من طرق النصب يتبعها بعض باعة ورق اليانصيب وذلك بأن يرصد نمرة الورق الذى يبيعه لبعض زبائنه المعروفين فى كشف خاص حتى إذا جاء يوم السحب

وظهر أن إحدى هـذه الأوربحت بادر إلى صاحب الورقة الرابحة وطلب منه الورق الذى باعه له ليكشف له عنه وفى هذه الأثناء يستبدل الورقة الرابحة بورقة أخرى ثم يرد له الورقة موهما إياه أنه لم يربح منها شيء وينصرف بالورقة الرابحة حيث يصرفها لنفسه ويحصل على قيمتها بهذه الوسيلة . وهناك طريقة أخرى يتبعها بعض هؤلاء الباعة، وهى أنهم يغيرون باتقان تام تواريخ بعض الورق الذى انتهت مدته وظهر سحبه بتواريخ جديدة كأن يجعلون الورقة التى تاريخها مثلا ٢١ مارس ٢٨ منه وبعد ذلك يعرضونها على أنها أوراق يانصيب لم يظهر سحبها بعد ويقبضون قيمتها .

ومثل هذه الحوادث لاتحتاج فى الواقع إلا إلى بعض الحيطة والتدقيق والانتباه والحذر، فليتنبه الناس إلى مثل هذه الأساليب، وليحذروا هذه الحيل، ولعمرى ليس لهم عذر بعد أن أوضحنا لهم صنوفا من هذه الجرائم وطرق ارتكابها ؟

يوزباشى
صالح زكى

---

## من الوصايا الاجتماعية فى القرآن

" وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " .

# العادة التي نتحكم فيها

## ثم تعود فتتحكم فينا

العادة مشتقة من العود أى تكرار العمل. فاذا أدينا عملا ثم عدنا إليه مرات صار عادة. والعنصر الآلى فى العادة قوى لأننا لا نحتاج إلى إجهاد الفكر ولا تردد فى النظر حين نؤدى أعمالنا ومهامنا التى تتكرر كل يوم . فنحن نلبس ملابسنا دون أن نحتاج إلى التوقف بين لحظة وأخرى لكى نختار ونميز فى الترتيب . ونغتسل فى الصباح ونأكل ونقرأ الجريدة ونؤدى غير ذلك من الأعمال بحركات آلية لا تكلفنا إجهادا . وتعد العادات من هذه الناحية أسلوبا إقتصاديا لتأدية الأعمال التى تتكرر كل يوم .

وكل عادة تبدأ بعمل . وهذا العمل نستطيع أن نقوم به أو نتجنبه فى بدايته ، ولكنه إذا تكرر شق علينا تجنبه . فنحن نملك العادة فى أولها ، وهى تملكنا فى الآخر . فكلنا يذكر مثلا أننا أيام الصبا بل فى بعض أيام شبابنا لم نكن نبالى القهوة وكنا نشربها كأنها بعض الشعائر الاجتماعية التى يجب أن نؤديها ولو نكرهين . ولكن هذه القهوة بعد التكرار قد صارت عادة فنحن نطلبها فى الصباح أو عند ما تتأزم عواطفنا أو لأى ضيق طارئ . وكأنها قد أحدثت إيقاعا عصبيا له مواعيده التى نستجيب لها . وكذلك الشأن فى الدخان فان المبتدئ فيه يشمئز منه فى الأول ثم يداعبه بعد ذلك أياما أو أشهرا . ثم يعود أسيرا له لا يستطيع الفكاك منه إلا بمجهودات قل من يوفق إلى النجاح فيها .

ونحن نسمى القهوة والشاى والدخان كماليات من حيث إننا نستطيع الاستغناء عنها لأنها ليست طعاما ولا شرابا يحتاج إليهما الجسم . ولكن هذه الكماليات تلح علينا إلحاح الضرورة حتى ليمكن أحدنا أن يستغنى عن فطوره وعشائه راضيا عن جوعه ولكنه لا يستطيع الاستغناء عن القهوة أو الدخان . ونحن عندما نصوم لا نبالى غياب الطعام أو الشراب قدر ما نبالى غياب القهوة أو الدخان .

وأشد وأفدح من هذه المنبهات تلك الخمور التى يعتادها بعضهم ويحسون منها هوانا فى الكرامة إلى إفلاس فى الجيب إلى سوء فى الصحة إلى حرمان للأولاد من حاجاتهم الضرورية ثم يعجزون مع ذلك عن الامتناع عنها .

والمتأمل لأقطار العالم المتمدن يجد أن للمنبهات والمخدرات مكانة كبيرة فى الاستهلاك العام . وقد نستطيع أن نستنتج من عموم هذه العادات أن الحضارة القائمة لفرط ما تضطرنا

إليه من اندفاع وسرعة تجعلنا نعيش على أعصابنا . وأننا لهذا السبب نحتاج إلى ما ينبهنا من الأشربة كالقهوة والشاى كما نحتاج إلى التدخين لكى نرفه بها جميعا عن أعصابنا المتعبة . والواقع أن الذين يعيشون فى بيئة ريفية لا يحتاجون إلى الاكثار من هذه المنبهات كما يحتاج إليها المدنيون الذين يعيشون فى زحمة المدينة واندفاعها .

ولكن هناك اعتبارا آخر . وهو أن الجسم الجائع يحتاج إلى مخدر أو منبه . وتتضح صحة هذا القول عند ما نرى تفشى الأفيون بين الأوساط الفقيرة فى الهند والصين حيث لا تجد الطبقات الفقيرة الغذاء الكافى فهى تلجأ إلى هـذا المخدر لما يفيضه على الأعصاب من إحساس اللذة التى توهم الشبع . ومما يلفت النظر أن طبقات العمال فى بريطانيا هى أكثر طبقات الشعب استهلاكا للشاى . وفى مصر يكثر استهلاك القهوة والشاى والدخان بين الفقراء .

وقد يعلل هذا الاقبال على المنبهات والمخدرات بين الفقراء بعلة أخرى هى قلة السلويات التى يتسلون بها . فان الغنى يمكنه أن يتسلى بالقراءة المفيدة وبالحديث الطلى وبالتنزه المنعش وبالطعام اللذيذ . وهذا كله تقريبا قد حرم منه الفقير . ولذلك يقبل على هذه المنبهات والمخدرات عوضا عما حرمه من سلويات لا يستطيع الوصول إليها . والواقع الذى أثبتته الاحصاءات فى كثير من الأقطار الأوربية أن ظهور سلويات جديدة مثل الراديو والأتومبيل والسينما قد أنقص الاستهلاك فى الخمور والمنبهات .

والمهم فى ما ذكرنا أننا نبدأ بالعادة ونحن متمالكون قادرون ثم ننتهى ونحن فى أسرها عاجزون عن الاقلاع عنها . فيجب لهذا السبب أن نحرص على ألا نقع فى عادة سيئة . ونذكر هنا أننا كنا نتحدث إلى أحد الشيوخ المسنين الذين بلغوا السبعين أو أوشكوا ، وكان يدخن على مضض ، لأنه كان من وقت لآخر يحاول الاقلاع عن هذه العادة فلا يكاد يقضى أياما حتى يعود إليها صاغرا . وكان مما قاله لنا أنه أنفق على التدخين نحو خمسة آلاف جنيه . فلما استغربنا هذا القول عمد إلى المحاسبة فأوضح أنه تعود التدخين منذ أن كان فى الثامنة عشرة . أى أنه مضى عليه نحو ٥٢ سنة وهو ينفق نحو جنيهين أو ثلاثة كل شهر . فاذا حسبنا هذه المبالغ المتراكمة مع فائدة معتدلة فإن مجموع ما أنفقه على التدخين يزيد على خمسة آلاف جنيه !

والعبرة من هذا أننا حين نبدأ فى اتخاذ عادة ما أن ننتبه إلى أخطارها فى المستقبل ، وقد تكون الأخطار المالية على فداحتها أقل الأخطار ضررا . لأن لبعض العادات آثارا أخرى فى الشخصية ، فمهما تكن أثمان الخمور مثلا فان ضياع ماينفق عليها من المال هو دون ما يحدث من الأضرار الأخرى مثل انحلال الشخصية والشقاق العائلى والاهمال فى رعاية

الأطفال وغير ذلك . وأسوأ من هذه النتائج يحدث إذا وقع الانسان فى عادة تناول المخدرات مثل الحشيش أو الكوكئين . فان الفساد هنا يعم الجسم والروح معا .

ولكى نجعل العادة بعيدة عن التمكن يجب أن نكسرها من وقت لآخر ، فان الذى تعود القهوة فى الصباح يمكنه أن يبادر إلى الخروج من البيت بلا قهوة ، وهو حين يسير فى الشارع أو يأخذ الترام تشغله حركته عن حاجته إلى هـذا المنبه ، ولا ضرر بعد ذلك فى أن يشرب عند ما يصل إلى مكتبه ، وكذلك الشأن فى الشاى والدخان بل فى الخمور أيضا .

ولكى لانعتاد العادات السيئة أو لكى نخفف من أسرها لنا وتسلطها على أعصابنا يجب أن نتعلم منذ أيام الشباب سلويات مفيدة نشغل بها وقتنا ونسرى بها عن أنفسنا الضيق الذى قد يساورنا من وقت لآخر. فان المغرم بالقراءة يمكنه أن ينسى التدخين وقت القراءة . وذلك الذى غرس فى نفسه هواية ما يشغل بها فراغه يقبل على هذه الهواية فى لذة ونشاط لايحتاج معهما إلى مخدر أو منبه . بل من الواجب على الآباء أن يغرسوا فى أبنائهم عادات حسنة تقيهم عند ما يشبون من العادات السيئة ، فان الطبيعة تكره الخواء وتسارع إلى ملئه . فاذا لم يكن الشاب قد تعود القراءة أو الألعاب الرياضية أو لم يتعلق بهواية أخرى فانه لابد محتاج إلى أن يملأ فراغه ببعض المسليات التى تختلف من أهونها مثل القهوة والشاى إلى أخطرها مثل الخمر والمخدرات .

والوقاية بالطبع خير من العلاج . فاذا كنا نخشى العادات السيئة فيجب قبل كل شىء ألا نقع فيها . فاذا وقعنا ثم رغبنا فى العلاج فيجب أن نعود الى الأسباب التى تجعلنا نطلب الترفيه عن أنفسنا أو التفريج بالإلتجاء الى هذه العادة . لأننا فى جميع الحالات انما نعمد اليها لأنه ليس بيننا و بين البيئة المحيطة بنا تناسق فيجب أن نعالج هذه الحال معالجة التعقل والتبصر . ثم بعد ذلك نقلع عن العادة اقلاعا كاملا وليس جزئيا . فان الرجل الذى يعتقد أنه يمكنه أن يبطل التدخين بان يقنع بنصف أو ربع ما كان يدخن ثم ينتهى الى الاستغناء عن هذا النصف أو الربع بعد ذلك انما يخدع نفسه لأن العادة لا تموت . فقتل العادة يجب أن يكون كاملا ليس فيه تدرج . ولكن مما يساعد على قتل العادة السيئة أن نتعود عادة أخرى حسنة . كما يجب ألا نترك الجسم فى جوع لأن الاختبار يدل على أن الجسم الذى شبع من الطعام يقوى على ترك العادة أكثر من الجسم الجائع . والسكير لا يستمرئ الشراب بعد الغذاء أو العشاء كما يستمرئه قبلهما . ولذلك يجب ألا نترك فترة للجوع عند من يطلب الإقلاع عن عادة سيئة .

# الحركة التعاونية الاستهلاكية

للأستاذ عبد اللطيف عامر

وضحنا فى مقال سابق حالة العمال فى انجلترا إبان الانقلاب الصناعى وماجره عليهم من نكبات، ثم ظهور التعاون على أيدى الرواد التعاونيين وأتباعهم، والجهود التى بذلوها فى وضع التعاليم التعاونية و إدحاض النظريات والمذاهب الاقتصادية الضارة بهم، والتجارب العملية المتعددة التى حاولوا بها تطبيق نظرياتهم التعاونية لخدمة العمال إلى أن كانت التجربة التعاونية الخالدة بتأسيس جمعية روتشديل بالقرب من مانشستر عام ١٨٤٤

ومن ذلك يتضح أن هذا النظام التعاونى المظيم الذى نشأ فى هذه البلدة كان فى الواقع ثمرة لكل ماتقدمت الإشارة إليه من جهود، فهو لم يتم فى يوم وليلة، أو يتدمه العمال دون حاجة ماسة اليه، بل هو كما رأينا نظام استمد روحه من تعاليم المصلحين الاجتماعيين الذين أفنوا زهرة العمر فى نشر مبادئهم التعاونية إلى أن استقرت هــذه المبادئ فى نفوس الطبقة العاملة. ومن بين هؤلاء العمال نفر من نساجى بلدة روتشديل وفقوا فى وضع نظــام جمعيتهم الاستهلاكية. وكان هذا النظام بعثا للحركة التعاونية، ونورا اهتدت به أمم من بعدهم إلى تعاليم التعاون وإلى تطبيقها على مختلف أنواع الجمعيات التعاونية.

جمع أ بعض هؤلاء النساجين فى روتشديل أمرهم على أن يستعيضوا عما عجزوا عن الحصول عليه من زيادة فى أجورهم بأن يزيدوا فى قوة الشراء بأجورهم التى يحصلون عليها. فقرروا الأخذ بالتعاليم التعاونيــة بانشاء جمعية، واسترشدوا ببعض ماجاء فى أنظمة الجمعيات التى سبقتهم فى وضع نظام جمعيتهم التى أسموها "الجمعية التعاونية لرواد روتشديل".

(The Rochdale Society of Equitable Pioneers)

وكان عدد الأعضاء فى بادئ الأمر حوالى اثنى عشر عضوا، ثم زاد عددهم بعد أن تم وضع نظام الجمعية إلى ثمانية وعشرين، وجعل هؤلاء الرواد من أغراض جمعيتهم المنصوص عليها فى نظامها ما يأتى:

(١) فتح محل لبيع أصناف المآكل والملبس ... ... ... الخ.

(٢) بنــاء أو شراء عدد من المنازل تعد لسكنى الأعضاء الذين يرغبون فى مساعدة بعضهم البعض لتحسين أحوالهم المعيشية والاجتماعية.

( ٣ ) صناعة السلع التى تقرر الجمعية القيام بها لتهيئة العمل لأعضائها من العاطلين أو الذين يعانون التخفيض المتكرر فى أجورهم .

( ٤ ) شراء أو استئجار مزرعة أو عدة مزارع يقوم بزراعتها أعضاء الجمعية العاطلون أو الذين لا يتقاضون أجرا كافيا على عملهم .

( ٥ ) علاوة على ما تقدم فان الجمعية تبدأ حالما يكون ذلك ميسورا فى تنظيم قوى الإنتاج والتوزيع والتعليم والادارة ، أو بمعنى آخر تنشئ مستعمرة ذات كفاية ذاتية من المنافع المشتركة ، أو تساعد جمعية غيرها على إنشاء مثل هذه المستعمرات .

* * *

ولا شك أن هذه الأغراض المتقدمة تحتوى على مطامع كبيرة يقف أمامها المرء مدهوشا عند ما يعلم أن واضعيها كانوا على حالة من الفقر يرثى لها ، ويعجب كيف يجرؤ مثل هؤلاء على تعليل النفس بتلك الآمال ، أو التفكير فى الوصول إلى تحقيق مثل هذه الأغراض . وقد كان هؤلاء الرواد عقلاء على كل حال ذلك لأنهم قرروا أن يقتصروا فى بادئ الأمر على فتح المحل المنزلى ، وبدأوا فى جمع رأس المال اللازم بتوفيره من إيرادهم الضئيل وجعلوا قيمة السهم فى رأس المال جنيها واحدا ، وعلى كل عضو أن يكتتب فى المشروع بسهم واحد يدفع منه ثمانية مليمات (٢ بنس) وقت الاكتتاب ، ويدفع الباقى على أقساط أسبوعية كل قسط منها ثمانية مليمات على الأقل ، ولم يكن جمع هذا الاكتتاب الأسبوعى بالأمر اليسير فقد كان على المحصل من الأعضاء أن يذهب فى صباح كل أحد إلى منازل الأعضاء المتفرقة لجمع الأقساط .

وقد استغرق جمع رأس المال البالغ قدره ٢٨ جنيها مدة تزيد على عام كامل ، وعند ما تم جمع هذا القدر من رأس المال رأى الأعضاء أن الوقت قد حان لفتح محلهم الموعود ، فاستأجروا الدور الأرضى من مخزن متواضع فى حارة " تود " (Toad Lane) بإيجار سنوى قدره عشرة جنيهات .

وبعد أن اشتروا الأثاث اللازم لمحلهم هذا لم يبق لديهم سوى ١٥ جنيها لشراء البضائع اللازمة من أصناف البقالة ، ونظرا لصغر هذا المبلغ فقد بدأوا التعامل فى أصناف الدقيق ، والسكر والزبدة ، أما الشمع فكانوا يستعملون بعضه لإنارة المحل والبعض الآخر للبيع .

وعند ما فتح هذا المحل المتواضع أبوابه لأول مرة قابله الأهالى بالسخرية والاستهزاء ، وقد تسرب إلى الأعضاء أنفسهم شىء من الخجل عند ما أحاط بهم صبية الشوارع هازئين ساخرين ، وعند ما سمعوا الأقوال اللاذعة من السابلة .

وكان المحل يفتح أبوابه فى بادئ الأمر فى مساء كل سبت واثنين فقط ، وكان الأعضاء يتناوبون العمل فيه دون أن يتقاضوا أجرا على ذلك . ولم تنته الصعوبات التى لاقاها هؤلاء الرواد عند هذا الحد ، بل مرت على محلهم هذا أوقات هددته بالإفلاس المحقق خصوصا فى الفترة من سنة ١٨٤٦ إلى سنة ١٨٤٨ ، فقد كان كساد التجارة عاما ، ولم يكن كثير من الأعضاء موالين لمحلهم ، وكان البعض منهم لايعنى بالشراء من محل الجمعية لأنفه الأسباب. فاذا تراءى لهم أن البضائع أقل جودة أو أن الأسعار غير ملائمة ذهبوا توا للشراء من الخارج، كما أن الأعضاء كانوا على جهل بالمبادئ الديمقراطية حتى فى إدارة شؤون محلهم، و بدأ تجار البلدة علاوة على ذلك يشعرون بالخطر من هذه الحركة التعاونية فأرسلوا عريضة للبرلمان يطلبون فيها مصادرة التعاون ، ويفهم من قراءة هذه العريضة أن التجار كانوا يعتقدون بحقهم الوراثى فى احتكار تجارة البلدة، ومع كل هذه الصعاب فقد سار محل الجمعية فى طريق التقدم ولكن ببطء ، بفضل نفر قليل من أعضاء الجمعية الموالين لها .

ولما زاد رأس مال الجمعية وكثرت معاملاتها تمكنت من خدمة أعضائها على نطاق أوسع فاستطاعت فى مارس سنة ١٨٤٥ الحصول على ترخيص ببيع الدخان والجبن، كما بدأت فى نفس السنة بيع الهوم ، وتمكنت فى سنة ١٨٤٨ من استئجار المخزن بأكمله وهو مكون من ثلاث طبقات لمدة ٢١ سنة ، وفى سنة ١٨٥٠ زادت معاملات الجمعية لدرجة مكنتها من فتح محلها طول النهار كل أيام الأسبوع .

وأخذت أعمال الجمعية تتسع حتى استطاعت فى سنة ١٨٥٢ أن تتعامل فى جميع أصناف البقالة تقريبا ، كما بدأت فى صناعة الأحذية و بعض الثياب ، وفى سنة ١٨٥١ عينت الجمعية أول عضو بأجر وهو "جيمز سميثز" — (James Smithies) — أحد الرواد الأول وجعلته سكرتيرا بمكافأة سنوية قدرها ١٥ جنيها ، وعينت للمحل ملاحظا واثنين من العمال بأجور قدرها ٩٠ قرشا للملاحظ فى الأسبوع و ٨٠ قرشا للعامل الأول و ٧٥ قرشا للعامل الثانى ، وفى اجتماع مجلس إدارة الجمعية الذى تقررت فيه هذه المرتبات صدر القرار الهام لمجلس الادارة ، الذى يقضى بأن " كل عضو موظف بالجمعية لا يجوز له أن يكون عضوا بمجلس إدارتها ، وكل عضو فى مجلس إدارة الجمعية لايجوز له أن يكون موظفا بها " وعند ما زاد عدد أعضاء الجمعية وزادت معاملاتها زيادة كبيرة بدأت فى إنشاء فروع لها فى مختلف أنحاء المدينة ، وبقيت الجمعية شاغلة لبنائها الأول كمركز رئيسى لها من ٢١ ديسمبر سنة ١٨٤٤ إلى أن انتقلت منه إلى بناء فخم أعدته لمحلاتها فى آخر سنة ١٨٦٧ ، أما بناء الجمعية الأول فقد أصبح كعبة التعاونيين فى العالم أجمع يزورونه باعتباره رمزا لتلك المبادئ التى نبتت فيه، ثم تفرعت منه إلى سائر أركان المعمورة ، وقد عنى الاتحاد التعاونى فى بريطانيا فى شهر أبريل سنة ١٩٣١ بتحويل هذا البناء إلى متحف تعاونى .

إن هذه الجمعية التى أحرزت هذا القدر العظيم من النجاح ما كانت لتستطيع البقاء أطول من أخواتها من الجمعيات التى سبقتها لو لم يكن لها من نظامها ومبادئها ماوقاها شر الفشل، فقد درس رواد روتشديل عوامل الفشل فى الجمعيات التى سبقتهم وعملوا على تلافيها وتجنب أسبابها عند وضع نظام جمعيتهم ، وكان سر نجاحهم راجعا إلى مبادئ سبعة أدمجوها فى نظام تلك الجمعية .

فباب الاشتراك فى عضوية الجمعية بشراء سهم أو أكثر من أسهمها مفتوح على الدوام للجميع ، وعلى ذلك فان رأس مالها قابل للزيادة المطردة بلا قيد يقيده سوى ما يجوز للعضو الواحد أن يمتلكه ، ويتساوى الأعضاء جميعا رجالا ونساء فى الحقوق والواجبات ، فالعضو الذى يمتلك عديد الأسهم كالعضو الذى يملك سهما واحدا ، كلاهما له صوت واحد فى الاجتماعات العمومية التى تعقدها الجمعية ، وكلاهما يجوز انتخابه لعضوية الهيئات الإدارية للجمعية .

وتوزع الأرباح فى الجمعية بطريقة عادلة ، فالجمعية تبيع بضاعتها بسعر السوق وما ينتج عن ذلك من الربح تعطى منه فائدة محدودة على الأسهم لاتتجاوز السعر الجارى للفائدة على رءوس الأموال والباقى يوزع بين الأعضاء بنسبة معاملة كل منهم مع الجمعية. أى أن الجمعية تعيد إلى أعضائها فى نهاية كل مدة جزءا مما دفعوه ثمنا لمشترياتهم منها ، وهذا الربح هوالذى نسميه " عائدا " وتبيع الجمعية لأعضائها بالنقد حرصا منها على تمكين أعضائها من الموازنة بين إيرادهم وانفاقهم ، ومحافظة منها فى الوقت نفسه على أموال المساهمين فيها . وللجمعية فوق ذلك ناحية من نواحى الخدمة الاجتماعية ونشر التعليم تخصص لها نصيبا من الربح فى كل عام. وأخيرا فان للجمعية مبدأ لاتحيد عنه وهو الابتعاد عن كل نزاع سياسى أو اختلاف دينى .

هذه هى المبادئ السبعة التى سار عليها رواد روتشديل منذ تأسيس جمعيتهم، والتى تنسج على منوالها جميع الجمعيات التعاونية الاستهلاكية فى العالم . ولعل أبرز هذه المبادئ جميعا مبدأ توزيع الربح بطريق العائد على المشتريات لأن هذا المبدأ هو الذى تقوم عليه النظرية الاقتصادية للتعاون وهو الذى يحدد أحد الفروق الهامة بين النظام التعاونى والنظام الرأسمالى. ففى الشركات الرأسمالية يكون رأس المال هو السيد ، وهو المسيطر والمهيمن ، وهو الذى يتقاضى كل الربح لأن الأرباح توزع على المساهمين بنسبة نصيب كل منهم فى أسهم الشركة. أما فى الجمعيات التعاونية فرأس المال ماهو إلا خادم يتقاضى أجر خدمته . وهذا الأجر هو فائدة محدودة لاتتجاوز ٥ ٪ أو ٦ ٪ بحسب السعر الجارى للفائدة على رءوس الأموال .

وقد حققت جمعية روتشديل بهذا المبدأ نظرية روبرت أوين القائلة بضرورة إلغاء أرباح الوسطاء ، لأن العائد الذى توزعه الجمعية على أعضائها بنسبة مشترياتهم هو الذى يمثل

ربح الوسيط ، وقد تمكنت الجمعية بهذه الطريقة أن تجتذب اليها الأعضاء بما توزعه عليهم جملة واحدة من ربح متوفر .

والنظرية الاقتصادية لنظام التعاون الاستهلاكى تقوم على أساس تمكين المستهلك من الهيمنة على جميع موارد الثروة بطريق التطور التدريجى ، والاشتراك الاختيارى دون الالتجاء الى أى عمل من أعمال العنف . والتعاون شعاره " الفرد للمجموع والمجموع للفرد " (Each for all and all for each) — فهو يبدأ من الفرد وينتهى اليه ، ويوفق بين صالحه وصالح المجموع بل يحفز الجماعة لخدمة كل فرد من أفرادها بالعدل والمساواة فيرتقى الفرد وترتقى الجماعة .

وللإنتاج عوامل أربعة هى الأرض وتتقاضى ريعا ، ورأس المال ويتقاضى فائدة ، والعمل ويتقاضى أجرا ، والتنظيم ويتقاضى ربحا ، وهذه العوامل الأربعة فى النظام الحاضر — النظام الرأسمالى — دائمة التصادم ، دائبة على التنازع فيما بينها على توزيع الثروة .

أما النظام التعاونى الاستهلاكى فمع ابقائه على هذه العوامل واعترافه بوجودها لانتاج الثروة لا يرى ضرورة لوجود كل هذه الأمراض الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى العالم مرارتها بسبب وجود التنازع بين هذه العوامل الأربعة على توزيع الثروة .

ويقول النظام التعاونى الاستهلاكى ان كل انتاج انما يقصد به سد حاجة من حاجات المستهلكين ، فهم أولى من يسيطر على الانتاج لتنظيمه بدلا من أن يفرض عليهم هذا الانتاج فرضا ، بل ان هذا الانتاج يتم طبقا للنظام الحاضر على غير مقياس سليم يؤمن جانبه كلا يزيد هذا الانتاج أو ينقص عن حاجة المستهلك فعيوب نظام العرض والطلب والأزمات الاقتصادية التى تحل بالعالم دوريا ، والاضطرابات الاجتماعية بسبب حالة العمل والعمال ، والتطاحن الاقتصادى بين الدول وما ينشب بينها من حروب ، كل هذه أعراض لمرض واحد ولذلك فهى وثيقة الارتباط بعضها ببعض .

ويرى علماء التعاون الاستهلاكى أن الدولة التعاونية ( The Co-operative Commonwealth ) تتألف من جمعيات محلية تضم اليها كافة المقيمين فى منطقتها باعتبارهم مستهلكين ، وعليها هى وحدها أن تمدهم بجميع طلباتهم الاستهلاكية . وتكون هذه الجمعيات المحلية فى كل دولة جمعية مركزية أى جمعية عامة للاتجار بالجملة تقوم بمد جميع الجمعيات المحلية بكافة طلباتها ، فهى تقوم لذلك بجميع أنواع الانتاج الزراعى والصناعى ، ومن هذه الجمعيات المركزية فى كل دولة تتألف الجمعية المركزية الدولية لتقوم بدور التبادل الدولى فتستطيع كل دولة الحصول على كفايتها من السلع التى لا يمكن انتاجها محليا .

ومتى تصورنا ماتقدم أمكننا أن نتصور أن الأرض ورأس المال والتنظيم — وهى ثلاثة عوامل فى الانتاج — أصبحت جميعا ملكا للستهلك . أما العامل الرابع من عوامل الانتاج وهو العمل فله نصيب فى الدولة التعاونية ، وفى تملك عوامل الانتاج الأخرى باعتبار العمال جميعا مستهلكين فى الوقت نفسه ، وكل شخص فى الوجود لابد أن يكون مستهلكا إلى جانب صفته كمنتج .

ومتى علمنا ذلك أمكننا أن نقول ان مايعانيه العمال فى الوقت الحاضر من تصادم مع أصحاب الأعمال ورءوس الأموال بسبب الاختلاف على تحديد الأجور وساعات العمل إلى غير ذلك من المشاكل العمالية المتعددة لابد أن يتلاشى فى الدولة التعاونية لأن العمال سيكونون المالكين لعوامل الانتاج الأخرى ، وباعتبارهم مستهلكين يتلاشى النزاع بين عوامل الانتاج على توزيع الثروة ، ويتم الانتاج على أساس سليم مقياسه حاجة الأعضاء الفعلية من جمعياتهم المحلية »

عبد اللطيف عامر

---

## من حكم العرب

إذا ما الدهر جرّ على أناس      كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا      سيلقى الشامتون كما لقينا

أبو بكر الخوارزمى

---

كم صائن عن قُبلةٍ خدّه      سُلِّطَت الأرض على خده
وحاملٍ ثقّـلَ الثرى جيدَه      وكان يشكو الضعف من عقده

المتنبى

# تربية العواطف

يشقى كثير من الناس بالفقر و بالوسط السيء و بالمرض و بالمظالم الاجتماعية أو الاقتصادية. واحيانا لا تكون لهم حيلة فى هذا الشقاء ، فهم يكابدونه مضطرين أو يفرون منه الى حيث يجدون وسطا آخر لا يثقل عليهم . ولكن لهذا الشقاء الخارجى ما يقابله من الشقاء الداخلى. إذ كثيرا ما يشقى الناس بعواطفهم التى لا يملكون تدبيرها والتصرف بها . فهى تطغى بهم طغيانا يخف أو يفدح ويتفاوت من المضايقات الصغيرة التى نحسها سأما وقتيا أو امتعاضا عابرا الى تلك العواطف القهرية المتسلطة التى نراها فى المريض بالنوراستينيا والملانخوليا . وأفقر الناس فى الثروة قد يكون أقل شقاء بفقره من الثرى الذى تسود الدنيا فى عينيه باحد هذين المرضين . وكم من ثرى يقدم على الانتحار بعد أن شق بحياته لأنه عجز عن تدبير عواطفه فى حين قد يعيش جاره الفقير هادئا راضيا الى الشيخوخة فالهرم ، لأن الأول عجز عن تدبير عواطفه فطغت به حتى قتلته ، أما الثانى فاستخدم عواطفه فسالمته بل خدمته .

والعواطف الانسانيـة كالنار تخدمنا إذا أحسنا استعمالها وتحرقنا إذا أسأنا . ومن سوء الحظ أن تربيـة العواطف ليست كلها بل ولا معظمها فى أيدينا بل هى فى أيدى الذين يربوننا منذ الطفولة . وصحيح إننا نستطيع أن ننقح هذه التربية ونصلحها فيما بعد ، ولكن بعد مجهود عظيم .

وفى ظروفنا المدنية القائمة ترهق عواطفنا وهى على الدوام بين تأزم وانفراج . فان الوسط الريفى الساذج الذى كان يعيش فيه آباؤنا لم يعد وسطنا . والريف لقلة ما فيه من مزاحمة ومطامع وأخطار لايثير العواطف . بل هو يشجع على الزواج المبكر فتجد العاطفة الجنسية منفرجا . أما وسط المدينة فيحفل بالأخطار التى نخشاها على صبياننا من الترام والأتومبيل . وهناك المزاحمة بل المباراة فى الكسب والمواعيد الدقيقة والمطامع البعيدة والرغبة فى الظهور الاجتماعى . وكل هذه تجعل عواطفنا مرهفة يقظة .

وللعواطف طريق الى الجسم لا يختلف من الطريق الذى تتخـذه الميكروبات حين يتسلل فى خفيـة الى مواضع معينة من الجسم فتتلفها وتحطم البنية وتشقى الإنسان بأمراض مادية غير الأمراض الذهنية أو النفسية . فنحن حين نقلق ونخشى خطرا حقيقيا أو وهميا يدقّ قلبنا ويسرع دقه بأكثر مما اعتدنا . كما أننا حين نغضب أو نحزن أو نخاف نصدّ عن الطعام . ويحدث عكس ذلك حين نطمئن ونفرح . ومن هذه العوارض البسيطة نعرف علاقة العواطف بالجسم واثرها المـادى فيه .

وقد درست هـذه العلاقة فى السنوات الأخيرة وكشف بها عن عالم جديد فى أمراض النفس والجسم . وزاد هذا الكشف نورا تلك المعارف الجديدة عن الغدد الصماء التى تفرز فى الدم هرمونات كأنها الاشارات التلغرافية تحرك الأعضاء البعيدة الى العمل والنشاط . فنحن مثلا حين نغضب تفرز الغدتان الادرينياليتان فوق الكليتين سائلا يدور فى الدم ويصل الى القلب فينشطه لكى يدفع الدم بسرعة وقوة . وانما زودتنا الطبيعة بهذا الجهاز لكى نزداد قوة ونشاطا عندما نغضب ونستطيع أن ندافع عن أنفسنا من العدو الطارئ الذى أغضبنا . فدقات القلب السريعة هى الاستجابة الفسيولوجية التى يقصد منها الى الدفاع . ولكن إذا كان أحدنا معرضا للطوارئ وهو يقلق ويخاف على الدوام ، فإن قلبه ينشط بأكثر مما فى طاقته . وهو يدفع الدم الى الشرايين بأكثر مما تحتمل فتتسع . ثم تتصلب . ثم بعد ذلك يهن القلب فتتعرض عندئذ للسكتة أو النقطة ولما نبلغ الخمسين من العمر . بعد شقاء من العلة الملازمة . فالمرض هنا ثم الموت المبكر هما نتيجة العاطفة المتسلطة عاطفة الخوف والقلق .

وهناك عواطف أخرى تحدث القرحة فى المعدة أو حتى تخر الأسنان . بل هناك من يعتقد أن الروماتزم يرجع الى حال نفسية مضطربة . وذلك لأن العواطف تؤثر فى الغدد الصماء . ثم هـذه تفرز مفرزاتها التى قد يختل بها الاتزان الكيماوى لعناصر الدم ومركباته . ثم تكون من هذا الاختلال أمراض كثيرة فى الجسم لا يمكن أن تتحقق معها سعادة . فان الاضطراب الذى ينشأ من عاطفة الاغتمام فى تمثيل الكلسيوم فى الدم يجعل الجسم عرضة لأمراض مختلفة . وركود المعدة وقت القلق يجعل الطعام عبئا عليها يؤدى الى مرضها .

والأثر الذهنى للعواطف السيئة لا يقل عن الأثر الجسمى ، بل قد يزيد . فان كثيرا جدا من المرضى فى المارستانات تعود أمراضهم الى اضطراب العواطف . وليس من الضرورى أن نذهب الى المارستان لكى نرى أثر العواطف الفاسدة . فإن كلا منا يعرف أنه حين يغضب أو يقلق أو يخاف أو يحزن تؤثر فيه جميع هذه العواطف فتجعله عاجزا عن أداء عمله على الوجه الصحيح . بل قد تجعله شرسا مع رؤسائه يندفع وينور بلا مبرر . وكلنا يعرف ذلك الامتعاض الخفيف الذى يجعلنا نكسل وتتراخى ونصد عن العمل . ونحن عندئذ كذلك الطفل المدلل الذى تحرمه أمه من مصروفه فيتحى ناحية ويرفض العمل أو الأكل . فهو فى ظاهره كسول وفى الباطن ممتعض قد تسلطت عليه عاطفة سيئة لم يحسن هو أو لم يحسن أبواه تدبيرها .

وأعظم مايفسد عواطفنا هو التدليل ايام الطفولة . ومن هنا نعرف قيمة الأم الرشيدة فى تربية أبنائها وإسعادهم فى المستقبل . لأن كثيرا من شقائنا قد يعود إلى أننا لم ننشأ على مجابهة الشدائد فى شجاعة وتجلد . وإلى أننا لم نتعلم التعاون مع سائر الناس فنبتت فينا عادات

الأنانية حتى صرنا نغار لأقل نجاح يصيبه غيرنا. وإلى أننا لا نكبح مطامعنا فنريد الثراء ونريد الرياسة ونريد الاطمئنان بأكثر مما يتسع له المجتمع . فإذا لم نحقق جميع هذه الأشياء ثارت فينا عواطف هادمة من القلق إلى الخوف ومن الغيرة إلى الغيظ . وكلما كظمنا هذه العواطف ازدادت قوة بالحبس وقد تنفجر يوما ما بأسوأ مما ننتظر .

وقد قلنا إن زمن التربية للعواطف هو سني الطفولة . ومن هنا تتضح لنا قيمة البيت الحسن والأم الرشيدة والعائلة المتماسكة التي يربط الحب بين جميع أعضائها والتعاون البار بين الزوجين لأجل الأولاد — قيمة كل ذلك في سعادة الناس أيام شبابهم بل كهولتهم وشيخوختهم . لأن الجهاز العاطفي الذي ننشأ به ونعيش به إنما يصنعه لنا أبوانا وبيئة البيت الأولى

ولكن هل في هذا الكلام مايدعو إلى اليأس وإلى أن ينفض أحدنا يديه ويقول : " وماذا أفعل ؟ فقد دللتني أمي أيام طفولتي ولم تغرس في عواطف حسنة. فأنا ضحية الماضي وأنا عاجز عن تربية عواطفي من جديد " .

لا . ليس هذا هو ماتقصد إليه . فإن ماغرس فينا أيام الطفولة يشق اقتلاعه . ولكنه لايتعذر . ومن المعروف أن حركة العضو تؤدي إلى الشعور بالعاطفة التي هي وظيفة هذا العضو . بل هناك — مثل وليم جيمس — من يقول إننا لا نبكي لأننا نحزن بل نحزن لأننا نبكي . ولا نضحك لأننا نسر ونبتهج بل نبتهج ونسر لأننا نضحك . كأن عواطفنا إنما هي حركات فسيولوجية في أعضائنا

فإذا صح هذا — وكثير منه صحيح — فلا شك في أننا نستطيع أن نحس الاستبشار والبر والابتهاج والاطمئنان إذا نحن عمدنا إلى الأعضاء التي تؤدي هذه العواطف فحركناها الحركة الملائمة فالابتسامة التي نتصنعها أولا تحدث لنا ابتهاجا حتى تعود هي حقيقية . والسكينة التي نتخذها إزاء الطوارئ تعود اطمئنانا نفسيا . وعندما نعمد إلى خدمة إخواننا في بشاشة ونشاط نحس البر والتعاون وتذهب عنا الغيرة والحسد . وهكذا نستطيع أن نرب أنفسنا ونصلح ما أفسدته الأم المدللة . وهكذا نستطيع أيضا أن نحقق السعادة باطمئنان النفس وصحة الجسم . فإصلاح العواطف يحتاج إلى أن نتعود عادات جديدة من البشاشة والسكينة والتجلد والبر ، وأن نمارس هذه العادات حتى تنسى استجاباتنا القديمة التي تشقينا في المجتمع .

# الشخصية القلقة

## والشخصية المتزنة

فى السيكلوجية الحديثة كلمة ليس من السهل ترجمتها إلى اللغة العربية هى كلمة " نيوروز " وهى تعنى اختلال العواطف أو تأزمها ، كأن يحس الانسان غما دائما أو حزنا عميقا أو خوفا عظيما أو ترددا لا ينقطع . فنحن جميعا فى حال الصحة نغتم ونحزن ونخاف ونتردد . ولكن عقلنا يتغلب فى النهاية ونحل المشكلة التى أحدثت هذه العواطف . فاذا عجزنا عن حلها أو إذا لم نهتد إلى الأسباب التى أحدثتها فإننا عندئذ نكون فى حال نفسية سيئة نشكو النيوروز .

والواقع أن الحضارة التى نعيش فيها بكثرة ما فيها من مزاحمة قاسية وقلق دائم من الفقر ( أو الحرب )، وما تفرضه أحيانا من تأخير فى سن الزواج تحدث فوضى نفسية تؤدى إلى تلك الشخصية القلقة التى نعرفها فى كثير من أبناء الجيل الحاضر ، أو هى تحدث نيوروزا خفيفا ليس هو الصحة وليس هو المرض . ولكنه بين بين . فنحن لا نجد هنا مريضا يلجأ إلى السرير ويطلب الطبيب ولكنا نجد مثلا شابا خائبا أو مقصرا فى عمله أو هو يخشى الزواج أو هو قد عمد إلى ألوان من التسلية العقيمة التى " يقتل " بها الوقت أو هو فى تشرد جنسى قبيح أو نحو ذلك .

ففى حضارتنا مباراة عامة للكسب . وقد لا يكون الشاب قد أُعدّ لها لأن أبويه قد قصرا فى تربيته أو تعليمه ، أو لأن البيئة العائلية الأولى قد غرست فيه مركبات أو عقدا سيكلوجية تحول بينه وبين النجاح فى هذه المباراة . فتنشأ فى نفسه عواطف مختلفة من السخط إلى الحقد إلى الأسف إلى غير ذلك مما يجعل منه هذا الشاب عذرا أو تعلة للتخلف أو سببا للتآكل العاطفى الذى يستهلك نشاطه . وقد نجد شابا كسولا فاترا فى عمله يكره بذل الجهد فإذا بحثنا عن الأسباب الباطنة لهذه الحال وجدنا أنها تنحصر فى سخطه وغضبه كذلك الطفل الذى ترفض أمه إجابة طلبه فيجمد ويأبى الكلام أو الطعام أو الحركة .

وهناك ذلك الشاب الآخر الذى يخشى الزواج ويؤخره ويتخبط فى حياة جنسية متشردة ويتعلل لهذا السلوك بفقره مع أنه يعرف أن هناك غيره آلافا من الشبان الذين لا يكسبون نصف كسبه ومع ذلك يعولون عائلة كبيرة سعيدة . ففى هذه الحال نجد أن عاطفة الخوف

قد طفت على نفسية هذا الشاب أو أن هناك عقدا نفسية جنسية أخرى تمنع من تحقيق الزواج . وقد لا يدريها هذا الشاب نفسه .

وليس شك فى أن الاختناق الاقتصادى الذى يحسه كثير من الشبان فى عصرنا يعمم بينهم خوفا يثبط نشاطهم . فلا يفكرون فى ترقية أنفسهم لأنهم يكابدون شخصية قلقة قد بعثها هذا الاختناق .

وليس الخوف كل شىء. فان فى الحضارة القائمة اندفاعا لا تتحمله أعصابنا، بل لا تتحمله أعضاؤنا . والسكتة فى القلب والنقطة فى الشريان هما فى معظم الحالات من الأمراض النفسية التى فشت ولا تزال تفشو فى الطبقات المتوسطة لفرط الاندفاع فى المزاحمة أو المباراة للكسب . كما أن المرض السكرى يعود أيضا فى معظم الحالات إلى الاضطراب أو القلق الذى يحسه كثير من الناس لوفرة ما يحملون أنفسهم من أعباء الهموم . بل كذلك العادات السيئة التى يشق بها كثير منا مثل الانغماس فى التدخين أو الرغبة فى الشراب أو حتى المخدرات إنما تبعث عليها هموم نفسية . وما هذه العادات سوى أسلوب للفرار من الواقع السيئ أو من الهم الذى لا يطاق. وهو بالطبع أسلوب سيئ . والمنغمس فى هذه العادات قد وقع فى نيوروز ويحتاج إلى العلاج. وخلاصة القول أن فى الحضارة القائمة ما يجعلنا جميعا معرضين لأنواع من الضغط الذى يؤدى إلى الكظم، ويحدث لنا من هذه الأحوال نيوروز خفيف لا نكاد نأبه به لأن أعراضه سأم أو غم أو كسل أو يأس أو قلق أو تردد . ولكنه قد يتفاقم حتى يحتاج إلى العلاج، وقد ننتهى منه بعادات سيئة تحتاج أيضا إلى العلاج . وفى كل هذه الحالات نحن نشكو شخصية قلقة .

وإزاء هذه الشخصية القلقة نجد الشخصيات المتزنة . ونجد أكثر هذه الشخصيات فى الريف حيث المزارع القانع لا يعيش على أعصابه كما يفعل رب العائلة من الطبقات المتوسطة فى المدن . وحيث الاندفاع للكسب أبطأ حركة . وحيث المطامع محدودة وروح المباراة لا تسود النشاط . بل حيث الزواج يتم فى سن مبكرة والتشرد الجنسى مجهول أو كالمجهول .

وليس من المستطاع أن نعيش كلنا هذه المعيشة الريفية لكى نهنأ بالشخصية المتزنة . ولكن من المستطاع أن نعالج أحوالنا المدنية بحيث لا تتنافى مع صحتنا النفسية .

لقد ذكرنا بعض وليس كل الأعراض التى تتسم بها الشخصية القلقة . فما هى الأعراض التى تتسم بها الشخصية المتزنة كما نراها فى المدينة أى فى الوسط الذى يحدث الاضطراب فى الشخصية ؟

نرى أن الشخص المتزن لا يشكو اختناقا اقتصاديا من تعطل أو فقر أو كراهة للوظيفة أو العمل الذى يشغل. ونرى أنه سعيد فى بيته. ونرى أن مطامعه لا تبلغ الشطط فهو طامح ولكنه يسير نحو تحقيق مطامعه فى تؤدة وتعقل . وهو أيضا فى نمو مالى وثقافى واجتماعى وقد يكون هذا النمو صغيرا بل ضئيلا ولكنه يجد فى آخر العام على كل حال أنه أو فى حظا مما كان فى الأعوام السابقة . ثم هو يمتاز بنوع من التدين يبعث فيه إيمانا وثقة واملا .

فاذا شئنا أن نعين ونحدد الشروط التى تشترط للحياة أو الشخصية المتزنة فإننا يجب أن نعددها فى الترتيب التالى طبقا لأهميتها .

وأول ذلك أن تكون هنالك طفولة سعيدة . فان الشذوذ فى الصبيان هو جرثومة الإجرام فى البالغين . وليس لهذا الشذوذ من سبب سوى أعمال الطفولة . ولن نستطيع أن ننشأ بشخصية متزنة إلا إذا سعدنا بطفولة سعيدة بين أبوين يشملهما الوفاق . لأننا من هذه الأسرة نتعلم التعاون والخدمة والحب، ونعامل المجتمع بعد ذلك كما عاملنا أسرتنا التى غرست فى أنفسنا توجيها اجتماعيا معينا .

ثم بعد ذلك المدرسة . والمدارس على وجه عام تعلم ولا تربى . ولكن المدرسة الحسنة هى تلك التى نجد فيها المعلم المحبوب والدروس التى تخدمنا فى عملنا وفراغنا . بل المدرسة الحسنة هى التى تعلمنا كيف نعلم أنفسنا حين نتركها حتى نبقى مدى حياتنا مشغولين بالتحصيل ننمو نموا ثقافيا يكسبنا لذة واستمتاعا . حتى إذا ثقل الفراغ علينا وجدنا فى الدرس ما يملأه .

ثم بعد ذلك يجب أن نعدّ الاعداد الحرفى . فان المجتمع الذى نعيش فيه يطالبنا بالمباراة الحرفية . وحتى حين يفشو التعطل فان المتفوق فى حرفته هو الذى يستطيع التفادى من التعطل أو من معظمه .

وكل هذه الشروط السابقة. أى الطفولة السعيدة فى الأسرة ثم التربية والمدرسة الحسنة ثم الإعداد الحرفى — كل هذه تخرج من أيدينا والمسئول عنها هو غيرنا. ومن هنا قيمة العناية الأبوية بالأبناء . بل من هنا بعض الاضطراب الذى لا بد أن نلقاه فى حياتنا لأننا كثيرا ما نعانى طفولة سيئة فى أسرة منشقة أو نشق بمدرسة سيئة النظام والتوجيه، بل أحيانا نحترف الحرفة التى لا نحب ولا نليق لها . ولكن الشاب الذكى يمكنه أن يعالج كثيرا من النقائص التى غرستها البيئة الأولى .

فمن ذلك مثلا أنه إذا كان قد احترف حرفة يكرهها فانه يمكنه أن يتخذ هواية يحبها ويتعلق بها . وهذه الهواية تعوضه من الحرفة المكروهة، فان الشاب الذى كان يهوى الطب ثم اضطر لضغط أبويه أو لظروف أخرى أن يحترف الهندسة يمكنه أن يعود إلى هذه الهواية

ويمارسها فى فراغه فيخفف بها من سأم الواجبات الحرفية ويستطيع أن يجعل من هوايته سلما للرق الثقافى . وأعظم ما يكفل السلامة الذهنية والشيخوخة السعيدة هواية يتعلق بها الإنسان وينفق عليها من ماله ووقته . فانها تحفظ الاتزان وقت الشدائد وتحول دون المقاصد ، وتحبب الإنسان إلى منزله . وهى أفضل ألوان التفريج .

والزواج السعيد القائم على الحب والتعاون بين الزوجين هو شرط لازم للسعادة أو للشخصية المتزنة . فأن الخلاف فى المنزل يترك فى النفس مرارة تنتقل الى الشارع والمكتب وتكدر الحياة عامة . والزوجة هى بمثابة العقل الباطن لزوجها . فاذا لم يكن هذا على وفاق مع العقل الوجدانى فان الشخصية تتفتت للنزاع القائم بينهما ،والسعادة فى هذه الظروف من المستحيلات . ولذلك يجب على الشاب ان يحرص على اختيار الزوجة اللائقة التى تساويه فى الدرجات الاجتماعية والثقافية . وثلاثة ارباع الاتزان الشخصى أو السعادة ان لم نقل تسعة اعشارها يعود الى الوفاق العائلى والبيت الحسن والزوجة المحبة المحبوبة .

وفى حضارتنا ظروف نحس فيها ضغطا أو ضيقا .وقد ذكرنا الهواية على أنها أفضل ألوان التفريج . ولكن من الحسن أيضا أن يتعلم الانسان بعض الألعاب الرياضية التى يمكن أن ينصرف اليها النشاط المحتبس . وكلما كانت هذه الرياضة بعيدة عن وسط المدينة وبيئة الحرفة كانت النتيجة أفضل للاتزان الشخصى .

والانسان اجتماعى بطبعه . بل إن الفرار من المجتمع والرغبة فى الاعتكاف الذى يقارب النسك يدلان على حال شاذة لا تتفق والاتزان . ولكن قليلا من الاعتكاف من وقت لآخر يفيد الصحة النفسية . كما أن المغرق فى الاختلاط الذى لا يطيق الانفراد لا يمكنه أن يتعود عادات ثقافية ،لأن الكتاب يطلب الوحدة والاعتزال. فيجب ألا يؤدى الاندماج فى المجتمع الى الانغماس فيه كما يجب أيضا ألا يؤدى الانفراد الى النسك والتوحد .

وأخيرا تحتاج الشخصية المتزنة الى فلسفه توجيهية تعين لنا غاية مع الشعور الدائم بأننا أعضاء نافعون للمجتمع . وقد تكون هذه الفلسفة هى الدين الذى نؤمن به كما قد تكون منفعتنا للمجتمع نوع من البر يقتضينا مساعدة إحدى الجمعيات الخيرية أو الدفاع عن قضية عادلة ما

س . م .

# الهوام والحشرات فى البيوت

## من إرشادات ونصائح
### تقدمها وزارة الصحة إلى الجمهور

### ٣ — الفيران

تعيش الفأرة سنتين تقريبا وتبلغ سن الحمل قبل أن تصل إلى الشهر الثالث من عمرها، ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلقح بعد بضع ساعات من الولادة ، والفأر الصغير يولد عاريا من الشعر أعمى، وآذانه مغلقة و يستمر كذلك مدة أسبوعين و يكبر حجمه فى الأسبوع الرابع من عمره .

وتحمل الفأرة من ثلاث إلى خمس مرات فى السنة وفى كل مرة تلد من ٦ إلى ٩ فيران وقد يصل عدد ماتلده فى المرة الواحدة إلى ٢٣ فأرا و يتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو ، فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعدد ماتضعه فى كل مرة .

وقد قدرت ذرية زوج من الفيران عاشا مدة خمس سنوات بـ ٩٤٠ بليون فأرة .

والفأر لا يخرج من جحره إلا فى الليل ويقضى معظم يومه نائما داخله . والفيران تخزن ما كولاتها داخل جحورها حتى إذا وجدت صعوبة فى الحصول على قوتها فى وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت .

وهى تحفر جحورها قريبا من الجهات التى تحصل منها على طعامها ولكنها فى بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتتبع فى رحلاتها طريقا خاصا لا تحيد عنه عادة .

ومن طبائعها التنقل فى فصول السنة لمختلفة فقد تهجر المنازل فى الربيع إلى الغيطان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده فى المنازل فى ذلك الوقت ثم تعود إلى المنازل فى الخريف لتقضى فيها مدة الشتاء .

وهى كثيرة الدهاء وشديدة الاحتراس من وقوعها فى المصائد ، وتصبح أحيانا مفترسة سيما إذا قل مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها ، وقد تهجم فى بعض

الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا إذا كان نائما ، وتنهش الجثث فى المقابر ، وتهجم على الحيوانات فتنهش لحمها .

وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ، ومع الخنازير فتأكل من آذانها وأثدائها .

وهى تقتل صغار الأرانب فى جحورها وتستولى على بيض وصغار الطيور لتأكلها . ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت الدجاجة بدون أن تشعر بها .

وأهم غذائها الفلال عامة ولكن ذلك لا يمنعها من أن تلتهم كل ما تجده فى طريقها من مأكول سواء كان حيوانا أو نباتا .

والاضرار المادية التى تسببها الفيران لا تخفى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد فى اليوم يقدر بربع مليم فقط وأن عدد الفيران الموجودة بالقطر المصرى ١٤ مليونا أى بنسبة فأر لكل شخص ( وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع ) لبلغ مقدار ما يضيع سنويا فى غذاء الفيران فقط مليونا ونصف مليون من الجنيهات تقريبا ، هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأخطار بحفر جحورها فى جدران المنازل وبين السقوف ، فقد تداعت مبان كبيرة إلى السقوط لهذا السبب ، وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث كثيرة خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيدان الكبريت إلى جحورها وتقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة .

## الفيران والأمراض :

وفضلا عما تسببه الفيران من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة فانها تحمل جراثيم عدة أمراض فتاكة تنتقل إلى الانسان بواسطتها ، وفيما يلى أهم تلك الأمراض :

الطاعون — وهو فى الأصل يصيب الفيران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها إلى الانسان بواسطة لدغ البرغوث .

داء الاسبيروكيتا المصحوب ببرقان ونزيف .

التولاريميا ( Tularemia ) .

المرض بالدودة الخيطية التريكنوزس ( Trichinosis ) .

عدة ديدان معوية أخرى .

الحمى المتسببة عن عض الفأر .

طرق إبادتها :

( ١ ) يجب إحراق القمامة ( الزبالة ) والفضلات المنزلية يوميا أو وضعها فى وعاء له غطاء محكم .

( ٢ ) يجب بناء المحلات التى تخزن فيها المأكولات والتى تفشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها اليها كالاسمنت .

( ٣ ) يجب سد الجحور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والاسمنت حتى لا تقوى الفيران على ثقبها .

( ٤ ) يجب سد نوافذ البدرومات والأدوار السفلى والفتحات الصغيرة التى تدخل منها الفيران بقطع من السلك أو الزنك المتين .

( ٥ ) استعمل مصايد الفيران فى المحلات التى تفشاها هـذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل مرة وتغيير الطعم يوميا .

( ٦ ) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو الدقيق أو السردين أو البيض أو البطيخ أو الطماطم ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم إلى الحيوانات والطيور أو الأطفال .

( ٧ ) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد الفيران وأهمها الكلاب المعروفة بأسماء "Fox Terrier, Scottish and Irish Terriers" والقطة وابن عرس الأليف ، فانها تقتل عددا كبيرا منها .

( ٨ ) انثر قطعا من النفتالين أو مسحوق الكبريت فى الأماكن التى تفشاها هـذه الحيوانات فإن الفيران تكره رائحة هذه المواد ولا تقرب من الأماكن الموجودة بها .

## ٤ — البعوض

تضع الأنثى بيضها فوق سطح المياه الراكدة كالبرك والآبار والأوعية التى تحتوى على مياه لا تتغير ، وبعد يومين أو ثلاثة أيام تفقس هذه البويضة عاقة ( دودة صغيرة ) تعيش مدة أسبوع على الأقل فى الماء ثم يتغير شكلها بعدة مرات إلى أن تصير شرنقة وأخيرا تخرج منها البعوضة .

وتكفى مدة ثمانية أو عشرة أيام فى جو حار نحو القطر المصرى من تاريخ وضع البويضة لتكوين بعوضة كاملة .

والبعوضة تبيض جملة مرات مدة حياتها ، وفى كل مرة تضع مئات من البويضات وزد على ذلك أن الأنثى تبيض بعد تمام تكوينها بعشرة أيام فقط ، فتصور العدد الهائل كذرية ناموسة واحدة خصوصا إذا علمت أن البعوضة تعيش عدة شهور .

أما الأمراض التى تنقلها البعوضة فهى : الملاريا ، حمى الدنج ، داء الفيل ، الحمى الصفراء .

فعند ما تلدغ البعوضة شخصا مصابا بأحد هذه الأمراض تمتص جزءا من دمه ومعه جرثومة المرض التى يتم نموها فى جسمها ، فكل شخص تلدغه بعد ذلك تلقحه ببعض هذه الجراثيم فيصاب بالمرض فهى بذلك تنقل المرض من شخص واحد الى عدة أشخاص .

وجميع هذه الأمراض الخطرة لا تنقل إلا بواسطة أنواع من البعوض . وهناك أنواع متعددة من البعوض تنقل الأمراض المختلفة .

إذا وجدت فى جهة يكثر فيها البعوض فاتبع النصائح الآتية :

( ١ ) أبذل كل الجهد فى عدم تمكين البعوض من الدخول فى منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك أو قماش رفيع .

( ٢ ) من الضرورى أن تنام داخل (ناموسية) مع وضع أطرافها تحت الفراش باحكام .

( ٣ ) وجه عنايتك لاعدام جميع البعوض الذى يدخل منزلك .

( ٤ ) لا تترك مياها راكدة فى براميل أو أزيار أو فى أوانى أخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع .

( ٥ ) إذا لم يمكنك حفظ نفسك من لدغ البعوض فمن الضرورى لوقايتك من الاصابة بالملاريا أن تأخذ حبوب الكينين قبل الغروب و بالليل حسب ارشاد الطبيب .

ووصايانا الى الذين يصابون بالملاريا هى :

( ١ ) إذا أصبت بقشعريرة أو حمى فاعرض نفسك على الطبيب فى الحال .

( ٢ ) بعد شفائك من الحمى يجب أن تستمر على تعاطى الكينين لمدة ثلاثة أشهر على الأقل بالمقادير التى يقررها الطبيب .

( ٣ ) إتبع الارشادات المذكورة سابقا لكيلا تمكن البعوض من نقل العدوى للآخرين .

# مؤتمر رابطة الشباب

نشرنا فى العدد الماضى النصف الأول من هذه القرارات ويسرنا أن ننشر تتمتها فى هذا العدد .

## قرارات يوم المشخصات القومية

لانستطيع وقد أصبح فينا رأى يميل بالأمة الى الانقطاع عن القديم والتنكر لكل ما فيه من عادات وتقاليد وأخلاق ، والأخذ بكل مايزينه الجديد من أخطاء ومساوئ ، إلا أن نلتمس السلامة من خطرهذا الرأى بالوقوف موقفا لايتعارض مع موجبات التقدم ، بل يدفع اليها ، على منهج مستقل ، يمكن أن نصل فيما بين الافراط والتفريط الى الحد الوسط النافع .

ولنا بعد ذلك عند الكتاب والمفكرين أمل ، هم أول من يملك القدرة على تحقيقه ، ذلك هو الوفاء لمجد الماضى بإظهار محاسنه ، والحث على التطبع بهذه المحاسن واتخاذها طريقا لكل جديد ، حتى لا تذوب مشخصاتنا وينقطع نسبنا القومى ، ونصبح بلا تاريخ نفخر به أو نرجع اليه كلما دعا داعى المجد والعزة .

### فى الأدب :

(ا) ليس من الميسور أن نجد فى الأدب الفصيح ما يمكن أن نتعرف به شؤون الحياة الاجتماعية فى مصر وصورها فى أوائل العصر الحديث وأواسطه ، بحيث نتمثلها كأننا نراها ، ولكننا نجد ذلك ميسورا فى المروى من أدب العامة ، وهذا الأدب يكاد يفنى مع حفاظه إلى جانب طغيان الجديد عليه . ولهذا يرى المؤتمر العناية بجمع مايستطاع جمعه من آثار الأدب العامى فى العصر الحديث ، ودراسة هذه الآثار للوقوف على مانفرق فى جوانبها من العادات والشمائل التى قام بها الكيان الاجتماعى على أسسه الأصيلة .

(ب) يرى المؤتمر أن الأدب الفصيح لم يتجه حتى الآن وجهة قومية خاصة ، سواء أكان أدب ثقافة علمية أم أدب ثقافة فنية . فهذا الأدب لايزال أشتاتا فى مظاهره واتجاهاته وآثاره . ولعل من أسباب ذلك اختلاف موارد التعليم ، وتعدد مناهل التثقيف ، ووجه العيب فى هذا أننا نأخذ من العلوم والفنون ماناًخذ ، ثم نحاكيه كما هو ، فيبقى فينا غريب الوجه والروح والعاطفة ، إذ كنا لا نصبغه بصبغة نستمليها من بيئتنا وملابساتنا واحوالنا ومالنا من طابع مستقل فى التفكير والتصوير ، حتى يمكن أن يقال إن هذا مذهب مصرى فى تلك القضية من قضايا الفن ، وإن هذا المنحى هو منحى المصرى فى تسجيل الإحساس وتناول الظواهر الفكرية .

(ج) يرى المؤتمر أن توافر المشخصات القوميـة فى الأدب المصرى لايراد به قطع الصلات بينه وبين الأدب العربى فى مجتمع الناطقين بالضاد ، بل إنه ليدعو الى أن تكون الفكرة العربية والوحدة العربية مشخصا من المشخصات القومية التى يعبر بها فكر الأديب المصرى مادامت هذه المشخصات تستمد حياتها من وشائج الدين واللغة والتاريخ .

## فى الموسيقى :

أولا — يطالب المؤتمر بأن تكون سياسة البلاد فى توجيه الموسيقى العربية موافقة لما سبق أن أقره مؤتمر الموسيقى العربيـة الذى عقد بالقاهرة فى سـنة ١٩٣٢ والذى يتلخص فى المعارضة فى كل تقليد أعمى للموسيقى الغربية وهو وان كان يوصى باجتناب كل ما من شأنه تعطيل ترقية الموسيقى العربية ترقية حرة من جميع الوجوه، يحتم أن يكون تعليم الموسيقيين المصريين جاريا على حسب تقاليد الموسيقى العربية .

ثانيا — إن عجز موسـيقانا فى الوقت الحاضر عن تأدية مهمتها غير راجع إلى قصور فى أصولها أو نقص فى عناصرها ، إنمـا هو قصور أهلها عن الإلمـام بأسرارها ولذلك فان المؤتمر يناشد وزارة المعارف العمل على نشر الثقافة الموسيقية الصحيحة وتعميمها فى المدارس لتضمن للشعب ثقافة موسيقية قومية وأن تعنى بمعاهد الموسيقى وترعاها ماديا وأدبيا بمـا يكفل لها تحقيق أغراضها .

ثالثا — يناشد المؤتمر جميع المعنيين بالموسيقى والقائمين على شؤونها الوفاء بما فى عنقهم للوطن والفن بالعمل جاهدين على إنهاض الموسيقى القومية نهضة شريفة تصونها عن التبذل وتسمو بها عن أن تكون عالة على غيرها من الموسيقات .

رابعا — يرى المؤتمر ضرورة التدقيق فى مراقبة الاذاعات الموسيقية ومراقبة الأفلام الغنائية كى يضمن السمو بها وجعلها أداة لاصلاح الأخلاق وتقوية الروح الوطنية فى البلاد وتهذيبها وجعلها مصورة لنواحى الحياة الاجتماعية المصرية مطهرة من المفاسد واثارة الشهوات الدنيئة ، وذلك لمـا للغناء والموسيقى من الأثر البعيد المدى فى تنقية الذوق وتقوية الخلق وإثارة الشعور بالواجب .

## فى العمارة :

يرى المؤتمر ضرورة العمـل على أن يتجه طراز العمارة فى مصر اتجاها يحمل طابع مصر فى نهضتها الحـاضرة ومجدها القديم ويكون عنوانا لها جميعـا مع البساطة والملاءمة

مع جو مصر وحاجاتها وحالتها الاجتماعية ، وأن يوضع حد لهذه الفوضى فى طرز العمارة مما تتكرت به مصر لكل غريب وقريب .

## فى الأزياء :

وكذلك يرى المؤتمر أن يكون لأهل البلاد زى يتلاءم مع حالة البلاد وجوها ويشيع فى النفوس الاعتزاز بالقومية المصرية فإن للأزياء أثرا فى النفوس لا يدانيه أى أثر. فهذه الفوضى فى الأزياء تظهر مصر بمظهر الانقسام والتفاوت وتبعدها عن مظهر الوحدة والتجانس .

والمظهر القومى لأمة من الأمم يقوم فيما يقوم على الاهتمام بناحية الملابس التاريخية والعسكرية منها بوجه خاص والظهور بالملابس التاريخية فى بعض المناسبات التاريخية الكبرى ... فهى تعيد إلى الأذهان ذكريات المجد القديمة ومواقف النضال القوية .

وفى عيد القاهرة الألفى تعرض فرصة طيبة لإذكاء الشعور القومى. فتذكرنا مهرجاناته، القاهرة فى أحقاب تاريخها المجيد .

## فى العادات :

يرى المؤتمر أن من بين العادات المصرية ما هو حسن جدير أن يحتفظ به ويحرص عليه ، وأن فيما تنقله إلينا حضارة الغرب ظواهر خلقية يجب أن تكون موضع تمحيص ورقابة قبل أن تصطنع اصطناعا أساسه التشبه والاستهواء ،دون مراعاة لخصائص البيئة الاجتماعية. فيجب ألا ننسلخ من عاداتنا لأنها عادات مصرية كانت قائمة أثناء تأخر مصر المدنى والاجتماعى ، وتتخذ عادات أجنبية لأنها قائمة فى أمم معروفة بالتقدم فى وسائل المدنية ومظاهر الاجتماع . بل نعمل على تمحيص القديم من عاداتنا ، والجديد من عادات الأمم المتحضرة معا ، فنبقى من القديم ما ليس سببا فى التأخر ومانعا من النهوض. ونقبل من الجديد ما يفيدنا فى إصلاح شؤوننا وتعزيز مساعينا فى سبيل الرقى ، وبذلك يكون لنا طابع خاص فى العادات يقوم به كياننا القومى .

## قرارات يوم الأسرة :

يرى المؤتمر أن الأسرة لم تنل من عناية المشرع والمجتمع ما يتيح لها أن تؤدى على خير وجه مهمتها الكبرى فى تنشئة الشعب ورفع مستواه ، وأنها كعامل اقتصادى أو اجتماعى أو تربيبى ، لا تستطيع بحالتها الراهنة أن تحقق أغراض الإصلاح الاجتماعى فى هذه النواحى

وأن الأمر يقتضى توافر الجهود من قبل الحكومة والجماعات لسدّ هذا النقص، وقد انتهى المؤتمر بصدد هذه الأدواء وأسبابها ووسائل علاجها إلى الأمور الآتية :

( ١ ) أن الأسرات المصرية لا تحسن القيام بتوجيه أبنائها إلى الوجهة التى تتفق مع ميولهم واستعداداتهم، وأن تخبطها فى هذه الناحية كان من أهم العوامل فى اضطراب الحياة الاقتصادية للأسرة ، وضعف الإنتاج العام ، والنفور من الأعمال ، وقلة النبوغ ، والتأخر فى ميدان الاختراع العلمى والمهنى، وخير علاج لذلك أن تأخذ الدولة على عاتقها القيام بأعباء هذه الوظيفة فتنشئ مكاتب للتوجيه إلى مختلف معاهد التعليم ، ومكاتب أخرى للتوجيه إلى مختلف المهن والصناعات ، وتقيم لآراء هـذه المكاتب وزنا كبيرا ولو أدّى ذلك إلى الحدّ من سلطة الآباء وأولياء الأمور .

( ٢ ) أن الإسراف الذى يسود كثيرا من أسرات الطبقتين المتوسطة والراقيـة يؤدّى إلى شر النتائج فى الاقتصاد العائلى والقومى ، وأن أسباب هـذا الإسراف يرجع أهمها إلى حب الظهور ، وضعف روح التوفير وملكة الادخار ، وضعف الثقافة الاقتصادية للمرأة ، وأن خير علاج لذلك هو محاولة القضاء على هذه الأسباب الثلاثة باتخاذ الوسائل من طريق التعليم والإرشاد والدعاية للشفاء من هذه الأدواء ،ولترويد البنات بثقافة كاملة من الناحيتين الاقتصادية والمنزلية .

( ٣ ) أن محاولة التحلل من قيود الميراث الشرعى بالالتجاء إلى النزول عن الثروة لبعض الورثة وحرمان بعضهم ، أو بالالتجاء إلى طريقـة الوقف الأهلى ، يؤدّى إلى فساد كبير فى الاقتصاد العائلى والقومى ويسبب اختـلال التوازن فى توزيع الثروة فى الأسرة الواحدة وفى المجتمع المصرى ، ويحدث من أسباب الشقاق والعداوة ما يهدم كيان الأسرة . ولذا ينبغى أن يتخذ أولو الأمر والمصلحون جميع الوسائل الممكنة لمحاربة هذه المحاولات ولإلغاء الوقف الأهلى أو تعديله فى صورة تحقق منـافعه . وتحول دون مضاره فى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

( ٤ ) أن ضآلة الدخل فى معظم الأسرات المصرية يؤدى الى ضعف القدرة الاستهلاكية ويعوق نشاط الأمة الانتاجى ؛ ويساعد على انتشار المرض وكثرة الجرائم واضطراب الأمن والثورات الاجتماعية ويتهدد نظم الدولة ،وأن أسباب هذا العامل يرجع أهمها الى نمو عدد السكان نموا مطردا بدون أن تصاحبه زيادة متناسبة فى موارد الثروة ، والى عوامل أخرى مختلفة أدت الى اختلال التوازن فى توزيع الثروة ، ووهن القواعد التى تقدر على أساسها الأعمال وتقاس الأجور . وأن خير علاج لذلك هو محاولة القضاء على هذه الأسباب بتنمية موارد الثروة الزراعية والصناعية وتزويد الزراع والصناع بمـا يزيد من حذقهم ومهارتهم

وقدرتهم على استغلال بيئتهم، وفرض ضرائب قوية تصاعدية على رءوس الأموال والتركات الكبيرة ، وتخصيص المتحصل من هذه الضرائب للترفية على الأسرات الفقيرة، والعمل على محو الفروق الكبيرة بين مرتبات الموظفين ، ووضع تشريع للأجور يكفل للعامل الزراعى والصناعى دخلا عادلا يتكافأ مع جهوده وانتاجه ، ويضمن له ولأسرته حياة انسانية محترمة.

( ٥ ) أن اعتماد طبقة من أفراد الأمة على موارد ثرواتهم الكبيرة بدون أن يساهموا فى العمل على زيادة الانتاج من شأنه أن يزيد فى تكاليف المعيشة ، ويعرض هذه الثروات للنقص المطرد فى مواردها وفى أعيانها ، ويتطلب الأمر اتخاذ الوسائل لحفز هؤلاء على المساهمة فى زيادة الانتاج العام .

( ٦ ) أن تعطل المتخرجين فى معاهد التعليم ينذر بشرور مستطيرة فى ميادين الحياة الإقتصادية والاجتماعية ، وأن أهم أسبابه ضعف المتخرجين فى النواحى العملية والتطبيقية، وذلك يعوقهم عن مزاولة الأعمال الحرة ، ويضطرهم الى التزاحم على الوظائف الحكومية الضيقة . ولعلاج ذلك تجب العناية بتكملة نقصهم فى النواحى السابقة كما يجب إفساح المجال أمامهم فى الشركات والمؤسسات الحرة ومساعدتهم بسن تشريع يمكنهم من العمل فى هذه المؤسسات، وتقديم المعونة المادية لهم اذا اقتضى الحال ليقوموا ببعض مشروعات اقتصادية وزراعية مما تحتاج اليه البلاد .

( ٧ ) أن ما تعانيه الأسر الفقيرة الكثيرة العدد يتطلب من الحكومة والهيئات تخفيف الضرائب عنها ، وتقديم المعونة المادية لها .

( ٨ ) أن مشكلة تفكك الأسرة المصرية لم توجه إلى دراستها عناية كافية ، ولذلك ينبغى العناية بدراسة أسباب الانحلال العائلى ، وأن تقوم بهذه الدراسة هيئات اخصائية تتقصى وجوه هذا النقص ، وتشير بوسائل العلاج، وأن تكون نتائج هذه الدراسات نبراسا للحكومة والهيئات القائمة على الاصلاح فى تقصى الأدواء وكشف أسبابها ووسائل علاجها .

ويحسن أن يبدأ بإنشاء مراكز اجتماعية فى بعض الأحياء تقوم بهذه الدراسات على سبيل التجربة وتوفير المتخصصين لهذه الدراسة، ثم تعمم تدريجيا بقدر ما تسمح به الحالة المالية.

( ٩ ) أن العلاقة التى تربط الأسرات بالمجتمع العام وظيفة واهية، وأن شعور الأسرات بواجبها الاجتماعى شعور ضعيف ، ولذلك ينبغى أن تتخذ لجميع الوسائل الممكنة كالدعاية ، واعداد المرأة ، لتقوية روح الشعور بالواجب الاجتماعى فى الأسرات ، ولتوثيق الصلة بينها وبين الأمة ، حتى تصبح خلية حية صالحة فى جسم المجتمع .

(١٠) يجب اتخاذ الوسائل الفعالة لتنظيم الإحسان ، وتوفير الموارد الكافية له وتوجيهه الوجهات الصالحة ، وتنسيق أعمال البر ، بما يكفل تعميم نفعها فى مختلف نواحى الاصلاح الاجتماعى ، وأن يخصص من موارد البر ما يكفل مساعدة الأسرة ودراسة مشكلاتها .

(١١) أن الأسرة لا تقوم بمهمتها التربيية على نحو مثمر وأنها لهذا السبب لا تعاون المجتمع والمدرسة على اعداد الشباب ، وأنه يجب لاصلاح هذا النقص أن تعد المرأة بالتربية المدرسية وغيرها اعدادا صحيحا يمكنها من الاضطلاع بهذه المهمة ، وأن تتخذ الحكومة والهيئات جميع الوسائل الممكنة لارشادها فى هـذه النواحى . وقد تكون الاذاعة والمجلات والنشرات الدورية والمحاضرات العامة ، من خير الوسائل لتحقيق هذا الارشاد .

(١٢) إن المرأة قد أخذت فى بعض الطبقات تنزل ميدان العمل ، ولا سيما فى الطبقات الفقيرة ، وذلك يحول دون القيام بواجبها باعتبارها أما ، فتجب العناية بانشاء دور لكفالة الأطفال ، تعنى برعايتهم ، وتعوض عليهم بعض ما يفقدونه بسبب انصراف الأم إلى العمل .

(١٣) أن من أسباب شقاء الأسرة المصرية إطلاق حرية الطلاق وتعدد الزوجات دون تقييدهما بما يستبقيهما رخصة لمواجهة ضرورة طارئة ، أو حاجة اجتماعية ، ويحرمهما حيث يمليهما العبث الفارغ والمتعة ، دون نظر إلى ما يجلبانه من البؤس وتصدع كيان الأسرة وإشاعة البغضاء بين أفرادها .

ومما يزيد من وجوب العناية بهذه الناحية أن تعدد الزوجات لا يزال منتشرا بين الطبقات الفقيرة فى المدن والريف ، وأن من نتائجه نمو عددها نموا غير متناسب مع مواردها ، مما يزيد من بؤسها وخطرها على المجتمع ، وإخراج جيل ضعيف لا خير فيه .

(١٤) أن الحكومة لم تتخذ للآن قرارا عمليا حاسما للقضاء على الدعارة الرسمية ، ومكافحة الدعارة السرية ، لترد الناس إلى حياة الأسرة الطاهرة الشريفة المثمرة وتقيهم ويلات الأمراض السرية الفتاكة ، وتحميهم من شرور الانحلال الأخلاقى وآثاره الخبيثة فى جسم الاسرة والمجتمع .

(١٥) يرى المؤتمر أن كثيرا من الآباء والأمهات يزجون بأولادهم إلى حياة التشرد بما تنعدم معه الولاية البارة ، وأن الأمر يقتضى وضع تشريع يسلب الآباء الولاية والأمهات الحضانة فى حالات كهذه . على أن تتخذ الوسائل — فى الوقت نفسه — لايجاد مؤسسات ترعى الأطفال الذين سلبت الولاية من أهليهم ، لتتولى توجيههم إلى حياة الانتاج والشرف .

(١٦) وأنه من الواجب حماية الشبيبة الناشئة من شرور الملاهى وما اليها وهم فى سن مبكرة ، وذلك بتحريم دخولهم دور الملاهى الضارة ، أو ارتيادهم الحانات ، أو أندية القمار ... وما إلى ذلك . كما يجب فى الوقت نفسه تحديد عمل هذه الدور بما يخفف شرها ، ويقلل ضررها .

# متفرقات اجتماعية

## مدارس البنات وحضانة الأطفال :

يسعى كثير من رجال البر الى انشاء دور لحضانة أو كفالة الأطفال الذين ترتزق أمهاتهم بالعمل فى خدمة البيوت أو المتاجر . ودار الحضانة تحتوى عددا من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السنتين والست السنوات تشرف عليهم مربية وتلاعبهم حتى تعود الأم فتأخذ ابنها أو بنتها الى دارها .

والغرض من إنشاء دور الحضانة أن يجد الطفل مجتمعا صغيرا مطهرا من الشوائب التى تلازم الشارع . سواء أكان هـذا من ناحية الأخطار المـادية الكثيرة التى تلازم الشارع فى حركة المرور أم من ناحية الأخطار الأخلاقية التى يتعرض لها الطفل بالتصاقه بصبيان قد اعتادوا العادات السيئة فى اللفظ والتشرد وارتكاب الجرائم الصغيرة .

وكثير من الأمهات الفقيرات يتكسبن فى الوقت الحاضر فى المدن الكبيرة مثل القاهرة والاسكندرية وهن فى حاجة إلى مثل "دور الحضانة" للعناية بأطفالهن مدة غيابهن فى العمل .

ولما كان من الشاق أن تعين أماكن خاصة للحضانة فإن من الممكن أن تخص جميع مدارس البنات الحكومية والأهلية بعض غرفها لحضانة الأطفال . وأن يتناوب المعلمات أنفسهن الإشراف على الأطفال لتسليتهم وتعليمهم .

## نصائح فورد :

فورد هو أكبر زعماء الصناعة فى الولايات المتحدة إن لم نقل فى العالم . وقد سألته مجلة يور لايف عن النصائح التى يمكنه أن يسديها إلى الشاب الذى يتطلع إلى التفوق والقيادة. فأجاب بهذه النصائح الخمس :

( ١ ) لايمكن أن ينجح شاب إلا إذا كان نظيفا . وأقصد بالنظافة إلى أكبر من معناها المألوف . لأنى أعنى الترتيب والنصاعة. لأن الشاب الذى يألفهما فى عمله يدل على أن ذهنه مرتب يكره الاضطراب والتشويش .

( ٢ ) على الشاب ألا يشرع فى عمل ما إلا بعد أن يكون قد وقف على جميع المراحل التى قطعها غيره فى هذا العمل . ثم يبدأ من حيث انتهى .

( ٣ ) الشاب الناجح لا يقنع بالتفكير ولكنه يشرع فى العمل مهما تكن البداية العملية صغيرة.

( ٤ ) لاتستصغر كفايتك. فان العالم فى حاجة إلى الرقى فى آلاف المخترعات الحاضرة. وقد تكون أنت أحد الذين يهتدون إلى حل معضلة قائمة .

( ٥ ) لاتغتر ولا تدخر المال ولكن انفقه فى ترقية نفسك أو عملك .

## ملاعب الأطفال :

عمد كثير من المجالس البلدية فى أوربا إلى إقفال بعض الشوارع حتى لاتمر فيها العربات لكى يجد فيها الأطفال والصبيان الفسحة الكافية للعبهم ومرحهم .

ففى المدن الكبيرة يصعب على الأطفال أن يجدوا المكان للعب. لأن المنازل تبنى طبقات متعددة مزدحمة بالسكان . والشوارع تزدحم بحركات المرور فلا يمكن الأطفال أن يلعبوا فيها . وقد لا يجدون أو لا يجد آباؤهم المال الكافى لنقلهم إلى أماكن بعيدة مأمونة سواء أكانت متنزهات أم ملاعب أم غير ذلك .

ولذلك رأت بعض المجالس البلدية أنه يمكن توفير اللعب للأطفال والصبيان بإقفال بعض الشوارع الفرعية . فهناك شوارع فرعية كثيرة تعترض الشوارع الأصلية . ويمكن إقفال واحد منها فى وجه الاتومبيلات دون أن يحدث أى اضطراب لحركة المرور . وهذه الشوارع ينزل اليها الأطفال ويلعبون فيها ويمرحون .

وفى أحياء المدن الكبيرة عندنا شوارع فرعية كثيرة لاتحتاج اليها الاتومبيلات ويمكن إقفالها وقصرها على المشاة . ويحسن ولاة الأمور لو خصصوها لهذا الغرض . فان القاهرة محرومة من المتنزهات كما هى محرومة من أندية الصبيان فلا أقل من أن نزود صبياننا ببعض الشوارع التى يمنع الاتومبيل من المرور فيها حتى يأمنوا اللعب فى أرجائها . وطريقة ذلك أن يقام فى الشارع عند طرفه علامة قائمة فى الوسط . أو سياج قصير ينبه عن منع المرور للاتومبيلات وسائر العربات.

## التجنيد فى الولايات المتحدة :

تدل حركة التجنيد فى ولاية نيويورك على أن ٣٢ ٪ من المتقدمين للجندية يرفضون لعلة جسمية ، وأن ٦ من كل ١٠ طلبات ترفض لعلل جسمية وغير جسمية .

وثلث المرفوضين يعزى رفضهم إلى سوء أسنانهم . أما سائر العلل فهى نقص النظر وقصر القامة ونقص الوزن وسوء السمع. وخمسة فى المائة من المرفوضين يعلل رفضهم بأنهم لم يبلغوا سن التجنيد . كما أن خمسة فى المائة أيضا يعلل رفضهم بسوابقهم الإجرامية .

وأعظم مايقدم من الأسباب للتقدم للجندية هو التعطل . فإن ٤٠ فى المائة من المتقدمين يذكرون هذا السبب . و٣٥ فى المئة يذكرون أن السبب هو الرغبة فى تعلم حرفة من الحرف التى تدرس عادة فى الجيش للجنود . وهناك ١٥ فى المائة ذكروا أن الرغبة فى المغامرات والاقتحامات هى السبب لتجندهم .

## الموازنة بين الرغبة والذكاء :

المعروف أن الانسان يبلغ أقصى ذكائه فيما بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة . وأن القدرة على التعلم تبلغ أقصاها فيما بين العشرين والخامسة والعشرين . فالشاب يتعلم بأسرع مما يتعلم الشيخ أو الكهل الذى تجاوز الخمسين أو الأربعين . وهذا التعلم مطلق أى لا عبرة بماهيته . فقد يكون تعلما للغة أجنبية أو لسياقة أتومبيل أو لتجويد الخط .

ولكن هناك عاملا آخر يجب ألا ننساه فى التعلم . وهو الرغبة . لأن هذه الرغبة أو الحافز مهماز يحث الذهن على التفكير والاهتمام والدرس . فاذا تساوى صبيان فى الذكاء وكان أحدهما أرغب فى تعلم شىء ما فانه يتعلمه بأسرع مما يتعلم الآخر الذى لا يجد فى نفسه هذه الرغبة . ومن هنا ضرورة الاعتماد على الاهتمام الذى ينبعث فى نفوس التلاميذ بايجاد موضوعات معينة تتصل ببيئتهم وحياتهم .

ومما يسترعى الانتباه أنه عندما نشبت الحرب الماضية ودخلت فيها الولايات المتحدة الأمريكية جند كثير من الشبان الذين يجهل آباؤهم القراءة والكتابة . وسافر هؤلاء الشبان إلى فرنسا فاحتاج آباؤهم إلى مراسلتهم . وشرعوا يتعلمون القراءة والكتابة فتعلموها بأسرع مما يتعلمهما الصبيان مع أنهم كانوا قد بلغوا السبعين . والسبب لذلك هو الحافز أى الرغبة فى مراسلة أبنائهم .

والمغزى أن الشيوخ يمكنهم أن يتعلموا كالشبان إذا كانت رغبتهم شديدة فى التعلم .

## من يستمع للإذاعة؟ :

قامت إحدى شركات الإذاعة بإحصاء تعرف منه الطبقات التى تستمع للإذاعة . فوجدت أن هذه الطبقات أربع هى :

( ١ ) الأسر التى يبلغ دخلها فى السنة خمسة آلاف دولار . والذين يستمعون منها يبلغون ٦,٧ ٪

( ٢ ) الأسر التى يتراوح دخلها بين ٣٠٠٠ و٤٩٩٩ دولارا . والذين يستمعون منها يبلغون ١٣,٣ ٪

( ٣ ) الأسر التى يتراوح دخلها بين ٢٠٠٠ و٢٩٩٩ دولارا . والذين يستمعون منها يبلغون ٢٦,٧ ٪

( ٤ ) الأسر التى ينخفض دخلها إلى مادون ٢٠٠٠ دولار . والذين يستمعون منها يبلغون ٥٣,٣ ٪

ويتضح من هـذه الأرقام أن المستمعين فى الولايات المتحدة يتألفون من الطبقات الفقيرة . وذلك لأن للطبقات الغنيـة سلويات أخرى يحصلون عليها من القراءة والتنزه والألعاب والمسارح والدور السينمائيـة . أما الفقير فيجد فى الراديو أرخص أنواع المسليات .

## الطفل المشوه :

يولد الأطفال أحيانا وبهم تشوهات إما فى الوجه وإما فى سائر الجسم . وهذه التشوهات تشعرهم بالضعة والهوان . وأحيانا تبعث على السخرية منهم مدّة التلمذة أو بعد ذلك . وهذه التشوهات هى ما يسميها أدلر السيكلوجى المعروف " مركب نقص " أى أن الطفل يحس أنه ناقص عن زملائه . وهذا الاحساس فى أقل الأحوال يثير فيه الهمة والنشاط للتكمل والتفوق . ومن هنا المثل : " وكل ذى عاهة جبار " ولكن فى أكثر الأحوال يبعث النقص خمولا وتخاذلا . بل أحيانا شذوذا وإجراما . وذلك لأن الناقص أو المشوه يبغى التفوق لكى يتعوض من النقص . فاذا لم تواته كفاءته على تحقيق ذلك عمد إلى وسائل أخرى . فاذا كان طفلا فهو يعاند ويتعنت ويرتكب جرائم صغيرة ويؤثر الوحدة على الاجتماع . لأن المجتمع يحتقره ويسخر من تشوهاته . فاذا كبر زادت فيه هذه الوحدة حتى تصير انفصالا بينه وبين المجتمع . وعندئذ يرتكب الجرائم الكبيرة التى توهمه التفوق . وهو لا يحس أنه مجرم أو مخطئ لأن اعتياده للوحدة منذ الطفولة قد فصل بينه وبين المجتمع . فصار يقيس الأمور والأخلاق بقياسه الشخصى الأنانى وليس بالقياس الاجتماعى .

وقد سبق أن عين لومبروزو صفات للمجرم وأشار إلى هذه التشوهات من حيث كثرتها بين المجرمين . وظن لومبروز أن المزاج الإجرامى يورث لهذا السبب أو هو تلازمه هـذه التشوهات . وهو صادق من حيث إثبات هذه الظاهرة . ولكنه غير صادق فى التفسير . لأن هذه التشوهات إنما هى العلة غير المباشرة للجريمة لأنها تفصل بين الطفل وبين المجتمع .

ولذلك يجب أن يعالج الأطفال المشوهون . فاذا لم يكن العلاج ممكنا حتى تزول الشوهة فيجب أن يعودوا عادات اجتماعية حسنة وأن تزال من أمامهم جميع أسباب السخرية . ولكن يجب أن يتجه الاهتمام نحو تربيتهم الاجتماعية أكثر من القدر المعتاد للطفل السليم .

## التربية والتعليم :

هنالك فروق كثيرة بين التعليم والتربية . فقد يكون الانسان متعلما ولكنه غير مربى . ولن يؤدى تعلمه مع ذلك الى تربية . ولكنه اذا كان قد حصل على تربية فان التعليم لن يشق عليه .

والتربية أخلاق ونزعات واتجاهات ثقافية واجتماعية ، وهى تنتهى إلى ايجاد شخصية نعرفها فى الرجل البار الذى يخدم نفسه وغيره بالتجارة أو الصناعة أو العلم أو الفن . والتربة الأصلية التى يربى فيها الانسان هى البيت ثم المجتمع . أما المدرسة فلا تكاد تربينا وإنما تعلمنا .

فالمدرسة تعلمنا المواد الدراسية من تاريخ إلى لغة الى الرياضيات أو الطبيعيات . ولا تستطيع المدرسة أن تعلمنا الأخلاق التى لا يمكن أن نتعلمها بالنصح والإرشاد ولكن بالمرانة فقط . وهى لا تعين لنا الاتجاهات الثقافية والاجتماعية التى يعينها لنا البيت بما نرى فى أبوينا وأقاربنا من هذه الاتجاهات . وأحيانا يعينها لنا المجتمع عند ما نرشد ونختلط بافراده .

وتحاول المدارس العصرية أن تؤدى عمل البيت أى أنها تحاول أن تربى كما تعلم . وأن تكون الأخلاق وتربى النزعات وتعين الاتجاهات ، كما تعلم المواد الدراسية . ويقال إن محاولتها هذه تبشر بنجاح . وهذه المحاولة تتخذ أساليب مختلفة . منها إحالة المدرسة الابتدائية الى جامعة صغيرة بحيث يتدرب التلميذ على البحث المستقل ويشترك مع المعلم فى التعلم . ومنها تأليف جماعات مدرسية تتحمل التبعات وتؤديها استعدادا للتبعات الاجتماعية المستقبلة .

ومن أحسن ما قيل فى هذا الموضوع إن التربية هى ما يبقى لنا بعد أن ننسى ما تعلمناه ، وما يبقى لنا إنما هو الطريقة أو الأسلوب ، بحيث يمكننا أن نعلم أنفسنا بعد أن نترك المدرسة أو الجامعة ونثابر على التعلم والاستزادة من الثقافة . وهذه المثابرة تحتاج الى الأخلاق والاتجاهات والنزعات الحسنة التى تقرر لنا عادات ذهنية مدة الشباب بل والشيخوخة .

## الأبوة العلمية :

هذا العنوان الغريب قد وضع على رأس فصل من كتاب يعالج تربية الأطفال . وهو يدل القارئ على الاتجاهات العصرية فى هذه التربية . فإننا نقرأ عن الغذاء العلمى أى الذى

يعين على أصول العلم حتى يفى بحاجات الجسم. ونقرأ عن الإدارة العلمية للتجر أو المصنع . ولا نعارض فى أن يتدخل العلم فى ألوان كثيرة من نشاطنا . فلم لاتكون الأبوة أو الأمومة علمية ؟

أن الأب أو الأم يفيضان على طفلهما عطفا كثيرا هو فى الأغلب عطف خام قد لايثمر أحسن الثمرات فى الطفل . فإن الأم قد تعتقد أن أحسن ماتخدم به طفلها أن تغذوه كثيرا أو أن تجنبه كل صعوبة أو أن تتركه يفعل ما يشاء مع الخدم يشتمهم ويضربهم أو تنفذ له جميع ما يطلب فينشأ الطفل مدللا بذىء اللفظ وقح الحركة عنيدا أنانيا . وكل هذه الخصال نشأت فيه عن نية حسنة من أبويه وعن عطف بالغ .

ولكن الأب وكذلك الأم يجب أن يكونا مستنيرين فى عطفهما وأن تكون أبوتهما علمية يراعى فيها أن هذا الطفل لن يجد من المجتمع عطفا مدللا كهذا الذى قد يجد من أبويه . بل يجب أن يربى الطفل كأنه شخص غريب بالعدل والنزاهة والاحترام لشخصيته حتى ينمو وهو على معرفة بحقوقه وواجباته .

## إدمان الشراب مرض نفسى :

يقول السيكلوجيون إن السكير إنما يشرب لأنه مريض . وهو ليس مريضا لأنه يشرب . وهم يقصدون من هذا الى أن الرغبة فى الخمر هى نتيجة لقلة التناسق بين الفرد وبين المجتمع أى نتيجة لعجز الفرد عن أن يندمج فى المجتمع ويتخذ أقيسته الاجتماعية . فإن السكير يكره الواقع وينفر منه بل يفر منه . وسبيل الفرار عنده هو الالتجاء الى الخمر . ونحن مثلا عند مانكره الواقع وتثقل علينا تبعاته نعمد الى الخيال فنحلم أحلام اليقظة التى تخفف عنا ثم نعود الى عملنا . ولكن السكير يتخذ أسلوبا آخر للوصول الى هذه الأحلام وهو أسلوب الخمر .

ويقول هؤلاء السيكلوجيون إن الرغبة ترجع أيضا الى أن السكير لم يفطم الفطام النفسى من أساليب الطفولة . فإن الطفل حين يصدمه الواقع ويعجز عن حل مشكلة يعمد الى خياله فيحلم أحلاما توهمه التفوق أو هو يتصخب ويعربد . وهكذا الشأن فى السكير فإن الخمر ترده الى أساليب الطفولة . فهو يحلم أو يعربد .

ويمكن لهذا السبب أن يقال إن السكير هو ذلك الشخص الذى لقى تدليلا أو اضطهادا فى أيام طفولته حتى انطبع فى نفسه أسلوب معين للسلوك وقت الشدة . وهو أسلوب الفرار من الواقع . وهو وقت نشوته يرتد إلى هـذا الأسلوب . فكأن لاعتياد الشراب جذورا فى الطفولة .

ولا ينقص من قيمة هذا التشخيص أن السكير يشتاق الى الخمر وقت الجوع . ولا يدل هذا الاشتياق على أن الجسم يحتاج الى الخمر لأن كل مايدل عليه أن الخمر لسرعة هضمها تحدث شبعا وهميا . وقطعة صغيرة من السكر تؤدى مثل هذه المهمة .

وطريقة العلاج هى أن يقف السكير نفسه على حاله وأن يعرف أن " الكئولية " أى الرغبة فى الكئول إنما هى رمز لقلة تناسقه الاجتماعى وستار كاذب لإخفاء الحقائق الواقعة وأنه إنما يطلب الخمر لكى يرتد إلى طفولته و يسلك سلوك الأطفال .

و يجب لهـذا السبب أن نناشد فى السكير رجولته ، ونطلب منه أن يرتفع إلى مستوى النضج العقلى فيواجه الحقائق و يحاول حلها بدلا من أن يهرب منها .

## عقبات النجاح :

يدرس الامريكيون النجاح باعتباره فنـا يحتاج الى مختلف العـادات والاتجاهات والأخلاق . وهم يرون أن النجاح يحتاج الى ٩٠ فى المـائة من الأخلاق و١٠ فى المـائة فقط من الذكاء .

ونحن نلخص فيما يلى عقبات النجاح كما يراها أحد المؤلفين الأمريكيين وقـد حصرها فى ١٢ عقبة هى :

( ١ ) أن تجهل أن النجاح فى المهنة يحتـاج الى النجاح فى المعيشة فلا يمكنك أن تترقى فى مهنتك إذا كنت غير مرتاح الى المعيشة البيتية .

( ٢ ) أن تترك لغيرك تقرير الأسلوب الذى تتخذ فى مهنتك أو معيشتك .

( ٣ ) أن تعجز عن التعاون مع الغير .

( ٤ ) ألا تقصد من المهنـة غير المـال كأنك تؤديها للأجر أو المرتب الذى تحصل عليه فقط .

( ٥ ) أن تكبر أو تصغر من قيمة كفاياتك .

( ٦ ) أن تزجم نفسك بالعمل الكثير المتشتت بدلا من أن تسير سيرا وئيدا مطمئنا .

( ٧ ) أن يكون عملك راكدا بطبيعته لا يتيح لك التوسع والنمو .

( ٨ ) أن تقتصر فى العمل على ما يطلب منك فقط لا تزيد عليه شيئا من عندك .

( ٩ ) أن تشغل فراغك بعملك فلا ترتاح ولا تتنزه .

(١٠) أن تبادر الى التشاؤم عند أقل الصدمات .

(١١) أن تزعم أن نقصك فى الثقافة أو قلة درجاتك الجامعية هى علة تخلفك .

(١٢) أن تهمل رقيك الروحى فلا تعنى بالدين والفنون والآداب .

## الجهاد للنحافة

لكل أمة أقيستها التى تقيس بها الجمال . وقد أصبح الغربيون فى أوربا وأمريكا يعدون النحافة شرطا لازما للجمال . ولهذا السبب لاتكاد تخلو مجلة نسائية من مقال يرشد الآنسة أو السيدة الى طريقة جديدة لتهيئة الطعام بحيث لا يحتوى من العناصر مايؤدى الى البدانة . وكثير من ربات البيوت يشترين الموازين لوزن أنفسهن كل يوم حتى اذا وجدت زيادة طفيفة فى وزنهن عالجتها بالكف عن مقدار من الطعام .

ولكن النحافة لايقصد منها الى الجمال وحده . فقد ثبت بالاحصاءات المتكررة عند شركات التأمين أن النحيف يمتاز على البدين بصحة حسنة وعمر طويل . ولذلك ترفض هذه الشركات تأمين كل رجل أو امرأة سمينة . وقد كتب الدكتور سينكوهن مقالا عن قيمة النحافة فى الصحة ذكر فيه معدل بعض الأمراض التى تصيب الانسان مع بيان خطرها عند النحيف والسمين . فقال إن الوفيات فى كل ١٠٠,٠٠٠ من السكان فى الولايات المتحدة ثبت ما يلى :

| مرض الوفاة | النحيف | المتوسط | السمين |
|---|---|---|---|
| القلب ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٥٠ | ٨٠ | ١٢٠ |
| الكلى ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٥٠ | ٨٠ | ١٤٠ |
| السكتة ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٥٠ | ٧٠ | ١١٠ |
| البول السكرى ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٠ | ١٥ | ٣٥ |
| أمراض الرئة ... ... ... ... ... ... ... ... | ٩٥ | ٩٠ | ٩٢ |
| السرطان ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٦٢ | ٦٠ | ٧٠ |
| التدرن ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٢٠ | ٦٥ | ٣٠ |
| أمراض المسالك التنفسية ... ... ... ... ... ... | ٩٥ | ٩٠ | ٩٢ |
| الانتحار ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٢٥ | ٢٠ | ٣٠ |
| الحوادث ... ... ... ... ... ... ... ... ... | ٥٥ | ٦٠ | ٦٥ |

ومن هذه الأرقام تتضح ميزات النحافة الا فى التدرن فإن ميزة البدانة كبيرة جدا .